
العدد الثالث
السنة الاولى
ذو القعدة
١٣٨٩ هـ
شباط (فبراير)
١٩٦٩ م
مجلة
الجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

الجامعة الإسلامية

مجلة شهرية تصدر عن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

تصدر مؤقتاً كل ثلاثة أشهر

الاشتراكات: في الداخل: ٤ ريالات سعودية

في الخارج: ٤ ريالات سعودية عدا أجرة البريد

عنوان المراسلات: المدينة المنورة - الجامعة الإسلامية - المجلة

THE ISLAMIC UNIVERSITY

A MONTHLY MAGAZIN ISSUED FROM THE ISLAMIC UNIVERSITY OF MADINA.

ADDRESS ALL CORRESPONDENCES TO:-

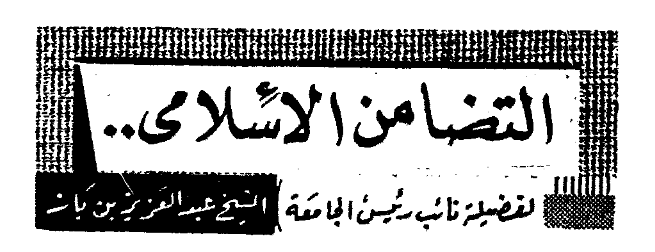
THE ISLAMIC UNIVERSITY.
MADDINA.
SAUDI ARABIA.

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة

الجامعة الإسلامية

ذو القعدة	العدد الثالث	شـبـاط
١٣٨٨ هـ	السنة الأولى	١٩٦٩ م



التضامن الإسلامي..

لفضيلة نائب رئيس الجامعة الشيخ عبد العزيز بن باز

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعــده ، اما بعد . فلا ريب أن الله سبحانه خلق الخلق ليعبدوه وحده لاشريك له كما قال عز وجل (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) وقال تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بهـذه العبادة وبعث الرسل عليهم الصلاة والسلام وانزل الكتب لبيان هذا الحق وتفصيله والدعوة اليه كما قال عز وجل (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) وقال سبحانه (وقضى ربك ان لاتعبدوا الا اياه) ومعنى قضى فى هذه الآية أمر ووصى . وقال تعالى (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وقال سبحانه (ولقد بعثنـــا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغــوت) وقال سبحانه (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون) .

وقال تعالى (كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ان لاتعبدوا الا الله اننى لكم منه نذير وبشير) . وقال تعالى (هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب) ففى هذه الآت الكريمات الامر بعبادته سبحانه والتصريح بأنه خلق الثقلين لهذه العبادة وارسل الرسل وانزل الكتب لبيانها والدعوة اليها .

وحقيقة هذه العبادة هى طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالاخلاص لله فى جميع الاعمال والامتثال لاوامره والحذر من نواهيه والتعاون فى ذلك كله وتوجيه القلوب اليه سبحانه فى كل ما يهمها وسؤاله عز وجل جميع الحاجات عن ذل وخضوع وايمان واخلاص وصدق وتوكل عليه سبحانه ورغبة ورهبة مع القيام بالاسباب التى شرعها لعباده وامرهم بها واباح لهم مباشرتها .

وبهذا كله يستقيم امر الدنيا والدين وتنتظم مصالح العباد فى أمر المعاش والمعاد ولا صلاح للعباد ولا راحة لقلوبهم ولا طمأنينة لضمائرهم الا بالاقبال على الله عز وجل والعبادة له وحده والتعظيم لحرماته والخضوع لاوامره والكف عن مناهيه والتواصى بينهم بذلك والتعاون عليه والوقوف عند الحدود التى حد لعباده كما قال عز وجل (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) ومن المعلوم انه لايتم امر العباد فيما بينهم ولا تنتظم مصالحهم ولا تجتمع كلمتهم ولا يهابهم عدوهم الا بالتضامن الاسلامى الذى حقيقته التعاون على البر والتقوى والتكافل والتناصر والتعاطف والتناصح والتواصى بالحق والصبر عليه . ولا شك ان هذا من اهم الواجبات الاسلامية والفرائض اللازمة وقد نصت الآيات القرآنية والاحاديث النبوية . على ان التضامن الاسلامى بين المسلمين افرادا وجماعات حكومات وشعوبا من اهم المهمات ومن الواجبات التى لابد منها لصلاح الجميع واقامة دينهم وحل مشاكلهم وتوحيد صفوفهم وجمع كلمتهم ضد عدوهم المشترك .

والنصوص الواردة فى هذا الباب من الآيات والاحاديث كثيرة جدا ، وهى وان لم ترد بلفظ التضامن فقد وردت بمعناه وما يدل عليه عند أهل العلم والاشياء بحقائقها ومعانيها لا بألفاظها المجردة فالتضامن معناه التعاون والتكاتف والتكافل والتناصر والتناصح والتواصى وما ادى هذا المعنى من الالفاظ ويدخل فى ذلك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر

والدعوة الى الله سبحانه وارشاد الناس الى اسباب السعادة والنجاة وما فيه صلاح أمر الدنيا والآخرة ويدخل فى ذلك ايضا تعليم الجاهل وأغاثة الملهوف ونصر المظلوم ورد الظالم عن ظلمه واقامة الحدود وحفظ الامن والاخذ على ايدى المفسدين والمخربين وحماية الطرق بين المسلمين داخلا وخارجا وتوفير المواصلات البرية والبحرية والجوية والاتصالات السلكية واللاسلكية بينهم لتحقيق المصالح المشتركة الدينية وتسهيل التعاون بين المسلمين فى كل ما يحفظ الحق ويقيم العدل وينشر الامن والسلام فى كل مكان ويدخل فى التضامن ايضا الاصلاح بين المسلمين وحل النزاع المسلح بينهم وقتال الطائفة الباغية حتى تفىء الى أمر الله عملا بقول الله عز وجل : فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم وقوله سبحانه (وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى امر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)
ففى هذه الآيات الكريمات امر الله المسلمين جميعا بتقواه سبحانه والقيام بالاصلاح بينهم عموما وبالاصلاح بين الطائفتين المقتتلتين منهم خصوصا وقتال الطائفة الباغية حتى ترجع عن بغيها وان يكون الصلح على اسس سليمة قائمة على العدل والانصاف لا على الميل والجور ، وفيها التصريح بأن المؤمنين جميعا اخوة وان اختلفت الوانهم ولغاتهم وتناءت ديارهم فالاسلام يجمعهم ويوحد بينهم ويوجب عليهم العدل فيما بينهم والتصافى والكف من عدوان بعضهم على بعض ويوجب على اخوانهم الاصلاح بينهم اذا تنازعوا . ثم ختم الله هذه الآية بالامر بالتقوى وعلق الرحمة على ذلك فقال (واتقوا الله لعلكم ترحمون) فدل ذلك على ان تقوى الله فى كل الامور هى سبب الرحمة والعصمة والنجاة وصلاح الاحوال الظاهرة والباطنة ويدخل فى التضامن ايضا تبادل التمثيل السياسى أو ما يقوم مقامه بين الحكومات الاسلامية لقصد التعاون على الخير وحل المشاكل التى قد تعرض بينهم بالطرق الشرعية واختيار الرجال الاكفاء فى عملهم ودينهم وامانتهم لهذه المهمة العظيمة ، ويدخل فى التضامن ايضا توجيه وسائل الاعلام الى ما فيه مصلحة الجميع وسعادة الجميع فى أمر الدين والدنيا وتطهيرها مما يضاد ذلك ، ومما ورد فى هذا الاصل الاصيل وهو التضامن الاسلامى والتعاون على البر والتقوى قوله عز وجل (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون) أمر الله سبحانه

فى هذه الآية الكريمة عبادة المؤمنين بأن يتقوه حق تقاته ويستمروا على ذلك ويستقيموا عليه حتى يأتيهم الموت وهم على ذلك ، وما ذاك الا لما فى تقوى الله عز وجل من صلاح الظاهر والباطن وجمع الكلمة وتوحيد الصف واعداد العبد لان يكون صالحا مصلحا وهاديا مهديا باذلا النفع لاخوانه كافا للاذى عنهم معينا لهم على كل خير ولهذا امر الله المؤمنين بعد ذلك بالاعتصام بحبله فقال (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وحبل الله سبحانه هو دينه الذى انزل به كتابه الكريم وبعث به رسوله الامين محمدا صلى الله عليه وسلم والاعتصام به هو التمسك به والعمل بما فيه والدعوة الى ذلك والاجتماع عليه حتى يكون هدف المسلمين جميعا ومحورهم الذى عليه المدار ومركز قوتهم هو اعتصامهم بحبله وتحاكمهم اليه وحل مشاكلهم على نوره وهداه وبذلك تجتمع كلمتهم ويتحد هدفهم ويكونون ملجأ لكل مسلم فى اطراف الدنيا وغوثا لكل ملهوف وقلعة منيعة وحصنا حصينا ضد اعدائهم وبهذا الاجتماع وهذا الاتحاد وهذا التضامن تعظم هيبتهم فى قلوب اعدائهم ويستحقون النصر والتأييد من الله عز وجل ويحفظهم سبحانه من مكائد العدو ومهما كانت كثرتهم كما وقع ذلك (بالفعل) لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضى الله عنهم واتباعهم باحسان فى صدر هذه الامة ففتحوا البلاد وسادوا العباد وحكموا بالحق وحقق الله لهم وعده الذى لا يخلف كما قال عز وجل (يأيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) .

وقال سبحانه : (ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور) وقال تعالى : (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وقال سبحانه (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لايشركون بى شيئا) وقال تعالى : **(وان تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعلمون محيط) . ففى هذه الآيات الكريمات حث المسلمين وتشجيعهم على التمسك بدينهم والقيام بنصره وذلك هو نصر الله فانه سبحانه وتعالى فى غاية الغنى عن عباده وانما المراد بنصره هو نصر دينه وشريعته واوليائه والله ناصر من نصره وخاذل من خذله وهو القوى العزيز وفى هذه الآيات ايضا البشارة العظيمة بأن الله عز وجل ينصر من نصره ويستخلفه فى الارض ويمكن له ويحفظه من مكائد الاعداء فالواجب على**

المسلمين جميعا اينما كانوا هــوالاعتصام بدين الله والتمسك بــه والتضامن فيما بينهم والتعـــاون على البر والتقوى ومناصحة مـــن ولاه الله امرهم والحذر من اسباب الشقاق والخلاف والرجوع فى حل المشاكل الى كتاب ربهم وســـنة نبيهم صلى الله عليه وسلم والتواصى فى ذلك كله بالحق والصبر عليــه مع الحذر من طاعة النفس والشيطان وبذلك يفلحون وينجحون ويسلمون من كيد اعدائهم ويكتب الله لهم العز والنصر والتمكين فى الارض والعاقبة الحميدة ويؤلف بين قلوبهم وينزع منها الغل والشحناء وينجيهم من عذابه يوم القيامة .

وفى هذا المعنى يقول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح (ان الله يرضى لكم ثلاثا : ان تعبدوه ولاتشركوا به شيئا ، وان تعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقـــوا ، وان تناصحوا من ولاه الله امركم) أخرجه مسلم فى صحيحه ومما ورد فى التضامن الاسلامى قوله جل وعلا : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) . وهذه الآية الكريمة من اصرح الآيات فى وجوب التضامن الاسلامى الذى حقيقته ومعنـــاه التعاون على البر والتقوى كمـــا سلف بيـــان ذلك وفيهـــا تحـــذير المسلمين من التعاون علـــى الاثـــم والعدوان لمـــا فى ذلك من الفســـاد الكبير والعواقب الوخيمة والتعرض لغضب الله سبحانه وتسليط الاعداء وتفريق الكلمة واختلاف الصفـــوف وحصول التنـــازع المفضى الى الفشل والخذلان . نســـأل الله للمسلمين العافية من ذلك . وفى قوله سبحانه فى ختـــام الآية : (واتقوا الله ان الله شديد العقاب) تحذير للمسلمين من مخالفة امره وارتكاب نهيه فينزل بهم عقابه الذى لاطاقة لهم به ، ومن الآيات الواردة فى التضامن ايضـــا قوله عز وجل (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصـــلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) وهذه الصفات العظيمة هى جمـــاع الخير وعنوان السعادة وســـبب صلاح امر الدنيـــا والآخرة ولهـــذا علق سبحانه وتعالى رحمتهم علـــى هذه الصفات الجليلة فقال : (اولئك سيرحمهم الله) ان الله عزيز حكيم فتبين بذلك ان الرحمة والنصر على العـــدو وسلامة العاقبة كل ذلك مرتب على القيـــام بحق الله وحق عبـــاده ولا يتم ذلك الا بالتناصح والتعاون والتضامن والصدق فى طلب الآخرة والرغبة فيمـــا عنـــد الله والانصاف من النفس وتحرى سبيل العـــدل وفى هذا المعنى يقول عـــز وجل (يا أيهـــا الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ان يكن غنيـــا او فقيرا فالله اولى بهما فلا

تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا ، فان الله كان بما تعملون خبيرا . ويقول عز وجل فى سورة المائدة : يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعلمون) وفى هاتين الآيتين أمر المؤمنين ان يقوموا لله بالقسط وان يشهدوا له بذلك فى حق العدو والصديق والقريب والبعيد وتحذيرهم من ان يحملهم الهوى حتى يحكموه فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضى ويسلموا تسليما) . وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تأويلا) ومما ورد من الاحاديث الشريفة فى التضامن الاسلامى الذى هو التعاون على البر والتقوى قول النبى صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) قيل لمن يا رسول الله ؟ قال : (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) اخرجه مسلم فى صحيحه وقوله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وشبك اصابعه . وقوله صلى الله عليه وسلم (مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر) اخرجهما البخارى ومسلم فى صحيحهما .. فهذه الاحاديث وما جاء فى معناها تدل دلالة ظاهرة على وجوب التضامن بين المسلمين والتراحم والتعاطف والتعاون على كل خير . **وفى تشبيههم بالبناء الواحد والجسد الواحد ما يدل على انهم بتضامنهم وتعاونهم وتراحمهم تجتمع كلمتهم وينتظم صفهم ويسلمون من شر عدوهم ومما يبشر بخير ومستقبل افضل ان جلالة الملك فيصل وفقه الله قد تبنى الدعوة لهذا الامر الجليل وهو تضامن المسلمين وتعاونهم على كل ما فيه اقامة دينهم وحفظ كيانهم وحصول مصالحهم المشتركة وحل مشاكلهم وقد بذل جلالته فى هذا السبيل جهودا مشكورة وقام باتصالات موفقة بعدد من الملوك والزعماء لشرح هذه الفكرة العظيمة والغرس النبيل وقد تكللت (بحمد الله) هذه الاتصالات بنجاح كبير وحصل لها فى الاوساط الاسلامية آثار حسنة وانتشرت هذه الدعوة بين المسلمين وتناقلتها اجهزة الاعلام فى كل مكان . ولا ريب ان جلالته يشكر شكرا جزيلا على ما بذله فى هذا السبيل من الجهود المباركة التى ادرك كل منصف آثارها الصالحة ونتائجها الطيبة . نسأل الله ان يجزل مثوبته وان يمنحه القوة والنشاط فى مواصلة جهوده الطيبة**

فى هـذا السبيل الخير وان يكلل اعمالــه بالنجاح انه خير مسؤول .

ومن المعلوم ان الدعوة الى هــذا الامر اعنى التضامن الاسلامى وبذل ما يمكن من الجهود فى تحقيقه من اهم الامور ومــن الواجبات المشتركة المتأكدة على جلالة الملك فيصل وعلــى غيره من ملوك المسلمــين وزعمائهم وعلمائهم واعيانهم ولكن خــادم الحرمين الشريفين أولى الناس بالقيام بهذا الامر وتحمل اعبائــه وتكريس الجهود الممكنة فى تحقيقــه لكونهفى الحقيقة هو قائد المسلمينورائدهم فى هذا العصــر وموضــع آمالهم الكبيرة (بعد الله عز وجل) ولديه من كرم الله وجوده من الامكانات ما يعينه على ذلك والمسلمون فى كل مكان يرجون من جلالته مضاعفــة الجهود فى هــذا السبيل والصبر علــى ذلك حتى يحقق الله للمسلمين على يديه ما يرجون من عزة وكرامة وجمع كلمة واتحاد صف وحفــظ كيان وانتشار للحق واقامة للعدل ونشر للامن والسلام فى ارجاء المعمورة ويرجو المسلمون ايضا من سائر ملوكهم وزعمائهم وعلمائهم واعيــانهم ان يضموا اصواتهم الى صوت جلالة الملك فيصل وجهودهم الى جهوده وان يشاركوه فى تحمل عبء هذه الرسالة العظيمة والمسؤولية الكبرى التــى فى تحقيقها سعادة الجميع وعزتهم فى الدنيا والآخرة وان يبذلوا جميعــا ما يستطيعون من الوسائل فى نشر هذه الدعوة ومساندة الداعين اليهــا وشرح محاسنها ومصالحها لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم حتــى يتحقق للجميع انشاء الله ما وراء هذه الدعوة المباركة من خير وأمــن وسلام للجميــع عملا بقول الله سبحانه (كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) . وقولــه تعالى (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) وامام الجميع فى هذه الدعوة العظيمة وقدوتهم فى هذا السبيل القيم هو نبيهم وسيدهم وقائدهم الاعظم نبينا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أول من دعا هذه الامة الى توحيد ربهــا والاعتصام بحبله وجمع كلمتها على الحق والوقوف صفا واحدا فى وجــه عدوها المشترك ، وفى تحقيق مصالحها وقضاياها العادلة عملا بقوله تعالى مخاطبا له : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهــم بالتى هى احسن) وقوله عز وجل : (قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى) .

وقد سار على نهجه القويم صحابته الكرام واتباعهم باحسان رضى الله عنهم وارضاهم فنجحوا فى ذلك غاية النجاح وحقق الله لهم ما وعدهم به من عزة وكرامة ونصر كما سبق التنبيه على ذلك والاشارة اليه فى اول هذه الكلمة ، ولا ريب ان الله عز وجل انما حقق لهم ما تقدمت الاشارة اليه بايمانهم الصادق وجهادهم العظيم واعمالهم الصالحة وصبرهم ومصابرتهم وصدقهم فى القول والعمل وتضامنهم وتكاتفهم فى ذلك لا بأنسابهم ولا بأموالهم .

كما قال تعالى (وما اموالكم ولااولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون) وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم (من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه) وقال عليه الصلاة والسلام (ان الله لاينظر الى صوركم ولا الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم) اخرجهما مسلم فى صحيحه فمن سار على سبيلهم ونهج نهجهم أعطاه الله كما اعطاهم وايده كما ايدهم فهو القائل عز وجل فى كتابه المبين (انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الحساب يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وهو القائل سبحانه : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون) وهو القائل عز وجل :(وكان حقا علينا نصر المؤمنين) .

والله عز وجل المسؤول ان يجمع كلمة المسلمين على الهدى وان يفقههم فى دينه وان يصلح ولاة امرهم ويهديهم جميعا صراطه المستقيم وان يمنحهم الصدق فى التضامن بينهم والتناصح والتعاون على الخير وان يعيذهم من التفرق والاختلاف ومضلات الفتن وان يحفظهم من مكائد الاعداء انه ولى ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

نائب رئيس الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة
عبدالعزيز بن عبدا لله بن باز

دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب

لفضيلة الشيخ محمد الامين الشنقيطي
المدرس في الجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد خاتم النبيين وأشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

الحمد لله الذي ختم الرسل بهذا النبي الكريم عليه من الله الصلاة والتسليم ، كما ختم الكتب السماوية بهذا القرآن العظيم ، وهدى الناس بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم ، فأخباره كلها صدق ، وأحكامه كلها عدل ، وبعضه يشهد بصدق بعض ولا ينافيه ، لأن آياته فصلت من لدن حكيم خبير . أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً .

أما بعد فان مقيد هذه الحروف ، عفا الله عنه ، أراد أن يبين في هذه الرسالة ما تيسر من أوجه الجمع بين الآيات التي يتوهم فيها التعارض في القرآن العظيم ، مرتبا لها بحسب ترتيب السور ، يذكر الجمع بين الآيتين غالبا في محل الاولى منهما وربما يذكر الجمع عند محل الاخيرة وربما يكتفي بذكر الجمع عند الاولى وربما يحيل عليه عند محل الاخيرة ولاسيما اذا كانت السورة ليس فيها مما يتوهم تعارضه الا تلك الآية فانه لا يترك ذكرها والاحالة على الجمع المتقدم ، وسميته : **(دفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب)** فنقول وبالله نستعين وهو حسبنا ونعم الوكيل راجين من الله الكريم ، ان يجعل نيتنا صالحة وعملنا كله خالصا لوجهه الكريم ، انه قريب مجيب رحيم .

(سورة البقرة)

قوله تعالى : **(ألم ذلك الكتاب)** اشار الله تعالى الى القرآن في هذه الآية اشارة البعيد وقد اشار له في آيات أخر اشارة القريب كقوله : **(ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)** وكقوله : **(ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل)** الآية . وكقوله :

(وهذا كتاب أنزلناه مبارك) ، وكقوله **(نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن)** ، الى غير ذلك من الآيات ، وللجمع بين هذه الآيات أوجه : — الاول — ما حرره بعض علماء البلاغة من ان وجه الاشارة اليه باشارة الحاضر القريب ان هذا القرآن قريب حاضر فى الاسماع والالسنة والقلوب ، ووجه الاشارة اليه باشارة البعيد هو بعد مكانته ومنزلته عن مشابهة كلام الخلق وعما يزعمه الكفار من أنه سحر أو شعر أو كهانة أو اساطير الاولين .

الوجه الثانى — هو ما اختاره ابن جرير الطبرى فى تفسيره من ان ذلك اشارة الى ما تضمنه قوله : **(الم)** وانه اشارة اليه اشارة البعيد لان الكلام المشار اليه منقض ومعناه فى الحقيقة القرب لقرب انقضائه وضرب له مثلا بالرجل يحدث الرجل فيقول له مرة : والله ان ذلك لكما قلت ، ومرة يقول : والله ان هذا لكما قلت ، فاشارة البعيد نظرا الى ان الكلام مضى وانقضى واشارة القريب نظرا الى قرب انقضائه .

الوجه الثالث — ان العرب ربما اشارت الى القريب اشارة البعيد فتكون الآية على اسلوب من اساليب اللغة العربية ونظيره قول خفاف ابن ندبة السلمى لما قتل مالك بن حرملة الفزارى :

فان تك خيلى قد أصيب صميمها
فعمدا على عينى تيممت مالكا
أقول له والرمح يأطر متنه
تأمل خفافا اننى انا ذلكا

يعنى أنا هذا وهذا القول الاخير حكاه البخارى عن معمر بن المثنى ابى عبيدة قاله ابن كثير . وعلى كل حال فعامة المفسرين على ان ذلك الكتاب بمعنى هذا الكتاب . قوله تعالى **(لاريب فيه)** هذه نكرة فى سياق النفى ركبت مع لا فبنيت على الفتح . والنكرة اذا كانت كذلك فهى نص فى العموم كما تقرر فى علم الاصول ، و « لا » هذه التى هى نص فى العموم هى المعروفة عند النحويين بـ « لا » التى لنفى الجنس ، أما « لا » العاملة عمل ليس فهى ظاهرة فى العموم لا نص فيه ، وعليه فالآية نص فى نفى كل فرد من افراد الريب عن هذا القرآن العظيم ، وقد جاء فى آيات اخر ما يدل على وجود الريب فيه لبعض من الناس كالكفار الشاكين كقوله تعالى : **(وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا)** ، وكقوله **(وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون)** ، وكقوله : **(بل هم فى شك يلعبون)** . ووجه الجمع فى ذلك ان القرآن بالغ من وضوح الادلة وظهور المعجزة ما ينفى تطرق أى ريب اليه ، وريب الكفار فيه إنما هو لعمى بصائرهم ، كما بينه بقوله تعالى : **(أفمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى** فصرح بأن من لا يعلم انه الحق أن ذلك انما جاءه من قبل عماه ومعلوم ان عدم رؤية الاعمى للشمس لا ينافى كونها لا ريب فيها لظهورها :

اذا لم يكن للمرء عين صحيحة
فلا غرو ان يرتاب والصبح مسفر
وأجاب بعض العلماء بأن قوله **لاريب فيه** خبر اريد به الانشاء أى لا ترتابوا فيه وعليه فلا اشكال .

قوله تعالى : **(هدى للمتقين)** . خصص فى هذه الآية هدى هذا الكتاب بالمتقين ، وقد جاء فى آية أخرى ما يدل على ان هداه عام لجميع الناس ، وهى قوله تعالى : **(شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس)** الآية . ووجه الجمع بينهما ان الهدى يستعمل فى القرآن استعمالين احدهما عام والثانى خاص . اما الهدى العام فمعناه ابانة طريق الحق وايضاح المحجة سواء سلكها المبين له أم لا ومنه بهذا المعنى قوله تعالى : **(وأما ثمود فهديناهم)** أى بينا لهم طريق الحق على لسان نبينا صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مع انهم لم يسلكوها بدليل قوله عز وجل : **(فاستحبوا العمى على الهدى)** ، ومنه ايضا قوله تعالى : **(انا هديناه السبيل)** ، أى بينا له طريق الخير والشر بدليل قوله : **(اما شاكرا واما كفورا)** . واما الهدى الخاص فهو تفضل الله بالتوفيق على العبد ومنه بهذا المعنى قوله تعالى : **(أولئك الذين هدى الله)** الآية . وقوله : **(فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام)** ، فاذا علمت ذلك فاعلم ان الهدى الخاص بالمتقين هو الهدى الخاص وهو التفضل بالتوفيق عليهم ، والهدى العام للناس هو الهدى العام ، وهو ابانة الطريق وايضاح المحجة، وبهذايرتفع الاشكال ايضا بين قوله تعالى : **(انك لا تهدى من أحببت)** مع قوله : **(وانك لتهدى الى صراط مستقيم)** ، لان الهدى المنفى عنه صلى الله عليه وسلم هو الهدى الخاص لان التوفيق بيد الله وحده ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ، والهدى المثبت له هو الهدى العام الذى هو ابانة الطريق وقد بينها صلى الله عليه وسلم حتى تركها محجة بيضاء ليلها كنهارها ، والله يدعو الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم .

قوله تعالى : **(ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون)** . هذه الآية تدل بظاهرها على عدم ايمان الكفار ، وقد جاء فى آيات أخر ما يدل على ان بعض الكفار يؤمن بالله ورسوله كقوله تعالى : **(قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف)** الآية . وكقوله **(كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم)** وكقوله **(ومن هؤلاء من يؤمن به)** ، ووجه الجمع ظاهر وهو ان الآية من العام المخصوص لانها فى خصوص الاشقياء الذين سبقت لهم فى علم الله الشقاوة المشار اليهم بقوله : **(ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايؤمنون . ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم)** . ويدل لهذا التخصيص قوله تعالى : **(ختم الله على قلوبهم)** الآية . واجاب

البعض بأن المعنى لا يؤمنون ما دام الطبع على قلوبهم واسماعهم والغشاوة على أبصارهم فان أزال الله عنهم ذلك بفضله آمنوا .

قوله تعالى : **(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم)** الآية . هذه الاية تدل بظاهرها على انهم مجبورون لان من ختم على قلبه وجعلت الغشاوة على بصره سلبت منه القدرة على الايمان . وقد جاء فى آيات أخر مايدل على ان كفرهم واقع بمشيئتهم وارادتهم كقوله تعالى : **(فاستحبوا العمى على الهدى)** ، وكقوله تعالى : **(اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة)** ، وكقوله : **(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)** الاية ، وكقوله : **(ذلك بما قدمت ايديكم)** الآية ، وكقوله : **(لبئس ماقدمت لهم انفسهم)** الاية .

والجواب : ان الختم والطبع والغشاوة المجعولة على اسماعهم وابصارهم وقلوبهم ، كل ذلك عقاب من الله لهم على مبادرتهم للكفر وتكذيب الرسل باختيارهم ومشيئتهم، فعاقبهم الله بعدم التوفيق جزاء وفاقا . كما بينه تعالى بقوله : **(بل طبع الله عليها بكفرهم)** وقوله **(ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم)** وبقوله **(ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة)** وقوله **(فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم)** وقوله **(فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا)**الآية . وقوله **بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)** ، الى غير ذلك من الآيات .

قوله تعالى : **(مثلهم كمثل الذى استوقد نارا)** الآية . افرد فى هذه الآية الضمير فى قوله استوقد وفى قوله ما حوله وجمع الضمير فى قوله : **(ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لايبصرون)** ، مع ان مرجع كل هذه الضمائر شيء واحد وهو لفظة الذى من قوله **(مثلهم كمثل الذى)** ،

والجواب عن هذا ان لفظة الذى مفرد ومعناها عام لكل ما تشمله صلتها ، وقد تقرر فى علم الاصول ان الاسماء الموصولة كلها من صيغ العموم ، فاذا حققت ذلك فاعلم ان افراد الضمير باعتبار لفظة الذى وجمعه باعتبار معناها ، ولهذا المعنى جرى على ألسنة العلماء ان الذى تأتى بمعنى الذين ومن امثلة ذلك فى القرآن هذه الآية الكريمة ، فقوله كمثل الذى استوقد اى كمثل الذين استوقدوا بدليل قوله **(ذهب الله بنورهم وتركهم) الآية)** . وقوله **(والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون)** وقوله : **(لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس)** أى كالذين ينفقون بدليل قوله **(لايقدرون على شيء مما كسبوا)** وقوله **(وخضتم كالذى خاضوا)** بناء على الصحيح من أن الذي فيها موصولة لا لا مصدرية ونظير هذا من كلام العرب قول الراجز :

يارب عبس لاتبارك فى أحد
فى قائم منهم ولا فى من قعد
الا الذى قاموا بأطراف المسد

وقول الشاعر وهو اشهب بن رميلة

وانشده سيبويه لاطلاق الذى وارادة الذين :

وان الذى حانت بفلج دماؤهم
هم القوم كل القوم يا ام خالد

وزعم ابن الانبارى ان لفظة الذى فى بيت اشهب جمع الذ بالسكون وان الذى فى الآية مفرد اريد به الجمع وكلام سيبويه يرد عليه . وقول عديل بن الفرخ العجلى :

وبت اساقى القوم اخوتى الذى
غوايتهم غيى ورشدهم رشدى

وقال بعضهم المستوقد واحد لجماعة معه ولا يخفى ضعفه .

قوله تعالى : **(صم بكم عمى)**الآية هذه الآية يدل ظاهرها على ان المنافقين لا يسمعون ولا يتكلمون ولا يبصرون ، وقد جاء فى آيات اخر ما يدل على خلاف ذلك كقوله تعالى : **(ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم)** وكقوله : **(وان يقولوا تسمع لقولهم)** الآية ، أى لفصاحتهم وحلاوة السنتهم ، وقوله **(فاذا ذهب الخوف سلقوهم بألسنة حداد)** الى غير ذلك من الآيات، ووجه الجمع ظاهر ، وهو انهم بكم عن النطق بالحق وان رأوا غيره ، وقد بين تعالى هذا الجمع بقوله : **(وجعلنا لهمسمعا وابصارا وافئدة)** الآية ، لان مالا يغنى شيئا فهو كالمعدوم ، والعرب ربما اطلقت الصمم على السماع الذى لا اثر له ومنه قول قعنب بن ام صاحب:

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به
وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقول الشاعر :

أصم عن الامر الذى لا اريده
واسمع خلق الله حين أريد

وقول الآخر :

فاصممت عمرا وأعميته
عن الجود والفخر يوم الفخار

وكذلك الكلام الذى لا فائدة فيه فهو كالعدم .

قال هبيرة بن ابى وهب المخزومى:

وان كلام المرء فى غير كنهه
لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها

قوله تعالى : **(فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة)** الآية . هذه الاية تدل على ان هذه النار كانت معروفة عندهم ، بدليل أل العهدية ، وقد قال تعالى فى سورة التحريم : **(قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة)** ، فتنكير النار هنا يدل على انها لم تكن معروفة عندهم بهذه الصفات . ووجه الجمع انهم لم يكونوا يعلمون ان من صفاتها كون الناس والحجارة وقودا لها فنزلت آية التحريم فعرفوا منها ذلك من صفات النار ، ثم لما كانت معروفة عندهم نزلت آية البقرة ، فعرفت فيها النار بأل العهدية لانها معهودة عندهم فى آية التحريم . ذكر هذا الجمع البيضاوى والخطيب فى تفسيريهما وزعما ان آية التحريم نزلت بمكة وظاهر القرآن يدل على هذا الجمع لان تعريف النار هنا بأل العهدية يدل على عهد سابق والموصول وصلته دليل على العهد وعدم قصدالجنس ولا ينافى ذلك ان سورة التحريم مدنيةوان الظاهر نزولها بعد البقرة ، كما روى

عن ابن عباس لجواز كون الآية مكية فى سورة مدنية كالعكس .

قوله تعالى : **(هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء)** الآية . هذه الآية تدل على ان خلق الارض قبل خلق السماء بدليل لفظة ثم التى هى للترتيب والانفصال وكذلك آية حم السجدة تدل ايضا على خلق الارض قبل خلق السماءلانه قال فيها : **(قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين)** الى ان قال **(ثم استوى الى السماء وهى دخان)** الآية . مع ان آية النازعات تدل على ان دحو الارض بعد خلق السماء لانه قال فيها : **(أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها)** . قال : **(والارض بعد ذلك دحاها)** . اعلم أولا ان ابن‌عباس‌رضى الله عنهما سئل عن الجمع بين آية السجدة وآية النازعات فأجاب بأن الله تعالى خلق الارض‌أولا قبل السماء غير مدحوة ثم استوى الى السماء فسواهن سبعا فى يومين ثم دحا الارض بعد ذلك وجعل فيها الرواسى والانهار وغير ذلك ، فاصل خلق الارض قبل خلق السماء ودحوها بجبالها واشجارها ونحو ذلك بعد خلق السماء ، ويدل لهذا انه قال : **(والارض بعد ذلك دحاها)** ولم يقل خلقها ، ثم فسر دحوه أياها بقوله : **(اخرج منها ماءها ومرعاها)** الآية . وهذا الجمع الذى جمع به ابن عباس بين هاتين الآيتين واضح لا اشكال فيه مفهوم من ظاهر القرآن العظيم الا انه يرد عليه اشكال من آية البقرة هذه وايضاحه ان ابن عباس جمع بان خلق الارض قبل خلق السماء ودحوها بما فيها بعد خلق السماء وفى هذه الآية التصريح بان جميع ما فى الارض مخلوق قبل خلق السماء لانه قال فيها : **(هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ثم استوى الى السماء)** الآية . وقد مكثت زمنا طويلا أفكر فى حل هذا الاشكال حتى هدانى الله اليه ذات يوم ففهمته من القرآن العظيم ، وايضاحه ان هذا الاشكال مرفوع من وجهين كل منهما تدل عليه آية من القرآن :

الاول — ان المراد بخلق ما فى الارض جميعا قبلخلق السماء الخلق اللغوى الذى هو التقدير لا الخلق بالفعل الذى هو الابراز من العدم الى الوجود والعرب تسمى التقدير خلقا ومنه قول زهير :

ولانت تفرى ما خلقت وبعـ
ـض القوم يخلق ثم لايفرى

والدليل على ان المراد بهذا الخلق التقدير انه تعالى نص على ذلك فى سورة فصلت حيث قال : **(وقدر فيها اقواتها)** ثم قال **(ثم استوى الى السماء وهى دخان)** الآية .

الوجه الثانى : انه لما خلق الارض غير مدحوة وهى اصل لكل ما فيها كأنه خلق بالفعل لوجود اصله فعلا والدليل من القرآن على ان وجود الاصل يمكن‌به اطلاق الخلق‌على الفرع وان لم يكن موجودا بالفعل . قوله تعالى : **(ولقد خلقناكم ثم صورناكم‌ثم قلنا للملائكة)** الآية . فقوله خلقناكم

ثم صورناكم أى بخلقنا وتصويرنا لابيكم آدم هو اصلكم . وجمع بعض العلماء بان معنى قوله والارض بعد ذلك دحاها ، اى مع ذلك ، فلفظة بعد بمعنى مع ونظيره قوله تعالى : **(عتل بعد ذلك زنيم)** وعليه فلا اشكال فى الآية ، ويستأنس لهذا القول بالقراءة الشاذة وبها قرأ مجاهد : الارض مع ذلك دحاها ، وجمع بعضهم باوجه ضعيفة لانها مبنيةعلى انخلق السماء قبل الارض وهو خلاف التحقيق منها ان **« ثم »** بمعنىالواو منها انهاللترتيب الذكرى كقوله تعالى : **(ثم كان من الذين آمنوا)** الآية .

قوله تعالى : **(ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات)** الاية افرد هنا تعالى لفظ « السماء » ورد عليه الضمير بصيغة الجمع فى قوله **« فسواهن »** وللجمع بين ضميرالجمع ومفسره المفرد وجهان :

الاول — ان المراد بالسماء جنسها الصادق بسبع سموات وعليه فأل جنسية .

الثانى — انه لا خلاف بين اهل اللسان العربى فى وقوع اطلاق المفرد وارادة الجمع مع تعريف المفرد وتنكيره واضافته ، وهوكثير فى القرآن العظيم وفى كلام العرب . فمن امثلته فى القرآن واللفظ معرف قوله تعالى : **(وتؤمنون بالكتاب كله)** أى بالكتب كلها بدليل قوله تعالى : **(كل آمن بالله وملائكته وكتبه)** ، وقوله : **(وقل آمنت بما انزل الله من كتاب)** وقوله تعالى **(سيهزم الجمع ويولون الدبر)** يعنى الادبار ، كما هو ظاهر ، وقوله تعالى **(اولئك يجزون الغرفة)** يعنى الغرف بدليل قوله تعالى **(لهم غرف من فوقها غرف مبنية)** وقوله تعالى **(وهم فى الغرفات آمنون)** وقوله تعالى **(وجاء ربك والملك صفا صفا)** أى الملائكة بدليل قوله تعالى **(هل ينظرون الا ان يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة)** وقوله تعالى **(أو الطفل الذين لم يظهروا)** الاية ، يعنى الاطفال الذين لم يظهروا ، وقوله تعالى : **(هم العدو فاحذرهم)** الآية يعنى الاعداء .

ومن امثلتهواللفظ منكر قولهتعالى: **(ان المتقين فى جنات ونهر)** يعنىوانهار بدليل قوله تعالى **(فيها انهار من ماء غير آسن) الآية** ، وقوله تعالى **(واجعلنا للمتقين اماما) يعنى** أئمة ، وقوله تعالى **(مستكبرين به سامرا تهجرون)** يعنى سامرين ، وقوله **(ثم نخرجكم طفلا)** يعنى اطفالا ، وقوله **(لانفرق بين احد منهم)** أى بينهم ، وقوله تعالى **(وحسن أولئك رفيقا)** أى رفقاء ، وقوله **(وان كنتم جنبا فاطهروا)** ، اى جنبين أو اجنابا وقوله **(والملائكة بعد ذلك ظهير)** أى ظاهرون لدلالة السياق فيها كلها على الجمع . واستدل سيبويه لهذا بقوله **« فان طبن لكم عن شىء منه نفسا »** أى انفسا .

ومن امثلته واللفظ مضاف قوله تعالى **(ان هؤلاء ضيفى)** الآية ، يعنى اضيافى ، وقوله **(فليحذر الذين يخالفون عن امره)** الآية أى اوامره

وأنشد سيبويه لاطلاق المفـــــرد وارادة الجمع قو لالشاعر ، وهـــو علقمة بن عبدة التميمى :

بها جيف الحسرى فاما عظامها
فبيض واما جلدهـــــا فصليب

يعنى وأماجلودها فصلبية . وانشد له أيضا قول الآخر :

كلوا فى بعض بطنكم تعفــــــوا
فان زمانكـــــم زمـــن خميص

يعنى فى بعض بطونكم .

ومن شواهده قول عقيل بن علفة المرى :

وكان بنـــــو فزارة شر عــــم
وكنت لهم كشر بنى الاخينـــا

يعنى شر اعمام . وقول العباس بن مرداس السلمى :

فقلنا اسلموا انـــــا اخوكـــم
وقد سلمت من الاحن الصدور

يعنى انا اخوانكم . وقول الآخر :

يا عاذلاتى لا تردن ملامــــــة
ان العواذل ليس لى بأمـــير

يعنى لسن لى بامراء .

وهذا فى النعتبالمصدر مطرد كقول زهير :

متى يشتجر قوم يقل سرواتهم
هم بيننا هم رضى وهم عـــدل

ولاجل مراعـــــاة هذا لم يجمع فى القرآن السمع والطرف والضيف لان اصلها مصادر كقوله تعالى : (**ختـــم الله على قلوبهم وعلى سمعهم**) وقوله (**لايرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء**) وقوله تعالى (**ينظرون من طرف خفى**) وقوله (**ان هؤلاء ضيفى**) .

قوله تعالى :(**ياآدم اسكن انـــت وزوجك الجنة ..**) الآية . يتوهـــم معارضته مع قوله (**حيث شئتما**) .

والجواب : ان قوله (**اسكن**) أمر بالسكنى لا بالسكون الذى هو ضـــد الحركة فالامر باتخاذ الجنة مسكنا لا ينافى التحرك فيها وأكلهما من حيث شاءا .

قوله تعالى : (**ولا تكونوا أولكافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ..**) الآية . جاء فى هذه الايةبصيغة خطاب الجمع فى قوله ولا تكونوا ولا تشتروا وقد افرد لفظة كافر ، ولم يقـــل ولا تكونوا اول كافرين ووجه الجمع بين الافراد والجمع فى شىء واحد : ان معنى ولا تكونوا أول كافر أى أول فريق كافر ، فاللفظ مفرد والمعنى جمع فيجوز مراعاة كل منهما ، وقد جمع اللغتين قول الشاعر :

فاذا هم طعموا فألأم طـــاعم
واذا هم جاعوا فشر جيـــاع

وقيل هو من اطلاق المفرد وارادة الجمع كقول ابن علفة :

وكـــان بنـــو فزارة شر عـــم
. . . كمـــا تقدم قريبـــــا

قوله تعالى : (**الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم**) **الاية** . هذه الاية تدل بظاهرها على ان الظن يكفى فى امور المعاد ، وقد جاءت آيات اخر تدل على خلاف ذلك كقوله تعالى (**ان الظن لايغنى من الحق شيئا**) وكقوله (**ان هم الا يظنون**) . ووجـــه الجمع ان الظن بعنى اليقين ، والعرب تطلق الظن بمعنى اليقين ومعنى الشك . واتيـــان الظن بمعنى اليقين كثير فى

القرآن وفى كلام العرب . فمن امثلته فى القرآن هذه الاية وقوله تعالى **(قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة .)** الاية . وقوله تعالى: **(ورآى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها)** أى أيقنوا ، وقوله تعالى **(انى ظننت انى ملاق حسابيه)** أى أيقنت .

ونظيره من كلام العرب قول عميرة بن طارق :

بأن تفتزوا قومى واقعد فيكم
واجعل منى الظن غيبا مرجما

أى اجعل منى اليقين غيبا .

وقول دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج
سراتهم فى الفارسى المسرد

فقوله ظنوا أى ايقنوا .

قوله تعالى لبنى اسرائيل : **(وانى فضلتكم على العالمين)** لا يعارض قوله تعالى فى تفضيل هذ هالامة : **(كنتم خير أمة اخرجت للناس)** الآية . لان المراد بالعالمين عالموا زمانهم بدليل الآيات والاحاديث المصرحة بأن هذه الامة افضل منهم كحديث معاوية بن حيدة القشيرى فى المسانيد والسنن ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنتم توفون سبعين امة أنتم خيرها وأكرمها على الله » . ألا ترى ان الله جعل المقتصد منهم هو اعلاهم منزلة حيث قال : **(منهم امة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون)** ، وجعل فى هذه الامة درجة اعلى من درجة المقتصد وهى درجة السابق بالخيرات حيث قال تعالى : **(ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات)** الاية .

قوله تعالى : **(واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم)** الآية .

ظاهر هذه الآية الكريمة يدل على ان استحياء النساء من جملة العذاب الذى كان يسومهم فرعون . وقد جاء فى آية اخرى ما يدل على ان الاناث هبة من هبات الله لمن اعطاهن له وهى قوله تعالى : **(يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور)** فبقاء بعض الاولاد على هذا خيرمن موتهم كلهم كما قال الهذلى :

حمدت الهى بعد عروة اذ نجا
خراش وبعض الشراهون من بعض

والجواب عن هذا ان الاناث وان كن هبة من الله لمن اعطاهن له فبقاؤهن تحت يد العدو يفعل بهن ما يشاء من الفاحشة والعار ويستخدمهن فى الاعمال الشاقة نوع من العذاب ، وموتهن راحة من هذا العذاب وقد كان العرب يتمنون موت الاناث خوفا من مثل هذا . قال بعض شعراء العرب فى ابنة له تسمى مودة :

مودة تهوى عمر شيخ يسره
لها الموت قبل الليل لوانها تدرى
يخاف عليها جفوة الناس بعده
ولاختن يرجى اود من القبر

وقال الآخر :

تهوى حياتى واهوى موتها شفقا
والموت اكرم نزال على الحرم

وقال عقيل بن علفة المرى لما خطبت

عنه ابنته الجرباء :

انى وان سيق الى المهر
عبد والفان وذود عشر
أحب اصهارى الى القبر

وقال بعض الادباء :

سروران مالهمـا ثالـث
حياة البنين وموت البنات

وفى القرآن اشارة الى ان الانسان يسوءه اهانة ذريته الضعاف بعد موته فى قوله تعالى : **(وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم)** .

قوله تعالى : (وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم)، هذه الآية الكريمة تدل على ان الله اكرم بنى اسرائيل بنوعين من انواع الطعام وهما المن والسلوى ، وقد جاء فى آية اخرى ما يدل على انهم لم يكن عندهم الا طعام واحد ، وهى قوله تعالى : **(واذ قلتم ياموسى لن نصبر على طعام واحد)**، وللجمع بينهما اوجه:

الاول — ان المن وهو الترنجبين على قول الاكثرين من جنس الشراب والطعام الواحد هو السلوى ، وهو على قول الاكثرين السمانى او طائر يشبهه .

الوجه الثانى — ان المجعول على المائدة الواحدة تسميه العرب طعاما واحدا وان اختلفت انواعه . ومنه قولهم : اكلنا طعام فلان ، وان كان انواعا مختلفة . والذى يظهر ان هذا الوجه اصح من الاول لان تفسير المن بخصوص الترنجبين يرده الحديث المتفق عليه : « الكمأة من المن .. » الحديث .

الثالث — انهم سموه طعاما واحدا لانه لا يتغير ولا يتبدل كل يوم ، فهو مأكل واحد وهو ظاهر .

قوله تعالى : **(أفكلما جاءكم رسول بما لاتهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)** . هذه الآية تدل على انهم قتلوا بعض الرسل ، ونظيرها قوله تعالى **(قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم)** الآية . وقوله **(كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون)** . وقد جاء فى آيات أخر ما يدل على ان الرسل غالبون منصورون كقوله : **(كتب الله لاغلبن انا ورسلى)** ، وكقوله **(ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون)**، وقوله تعالى : **(فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم)** وبين تعالى ان هذا النصر فى دار الدنيا ايضا كما فى هذه الآية الاخيرة وكما فى قوله : **(انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا)** الآية . والذى يظهر فى الجواب عن هذا ان الرسل قسمان : قسم امروا بالقتال فى سبيل الله ، وقسم امروا بالصبر والكف عن الناس ، فالذين امروا بالقتال وعدهم الله بالنصر والغلبة فى الآيات المذكورة ، والذين امروا بالكف والصبر هم الذين قتلوا ليزيد الله رفع درجاتهم العلية

بقتلهم مظلومين ، وهذا الجمع مفهوم من الآيات لان النصر والغلبة فيه الدلالة بالالتزام على جهاد ومقاتلة ، ولايرد على هذا الجمع قوله تعالى : **(وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير)** الآية . اما على قراءة « قاتل »بصيغة الماضى من فاعل فالامر واضح ، واما على قراءة « قتل » بالبناء للمفعول فنائب الفاعل قوله ربيون لاضمير نبى وتطرق الاحتمال يرد الاستدلال ، واما على القول بأن غلبة الرسل ونصرهم بالحجة والبرهان فلا اشكال فى الآية والله اعلم .

قوله تعالى : **(ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه)** الآية . الاستفهام فى هذه الآية انكارى ومعناه النفى ، فالمعنى : لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله . وقد جاءت آيات أخر يفهم منها خلاف هذا كقوله تعالى : **(فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا)** الآية . وقوله **(فمن أظلم ممن كذب على الله)** وقوله **(ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ..)** الآية ، الى غير ذلك من الآيات .

وللجمع بين هذه الآيات اوجه :

منها — تخصيص كل موضع بمعنى صلته : اى لا احد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله — ولا احد من المفترين أظلم ممن افترى على الله كذبا ، واذا تخصصت بصلاتها زال الاشكال .

ومنها — ان التخصيص بالنسبة الى السبق ، اى لما لم يسبقهم احد الى مثله حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكا طريقهم وهذا يؤول معناه الى ماقبله ، لان المراد السبق الى المانعية والافترائية مثلا .

ومنها — وادعى ابو حيان انه الصواب ، هو ماحاصله ان نفى التفضيل لايستلزم نفى المساواة ، فلم يكن احد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر لانهم يتساوون فى الاظلمية فيصير المعنى : لا احد أظلم ممن منع مساجد الله ومن افترى على الله كذبا ومن كذب بآيات الله ، ولا اشكال فى تساوى هؤلاء فى الاظلمية ولايدل على ان احدهم أظلم من الآخر كما اذا قلت لا أحد أفقه من فلان وفلان مثلا . ذكر هذين الوجهين صاحب الاتقان .

وما ذكره بعض المتأخرين من ان الاستفهام فى قوله : ومن أظلم المقصود منه التهويل والتفظيع من غير قصد اثبات الاظلمية للمذكور حقيقة ولانفيها عن غيره كما ذكره عنه صاحب الاتقان يظهر ضعفه لانه خلاف ظاهر القرآن .

قوله تعالى : **(ولله المشرق والمغرب)** الآية . افرد فى هذه الآية المشرق والمغرب وثناهما فى سورة الرحمن فى قوله : **(رب المشرقين ورب المغربين)** وجمعهما فى سورة سأل سائل فى قوله **(فلا اقسم برب المشارق والمغارب)**، وجمع المشارق فى سورة الصافات فى قوله **(رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق)** .

والجواب ان قوله هنا ((**ولله المشرق والمغرب**)) المراد به جنس

المشرق والمغرب فهو صادق بكل مشرق من مشارق الشمس التى هى ثلاثمائة وستون ، وكل مغرب من مغاربها التى هى كذلك كما روى عن ابن عباس وغيره .

قال ابن جرير فى تفسير هذه الآية مانصه :

وانما معنى ذلك ولله المشرق الذى تشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذى تغرب فيه كل يوم فتأويله اذا كان ذلك معناه : ولله ما بين قطرى المشرق وقطرى المغرب اذا كان شروق الشمس كل يوم من موضع منه لاتعود لشروقها منه الى الحول الذى بعده وكذلك غروبها ، انتهى منه بلفظه . وقوله رب المشرقين ورب المغربين يعنى مشرق الشتاء ومشرق الصيف ومغربهما كما عليه الجمهور — وقيل : مشرق الشمس والقمر ومغربهما ، وقوله برب المشارق والمغارب أى مشارق الشمس ومغاربها كما تقدم . وقيل مشارق الشمس والقمر والكواكب ومغاربها والعلم عند الله تعالى .

قوله تعالى : **(بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون)** عبر فى هذه الآية بـ « ما » الموصولة الدالة على غير العقلاء ، ثم عبر فى قوله (قانتون) بصيغة الجمع المذكر الخاص بالعقلاء .

ووجه الجمع : ان ما فى السماوات والارض من الخلق منه العاقل وغير العاقل ، فغلب فى الاسم الموصول غير العاقل ، وغلب فى صيغة الجمع العاقل ، والنكتة فى ذلك انه قال : **(بل له ما فى السموات والارض)** وجميع الخلائق بالنسبة لملك الله اياهم سواء عاقلهم وغيره ، فالعاقل فى ضعفه وعجزه بالنسبة الى ملك الله كغير العاقل . ولما ذكر القنوت وهو الطاعة وكان اظهر فى العقلاء من غيرهم عبر بما يدل على العقلاء تغليبا لهم .

قوله تعالى **(قد بينا الآيات لقوم يوقنون)** . هذه الآية تدل بظاهرها على ان البيان خاص بالموقنين .

وقد جاءت آيات اخر تدل على ان البيان عام لجميع الناس كقوله تعالى **(كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون)** وكقوله **(هذا بيان للناس)** . ووجه الجمع ان البيان عام لجميع الخلق ، الا انه لما كان الانتفاع به خاصا بالمتقين خص فى هذه الآية بهم لان ما لانفع فيه كالعدم . ونظيرها قوله تعالى : **(انما انت منذر من يخشاها)** وقوله **(انما تنذر من اتبع الذكر)** الآية ، مع انه منذر للاسود والاحمر ، وانما خص الانذار بمن يخشى ومن يتبع الذكر لانه المنتفع به .

قوله تعالى : **(وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه)** الآية . قوله تعالى فى هذه الآية الا لنعلم يوهم انه لم يكن عالما بمن يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه مع انه تعالى عالم بكل شيء قبل وقوعه ، فهو يعلم ماسيعمله الخلق كما دلت

عليه آيات كثيرة كقوله : **(هو اعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ انتم أجنة فى بطون امهاتكم فلا تزكوا أنفسكم)** ، وقوله تعالى : **(ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون)**.

والجواب عن هذا ان معنى قوله تعالى الا لنعلم علما يترتب عليه الثواب والعقاب فلا ينافى كونه عالما به قبل وقوعه ، وقد اشار تعالى الى انه لايستفيد بالاختبار علما جديدا لانه عالم بما سيكون حيث قال تعالى **(وليبتلى الله مافى صدوركم وليمحص مافى قلوبكم والله عليم بذات الصدور)** . فقوله والله عليم بذات الصدور بعد قوله ليبتلى دليل على انه لايفيده الاختبار علما لم يكن يعلمه سبحانه وتعالى عن ذلك بل هو تعالى عالم بكل ما سيعمله خلقه وعالم بكل شىء قبل وقوعه كما لا خلاف فيه بين المسلمين ، لايعزب عنه مثقال ذرة الآية .

قوله تعالى : **(ولاتقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل احياء)** الآية . هذه الآية تدل بظاهرها على ان الشهداء احياء غير اموات ، وقد قال فى آية اخرى لمن هو افضل من كل الشهداء صلى الله عليه وسلم **(انك ميت وانهم ميتون)** .

والجواب عن هذا ان الشهداء يموتون الموتة الدنيوية فتورث أموالهم وتنكح نساءهم باجماع المسلمين ، وهذه الموتة التى اخبر الله نبيه انه يموتها صلى الله عليه وسلم وقد ثبت فى الصحيح عن صاحبه الصديق رضى الله عنه انه قال لما توفى صلى الله عليه وسلم بأبى انت وامى والله لايجمع الله عليك موتتين ، اما الموتة التى كتب الله عليك فقد متها وقال : من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات . واستدل على ذلك بالقرآن ورجع اليه جميع اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، واما الحياة التى اثبتها الله للشهداء فى القرآن وحياته صلى الله عليه وسلم التى ثبت فى الحديث انه يرد بها السلام على من سلم عليه فكلتاهما حياة بزرخية ليست معقولة لاهل الدنيا ، اما فى الشهداء فقد نص تعالى على ذلك بقوله ولكن لاتشعرون ، وقد فسرها النبى صلى الله عليه وسلم بأنهم تجعل ارواحهم فى حواصل طيور خضر ترتع فى الجنة وتأوى الى قناديل معلقة تحت العرش فهم يتنعمون بذلك ، واما ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم من انه لايسلم عليه احد الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام وان الله وكل ملائكته يبلغونه سلام امته فان تلك الحياة ايضا لا يعقل حقيقتها اهل الدنيا لانها ثابتة له صلى الله عليه وسلم مع ان روحه الكريمة فى أعلى عليين مع الرفيق الاعلى فوق ارواح الشهداء فتعلق هذه الروح الطاهرة التى هى فى اعلى عليين بهذا البدن الشريف الذى لاتأكله الارض يعلم الله حقيقته ولا يعلمها الخلق كما قال فى جنس ذلك **(ولكن لاتشعرون)** ولو كانت كالحياة التى يعرفها اهل الدنيا

لما قال الصديق رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم مات ولما جاز دفنه ولا نصب خليفة غيره ولا قتل عثمان ولا اختلف اصحابه ولاجرى على عائشة ما جرى ولسألوه عن الاحكام التى اختلفوا فيها بعدهكالعول وميراث الجد والاخوة ونحو ذلك . وإذا صرح القرآن بأن الشهداء أحياء فى قوله تعالى بل احياء ، وصرح بأن هذه الحياة لايعرف حقيقتها اهل الدنيا بقوله ولكن لاتشعرون ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم اثبت حياته فى القبر بحيث يسمع السلام ويرده واصحابه الذين دفنوه صلى اللهعليه وسلم لاتشعر حواسهم بتلك الحياة عرفنا انها حياة لايعقلها اهل الدنيا ايضا ، ومما يقرب هذا للذهن حياة النائم فانه يخالف الحى فى جميع التصرفات مع انه يدرك الرؤيا ويعقل المعانى والله تعالى اعلم .

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتاب الروح مانصه: ومعلوم بالضرورة ان جسده صلى الله عليه وسلم فى الارض طرى مطرا وقد سأله الصحابة : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت ؟ فقال : « ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء » ولو لم يكن جسده فىضريحه لما اجاب بهذا الجواب ، وقد صح عنه ان الله وكل بقبره ملائكة يبلغونه عن امته السلام ، وصح عنه انه خرج بين ابى بكر وعمر وقال « هكذا نبعث » هذا مع القطع بأن روحه الكريمة فى الرفيق الاعلى فى أعلى عليين مع ارواح الانبياء ، وقد صح عنه انه رأى موسى يصلى فى قبره ليلة الاسراء ورآه فى السماء السادسة او السابعة ، فالروحكانت هناك ولها اتصال بالبدن فى القبر واشراف عليه وتعلق به بحيث يصلى فى قبره ويرد سلام من يسلم عليه وهى فى الرفيق الاعلى ولا تنافى بين الامرين ، فان شأن الارواح غير شأن الابدان انتهى محل الغرض من كلام ابن القيم بلفظه ، وهو يدل على ان الحياة المذكورة غير معلومة الحقيقة لاهل الدنيا . قال تعالى : **(بل احياء ولكن لاتشعرون)** والعلم عند الله .

قوله تعالى : **(أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولايهتدون)** . هذه الآية الكريمة تدل بظاهرها على ان الكفار لاعقول لهم اصلا لان قوله شيئا نكرة فى سياق النفى فهى تدل على العموم وقد جاءت آيات أخر تدل على ان الكفار لهم عقول يعقلون بها فى الدنيا كقوله تعالى : **(وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوامستبصرين)**.والجواب انهم يعقلون امور الدنيا دون امور الآخرة كما بينه تعالى بقوله : **(وعد الله لايخلف الله وعده ولكن اكثر الناسلايعلمون يعلمونظاهرامنالحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون)**.

قوله تعالى : **(انما حرم عليكم الميتة والدم)** الآية . هذه الآية تدل بظاهرها على ان جميع انواع الدم حرام ، ومثلها قوله تعالى فى سورة

النحل (**انما حرم عليكم الميتة والدم**) الآية ، وقوله فى سورة المائدة (**حرمت عليكم الميتة والدم**) الآية . وقد ذكر فى آية اخرى ما يدل على ان الدم لا يحرم الا اذا كان مسفوحا وهى قوله تعالى فى سورة الانعام (**الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا**) الآية .

والجواب ان هذه المسألة من مسائل تعارض المطلق والمقيد والجارى على اصول مالك والشافعى واحمد حمل المطلق على المقيد لا سيما مع اتحاد الحكم والسبب ، كما هنا وسواء عندهم تأخر المطلق عن المقيد كما هنا او تقدم وانما قلنا هنا ان المطلق متأخر عن المقيد لان القيد فى سورة الانعام وهى نزلت قبل النحل مع انهما مكيتان الا آيات معروفة ، والدليل على ان الانعام قبل النحل قوله تعالى فى النحل (**وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك**) الآية ، والمراد به ما قص عليه فى الانعام بقوله (**وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر**) الآية واما كون الانعام نزلت قبل البقرة والمائدة فواضح لان الانعام مكية بالاجماع الا آيات منها والبقرة مدنية بالاجماع والمائدة من آخر ما نزل من القرآن ولم ينسخ منها شىء لتأخرها ، وعلى هذا فالدم اذا كان غير مسفوح كالحمرة التى تظهر فى القدر من اثر تقطيع اللحم فهو ليس بحرام لحمل المطلق على المقيد وعلى هذا كثير من العلماء ، وما ذكرنا من عدم النسخ فى المائدة قال به جماعة وهو على القول بأن قوله تعالى : (**فان جاءوك فاحكم بينهم**) الآية . وقوله (**أو آخران من غيركم**) غير منسوخين صحيح وعلى القول بنسخهما لايصح على الاطلاق ، والعلم عند الله تعالى .

قوله تعالى : (**اولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة**) الآية .

هذه الآية تدل بظاهرها على أن الله لايكلم الكفار يوم القيامة لان قوله تعالى ولايكلمهم فعل فى سياق النفى ، وقد تقرر فى علم الاصول ان الفعل فى سياق النفى من صيغ العموم وسواء كان الفعل متعديا او لازما على التحقيق خلافا للغزالى القائل بعمومه فى المتعدى دون اللازم وخلاف الامام ابى حنيفة رحمه الله فى ذلك فى حال لافى حقيقة لانه يقول ان الفعل فى سياق النفى ليس صيغة للعموم ولكنه يدل عليه بالالتزام اى لانه يدل على نفى الحقيقة ونفيها يلزمه نفى جميع الافراد ، فقوله : لا أكلت مثلا ينفى حقيقة الاكل فيلزمه نفى جميع افراده وايضاح عموم الفعل فى سياق النفى ان الفعل ينحل عن مصدر وزمن عند النحويين وعن مصدر وزمن ونسبة عند بعض البلاغيين ، فالمصدر داخل فى معناه اجماعا فالنفى الداخل على الفعل ينفى المصدر الكامن فى الفعل فيؤول الى معنى النكرة فى سياق النفى ومن العجيب ان ابا حنيفة رحمه الله يوافق الجمهور على ان الفعل فى سياق النفى ان اكد بمصدر نحو لاشربت شربا مثلا افاد العموم

مع انه لايوافق على افادة النكرة فى سياق النفى للعموم . وقد جاءت آيات اخر تدل على ان الله يكلم الكفار يوم القيامة كقوله تعالى : **(ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسأوا فيها ولا تكلمون)** الآية .

والجواب عن هذا بأمرين : الاول — وهو الحق : ان الكلام الذى نفى الله انه يكلمهم به هو الكلام الذى فيه خير ، واما التوبيخ والتقريع والاهانة فكلام الله لهم به من جنس عذابه لهم ولم يقصد بالنفى فى قوله ولايكلمهم . الثانى — انه لايكلمهم اصلا وانما تكلمهم الملائكة باذنه وامره .

قوله تعالى: **(كتب عليكم القصاص فى القتلى)** هذه الآية تدل بظاهرها على ان القصاص امر حتم لابد منه بدليل قوله تعالى كتب عليكم لان معناه فرض وحتم عليكم مع انه تعالى ذكر ايضا ان القصاص ليس بمتعين لان ولى الدم بالخيار فى قوله تعالى : **(فمن عفى له من اخيه شىء)** الآية . والجواب ظاهر وهو ان فرض القصاص والزامه فيما اذا لم يعف اولياء الدم او بعضهم ، كما يشير اليه قوله تعالى : **(ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل)** الآية .

قوله تعالى : **(كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية)** . الآية .
هذه الآية تعارض آيات المواريث بضميمة بيان النبى صلى الله عليه وسلم لان المقصود منها ابطال الوصية للوارثين منهم وذلك قوله صلى الله عليه وسلم « ان الله اعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث » والجواب ظاهر وهو ان آية الوصية هذه منسوخة بآيات المواريث والحديث المذكور بيان للناسخ وذهب بعض العلماء الى انها محكمة لامنسوخة وانتصر لهذا القول ابن حزم غاية الانتصار وعلى القول بأنها محكمة فهى من العام المخصوص فالوالدان والاقربون الذين يرثون لاوصية لهم بدليل آيات المواريث والحديث واما الوالدان اللذان لاميراث لهما كالرقيقين ، والاقارب الذين لايرثون فتجب لهم الوصية على هذا القول ولكن مذهب الجمهور خلافه وحكى العبادى فى الآيات البينات الاجماع على انها منسوخة مع ان جماعة من العلماء قالوا بعدم النسخ .

قال مقيده عفا الله عنه : التحقيق ان النسخ واقع فيها يقينا فى البعض لان الوصية للوالدين الوارثين والاقارب الوارثين رفع حكمها بعد تقرره اجماعا وذلك نسخ فى البعض لا تخصيص لان التخصيص قصر العام على بعض افراده لدليل ، اما رفع حكم معين بعد تقرره فهو نسخ لاتخصيص كما هو ظاهر ، وقد تقرر فى علم الاصول ان التخصيص بعد العمل بالعام نسخ واليه الاشارة بقول صاحب مراقى السعود :

وان اتى ما خص بعد العمل
نسخ والغير مخصصا جلى

والله تعالى اعلم ..



الثقافة التى نحتاج اليها

للدكتور محمد تقى الدين الهلالى : المدرس فى الجامعة

هذا موضوع مهم جدا وواسع يحتاج بيانه بالتفصيل الى تأليف كتاب مستقل ، ولكن نجمل الكلام فيه اجمالا حسبما يسمح به المقام فنقول : ان كل شعب يبغى ان يعيش سعيدا يحتاج الىامور ..

أولها : القوة الروحية وهى تتوقف على الدين الصحيح الذى يملأ قلوب أبناء الشعب ايمانا وحماسة ويؤلف بينهم ويكون العروة الوثقى التى لاتنفصم ، ومن اراد ان يرى بعينيه شاهدا على ذلك فلينظر الى العرب قبل الاسلام وبعـــده . أما حالهم قبل الاسلام فكل من له أدنى المام بالتاريخ يعرفهـــا حق المعرفة . ومن لم يكن له المام بالتاريخ ففى القرآن الذى هو كتاب متواتر لايشك فى تواتره أحد لاموافق ولامخالف ، فيرى فيه ان العرب كانوا يقتلون أولادهم بسبب الفقر ويئدون بناتهم لاسباب خسيسة وكانوا لايورثون الاناث ولا الصبيان لانهم كانوا يحصرون امتلاك الاموال فى من يحمل السلاح ويقاتل لان العاجز عن ذلك كالنساء والصبيان لايستطيع ان يدافع عن المال ويصـــد عنه غارات المغيرين المتوالية اذ كان يجب على كل من يملك شيئا ان يقاتل عنه ضرورة انه لم يكن لهم قانون ولادولة ولانظام ولاوازع دينى يكفهم عن سلب الاموال والارواح بل كانوا يرثون النســـاء زيادة على عدم توريثهم كما قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم ان ترثوا النساء كرها) سورة النساء .

قا ل ابن كثير فى تفسير هذه الآية : (قال البخارى بسنده الى ابن عباس قال كانوا اذا مات الرجل كان اولياؤه احق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شائوا لم يزوجوها فهم احـــق بهـــا من اهلها فنزلت هذه الآيـــة .. هكذا ذكره البخارى وأبو داود والنسائى وغيرهم من حديث أبـــى اسحق الشيبانى . ومن هنا نعلـــم فضل الاسلام على العرب اولا ثم عـــلى جميـــع المســـلمين ثـــم على جميع العالمين كيف رفع قـــدر النســاء بعد ان كن متاعا يورث كسائر الاموال ولم يكن احد يفكر لامـــن العرب ولا من غيرهم فى تسويتهـــن بالرجال فى حرية التصرف بأنفسهن وفى اموالهن حتى جاء الاسلام فرفع عنهن هذه العبودية وأعطاهن حقـــا

مساويا لرجال فى الميراث فيما فرض الله لهن وفى انهن اذا كن بالغات سن الرشد لايتزوجن الا برضاهن ولايستطيع احد ان يكرههن على التزوج بمن لايرغبن فيه ، ودونك الدليل : اخرج البخارى ومسلم من حديث ابى هريرة ان رسول اللهصلى الله عليه وسلم قال (لاتنكح الايِّم حتى تستأمر ولاتنكح البكر حتى تستأذن قالوا : يارسول الله وكيف أذنها ؟ قال ان تسكت).

وعن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال :(الثيب احق بنفسها من وليها والبكر تستأمر واذنها سكوتها) رواه مسلم . وفى لفظ أى من رواية ابن عباس (ليس للولى مع الثيب امر واليتيمة تستأمر .. رواه ابو داود والنسائى وصححه ابن حبان أ هـ . وانما اكتفى الشارع الحكيم من البكر بالصمت لغلبة الحياء عليها . قال العلماء فان وقع شكفى رضاها أمرت بالتكلم ويجب ان تخبر قبل ذلك بأنه لامكره لها وانها ان امتنعت لايستطيع احد ان يزوجها كما سيأتى صريحا فى الحديث . قال صاحب سبل السلام : (والاذن من البكر دائر بين القول والسكوت وانما اكتفى منها بالسكوت لانها قد تستحى من التصريح . وقد ورد فى رواية ان عائشة قالت : يارسول الله ان البكر تستحى . قال رضاها صماتها . اخرجه الشيخان. ولكن قالابن المنذر : يستحب ان يعلم ان سكوتها رضى ، قال ابن شعبان يقال لها ثلاثا ان رضيت فاسكتى وان كرهت فانطقى ا هـ .

حديث آخر عن ابن عباسانجارية بكرا اتت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت ان اباها زوجها وهى كارهة فخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه احمد وابو داود وابن ماجه واعلّ بالارسال ، واجيب عنه بأنه رواه أيوب بن سويد عن الثورى عن ايوب موصولا ، وكذلك رواه معمر ابن سليمان الرقى عن زيد بن حبان عن ايوب موصولا ، واذا اختلف فى وصل الحديث وارساله فالحكم لمن وصله ، قال المصنف الطعن فى الحديث لامعنى له لان له طرقا يقوى بعضها بعضا أ هـ .

وقال صاحب سبل السلام عقب هذا الحديث وقدتقدم حديث ابى هريرة المتفق عليه وفيه ولاتنكح البكر حتى تستأذن . وهذا الحديث افاد ما افاده فدل على تحريم اجبار الاب لابنته البكر على النكاح وغيره من الاولياء بالاولى والى عدم جواز اجبار الاب . ذهبت الحنفية والاوزاعى والثورى وابو ثور وابو عبيد وابن المنذر وهواحدى الروايتين لاحمد لما ذكر ولحديث مسلم : (البكر يستأذنها ابوها) وان قال البيهقى زيادة الاب فى الحديث غير محفوظة فقد رده المصنف بأنها زيادة عدل يعنى فيعمل بها ا. .

قال كاتب هذا المقال ومراده بالمصنف الحافظ ابنحجرالعسقلانى.

وذهب احمد والشافعى واسحاق

الى ان للاب اجبار ابنته البكر البالغة على النكاح عملا بمفهوم (الثيب احق بنفسها) كما تقدم فانه دل ان البكر بخلافها وان الولى احق بها ويرد بأنه مفهوم لايقاوم المنطوق وبأنه لو اخذ بعمومه لزم فى حق غير الاب من الاولياء وان لايخص الاب بجواز الاجبار ، وقال البيهقى فى تقوية كلام الشافعى ان حديث ابن عباس هذا محمول على انه زوجها من غير كفء ، قال المصنف جواب البيهقى هو المعتمد لانها واقعة عين فلا يثبت الحكم بها تعميما ، قلت كلام هذين الامامين محاماة عن كلام الشافعى ومذهبهم والا فتأويل البيهقى لادليل عليه فلو كان كما قال لذكرته المرأة بل قالت انه زوجها وهى كارهة فالعلة كراهتها فعليها علق التخيير لانها المذكورة فكأنه قال صلى الله عليه وسلم : اذا كانت كارهة فأنت بالخيار .

وقول المصنف انها واقعة عين كلام غير صحيح بل حكم عام لعموم علته فأينما وجدت الكراهة ثبت الحكم وقد اخرج النسائى عن عائشة رضى الله عنها ان فتاة دخلت عليها فقالت ان ابى زوجنى من ابن اخيه يرفع بى خسيسته وانا كارهة قالت اجلسى حتى يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء رسول الله فأخبرته فأرسل الى ابيها فدعاه فجعل الامر اليها فقالت : يارسول الله قد اجزت ما صنع ابى . ولكن اردت ان اعلم النساء ان ليس للآباء من الامر شىء . ولفظ النسائى علم للبكر والثيب وقد قالت هذا عنده صلى الله عليه وسلم فأقرها عليه والمراد بنفى الامر عن الآباء نفى للتزويج للكراهة لان السياق فى ذلك أ هـ .

قال صاحب هذا المقال : ان كان الاب مجبرا فما فائدة استئذان البكر وما فائدة صمتها او تصريحها بالاباء اذ لابد للاستئذان من نتيجة وهى اما صمت يدل على الرضا فتزوج او تصريح بالاباء يدل على الامتناع والكراهية فلا تزوج والا كان الاستئذان عبثا واوامر العقلاء تصان عن العبث فكيف بأمر سيد العلماء والحكماء صلوات الله وسلامه عليه والعجب من الشارح كيف لم يتنبه الى هذا المعنى ومن سوء الحظ انه ليس عندى فى الوقت الحاضر من شروح كتب الحديث غيره ..

قولها : ليرفع بى خسيسته قال فى اللسان يقال رفعت من خسيسته اذا فعلت به فعلا يكون فيه رفعته.

قال الازهرى يقال رفع الله خسيسة فلان اذا رفع حاله بعد انحطاطها أ هـ .

قال كاتب هذا المقال : ولا يخفى ان المصاهرة ترفع حال المتزوج وتلحقه بمنزلة من تزوج ابنته فاذا كان الشاب يتيما فقيرا ، وان كان البلوغ يضع لليتم حدا لكن عواقبه تستمر معه وكان عمه غنيا نابها من اشراف القوم فزوجه ابنته رفع ذلك من قدره واعلا منزلته بين الناس . وكأنى بغراب من عبيد الاستعمار

ينعب ويقول : كيف تدعون ان الاسلام اعطى النســاء حقوقهن فى الميراث كاملة غير منقوصة مع انه لم يجعل للمرأة الا نصف ميراث الرجل ، فأقول فى جوابه أن الاسلام حين جعل للمرأة نصف ميراث الرجل قد وفاها حقها ولم ينقصها شيئا لانه اوجب عــلى اخيها ان ينفق عليها ان كانت محتاجة ولم تكن متزوجة ولان الاســـلام اوجب على اخيها صداقايقدمهلزوجته زيادة على نفقتها ونفقة اولاده واخوته والصغار ووالديه اذا كانا محتاجين اما اخته فان تزوجت اخذت صداقها تتصرف فيه كيف تشاء وتأخذ ميراثها من والديها ونفقتها على زوجهـــا وكذلك نفقة اولادها وان كانت غنية ، فلو ان الاسلام ســوى بــين الاخ واخته مع ماوجبه على الاخ مــن النفقات التى لايجب منها شىء عــلى الاخت لكان قد حمله ما لايطيق فاذا كانت الاخت تجب نفقتها على ابيهــا او اخيها او زوجها ومع ذلك تأخذ نصف ما يأخذه اخوها على سبيل الاحتياط تحفظه انقلبات الزمان فقد رفق بها الاسلام غاية الرفق واكرمها غاية الاكرام .

ولو ان هذا الغراب كان منصفــا لوجه اللوم لسادته المستعمرين الذين ليس لهم نظـــام سماوى فى الميراث فهم يوزعونه على حسب الهــــوى ويضيعون اولادهم وبناتهم . ومتــى بلغت الفتاة عندهم ست عشرة سنة وكانت من الطبقة الفقيرة او المتوسطة يقول لهـــا الوالدان باللسان الفصيح ارحلى عنا واشتغلى لتكسبى رزقك فحسبنا ان نكتسب معيشتنا ومعيشة من يبقى من الصغار ، وهنا اذكــر قصة سمعتها من اذاعة لندن وهى ان فتى مصريا كان يتعلم فى بريطانيه وكان له صديق فى سنهمنالبريطانيين وكان بينهما الفة ومحبة يدرســـان جميعا ويتنزهان جميعــا فجـــاء البريطانى يوما الى الفتى المصـــرى يودعه فقال الفتى المصرى الى ايـــن فقال انا مسافر الى حيث اجد رزقى قال وكيف ذلك ؟ قال : البــارحة اعطانى والدى بضعة دنانير وقالا لى ياولدنا اذهب فى ارض الله واكتسب رزقك فقد بلغت ست عشرة ســـنة وانتهى واجبنا معك ، فأخذ الفتـــى المصرى يبكى بكاء شديدا وقال كيف يكون هذا ؟ كيف يسمح والـــداك بفراقك من اجل لقمة الخبز ؟ أقم معى هنا وانا اقتسم معك ما يبعثــه لى والدى فتبسم الفتى الانكليـــزى وشكر صديقه المصـــرى على طيـــب نفسه وقال له : ياصديقى هذا قانون عام فى بلادنا يجرى على وعلى غيرى وودعه وانصرف وتركه فى بكائه .

فهؤلاءالغربان الذين يقدســـون المستعمرين ويتلقون كل ما جاء منهم بالقبول والاجلال لايفكرون ابـــدا فى فظاعة طرد الابوين ابنتهمـــا فى الوقت الذى تكون فيه احوج ما كانت الى الحماية والرعاية فىسنالسادسة عشرة ويعرضانها للفجور كمن يخرج درة من صدفها ويلقيها فى مزبلة بل هـــذه اقبح ولكن عبيد الاستعمار

مضروبون بسوط هيبته قد فقدوا العقول التى وهبهم الله ليميزوا بها الحسن من القبيح فهم يرون كلما يفعله ائمتهم وان كان فى غاية القبح حسنا وكل ما يخالفهم وان كان فى غاية الحسن قبيحا كما الشاعر .

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما ان عين السخط تبدى المساوئا

هذا شأن عبيد الاستعمار الغربى، وكذلك عبيد الاستعمار الشيوعى فانهم مثلهم أو أضل سبيلا فانهم يقدسون الزعيم ويخترعون له من المزايا والفضائل حتى تضيق العبارات عما يريدون ان يصفوه به فاذا مله رفقاؤه وارادوا ان يتخلصوا منه ليستبدلوه بغيره وقلبوا له ظهر المجن وانزلوه من العرش وملأوا الدنيا بذمه وانتقاده انقلب مادحوه والمعجبون به، وسلقوه بألسنة حداد وقد لايكون بين اغراقهم فى مدحه ومبالغتهم فى ذمه الا عشية او ضحاها كما وقع لرؤساء اليهود حين اسلم عبد الله بن سلام رضى الله عنه فانه قال : يارسول الله ان اليهود قوم بهت وانهم اذا علموا باسلامى بهتونى وعابونى فاسألهم عنى قبل ان يعلموا باسلامى فسألهم النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا سيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا ، فخرج عبد الله بن سلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد خبأه فى بعض بيوته فقال : اشهد ان لااله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا : ارذلنا وابن ارذلنا واجهلنا وابن اجهلنا والقصة مذكورة فى صحيح البخارى.

وكنت قبل بضع سنين فى برلين فرآنى شاب شيوعى اتيمم على تراب فلما صليت قال لى : مافائدة التمسح على التراب ؟ الوضوء معقول لان فيه نظافة ، واما التمسح على التراب فهو امر شكلى مافيه فائدة فقلت له انت اخبرتنى ان ستالين ألف كتابا فى علم التربية وانه كتاب مقرر فى المدارس لتعليم علم التربية ، ومن المعلوم ان ستالين لم يكن قط معلما ولا مدير مدرسة فضلا عن ان يكون من المختصين بعلم التربية فكيف صار تأليفه فى علم التربية مقدما على غيره وهو رجل عسكرى قضى عمره كله فى الحروب وليس له المام بالتربية لاعلما ولا تعليما فتأليفه فى علم التربية امر شكلى اما التيمم بالتراب فمعناه التواضع لله تعالى والخضوع له وطلب العون منه والشفاء من المرض الذى حال بين المتيمم وبين الوضوء وهذا معنى الصلاة ايضا .

هذا الزمان زمان الجهل والفتن

فانظر الى مافشا فى الناس من تتن
يغمى على المرء فى ايام محنته
حتى يرى حسناما ليس بالحسن

والتتن الدخان الذى يشربه الناس .

والحاصل ان المقلدين للشرق والغرب خسروا انفسهم وفقدوا عقولهم وصاروا كالانعام بل هم اضلوا سبيلا فهم كما قال الله تعالى: (ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن

والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) ومع كل هذا التقديس تنكروا لالههم بعد موته وكان الذى انكره واظهر عيوبه وجرائمه هو نائبه وشريكه فى الحكم عشرات السنين (خروتشوف) ثم حل محله وتربى على منصة السيادة وورثه وظن انها تدوم له فلم يلبث ان ذاق مرارة العزل وهو حى واصبح فى خبر كان وكل ما جاء مقدس جديد اشتغلوا به ونسوا الذى قبله ولم يبالوا بالتناقض فصار مدح هؤلاء وذمهم سواء لان الذى يمدحونه اليوم يذمونه غدا والذى يثبتونه اليوم ينفونه غدا وبالعكس وما احسن ما حكاه الامام ابو محمد بن حزم ، قال : كان عندنا بالاندلس فقيه من اهل الفتوى وكان لايفتى حتى يتقدمه غيره فيكتب تحته قوله : موافق لما قاله الفقيه أعلاه . فاتفق ان الفقهاء اختلفوا فى مسألة فبعضهم أفتى فيها بالجواز وبعضهم أفتى بالتحريم فلما جاءوا بالصحيفة كتب اسفلها قولى موافق لما قاله الفقهاء اعلاه فقيل له انهم تناقضوا فقال وانا ايضا اتناقض كما تناقضوا .

وكانوا يعضلون النساء ويمنعوهن من الزواج لاغراض خسيسة فنهاهم الله عن ذلك فى مواضع من كتابه وانما ذكرنا بعض اخلاقهم قبل الاسلام ليعلم من لايعلم فضل الاسلام الصحيح عليهم وعلى كل من دان به من غيرهم ، واما حالهم بعد الاسلام فهى اوضح واظهر من من شمس يوم الصحو ، فما الذى غير حالهم من التشتت الى الاجتماع، ومن التخاذل الى التعاون ، ومن الجهل الى الحلم ، ومن الذل الى العز ، ومن الفقر الى الغنى ، ومن الخوف الى الامن ، ومن الضعة الى الرفعة الى السيادة ، ومن الضعف الى القوة ، ومن الفوضى الى النظام ، ومن تلك البقعة القاحلة الجرداء الى الاراضى المخصبة والجنات المثمرة ، والانهار المطردة والازهار الجميلة ، ومن البيوت الحقيرة الى القصور الشامخة فى آسية واوروبة وافريقية ؟ وكيف صارت الدول العظام التى كانت قبل اسلامهم هى الصالحة للبقاء لاتصلح الا للفناء .

الجواب ان علماء التاريخ وعلماء العمران وعلماء تطور الامم اتفقوا على امر وهو ان العرب بعد الاسلام صاروا اقوياء اغنياء سعداء متمدنين ذوى دولة ونظام ، ثم اختلفوا ، فالعقلاء المؤمنون بالله قالوا ان السبب المباشر فى ارتفاعهم من حضيض الهمجية الى سماء المدنية الفضلى هو الدين . واما الذين لا يؤمنون بالله وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون فقد اعتقدوا ان القرآن ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم نفخا فيهم روح الحياة وهذه الروح جعلتهم يتعلمون المدنية والعلوم من الامم المغلوبة التى

اندثرت مدنيتها وقد نسى هؤلاء او تناسوا القاعدة العظيمة وهى : (ان فاقد الشىء لايعطيه) .

لان تلك الامم وهى الفرس والبيزنطيون والروم لو كانت مدنيتهم صالحة للبقاء والنمو والحياة ما تغلب عليهم قوم متوحشون جهال — بزعمكم — خارجون من الصحراء ليس لهم علم ولاالاخلاق ، ولا معرفة بالعمران ولا بالاجتماع ولا بالسياسة ولا بالنظام وعلوم المغلوبين واخلاقهم لو بقيت فيها حياة وصلاح ما غلبوا ولنفعت اهلها فكيف لاتنفع اهلها وهم اعلم الناس بها وتنفع اعداءهم ؟ وهذا هو الحال عينه .

فهل سمعت بطبيب يصيبه مرض يعرف دواءه فيستعمل ذلك الدواء فلا ينفعه فيموت من علته ويموت كل قومه معه ثم يأتى اعداؤهم فيقرأون كتاب ذلك الطبيب ويأخذون منه الدواء فيستعملونه فيصحون عليه وهكذا يقال فى الصيدلى يركب دواء فلا ينفع ذلك الدواء احدا ، ثم يأتى عدوه فيقرأ كتابه ويتعلم منه تركيب الادوية فيدرك ما لم يدركه الصيدلى الذى اخترع الدواء وجربه مرارا وهكذا يقال فى الفلاح والصانع نعم لو قيل ان المسلمين انتصروا على اهل الارض بالاخلاق القرآنية ثم خدمتهم جنود السموات والارض كما وعدهم الله بذلك فتعلموا من الصناعات والحضارات مازادهم قوة ونظاما لكان ذلك قريبا . اما ان الغالب يأخذ القوة من المغلوب ، والحى يكتسب الحياة من الميت ، والقوى يقتبس القوة من الضعيف فذلك مالايكون ابدا .

ومثال آخر فى البلدان التى يغلب على اهلها الجهل بالكتاب والسنة ويكون للدجالين فيها سلطان عظيم فترى احدهم يبيع قصور الجنة بأثمان بخسة ويهب الاولاد للمصابين بالعقم من الرجال والنساء ويعطى الغنى وطول العمر والنجاح فى الامتحان والترقى فى مناصب الدولة وقدوم الغائب بسلامة وشفاء الامراض .. كل ذلك بدريهمات قليلة فيصدقه الاغبياء ، ومرة جاء احد الدجاجلة وقال : من يشترى قصرا فى الجنة بمائة ريال فقام رجل من العقلاء وقال هذا الف ريال اعطنى به بيتا فى هذه القرية وحين تسلمه لى اسلم لك الف ريال ، وانا اعلم انك لاتقدر على ذلك واذا كنت عاجزا ان تملك بيتا ولو حقيرا فى هذه القرية فكيف تملك قصرا فى الجنة ياقليل الحياء ؟. فسقط فى يده وضحك عليه الناس .

ومرة جاء دجال آخر وقال لرجل ابسط ثوبك فأخذ يأخذ بيديه كلتيهما حفنة من الهواء ويضع فى ثوبه ويقول هذا الرزق ثم يأخذ حفنة اخرى ثم يقول هؤلاء الاولاد الصالحون ثم يأخذ حفنة اخرى ويقول هذا العمر الطويل ثم يأخذ حفنة اخرى ويقول هذا الحج الى النبى المصطفى (والجهال فى المغرب يظنون ان الحج فى حجرة النبى صلى الله عليه وسلم)

ثم يأخذ حفنة اخرى ويقول هـــذا العز والجاه ثم يأخذ حفنة اخـــرى ويقول هذه قصور الجنة وهكذا لم يترك شيئا من الخير الاوضعه فى ثوبه بالكلام المجرد ثم قال اعطنـــى شيئا فجمع الرجل يده وغرف غرفـــة واعطاه اياها فقال خذ هذا ممـــا اعطيتنى ..

وهذا القرآن وهذه الدعوة المحمدية ليسا من الاشياء التى كانت فبانت كما يتوهمه الجاهلون وليسا مـــن الفصائل الحيوانية والنباتية التـــى انقرضت وحلت محلها فصائل اخرى ولن تعود الى الوجود ابدا كما يريد ان يوهمنا الاستعمار بل هما قـــوة باقية خالدة لاتزول ولاتحول ،ولك ان تطلب الدليل البارز الشاهد وعلى ان ادلى به فأقول : كيف نشأت الدولة العثمانية ؟ ومن اين استمدت قوتها .. من (هولاكو وتيمورلنك وجنكيز خان) ؟. لا والله فان هؤلاء كانوا غزاة متوحشين والتاريخ اصـــــدق شاهد،وانما استمدت قوتهاووجودها وصارت امبراطورية عظيمة استولت على آسيا وقسم كبير من اوروبة وافريقية من الاسلام ، ودونك شاهدا غير بعيد ولا منقرض بل هو قائم حاضر وهو الملكة السعودية .

كيف نشأت هذه الملكة فى قلـــب الامبراطورية العثمانية ، وناهيـــك بما كان للامبراطورية العثمانية من الحول والطول وقد تصدت بجميـــع قواها الحربية والدعائية لتحطيـــم الحركة الدينية الاصلاحية التطهيرية التى اشرق نورها من قلب جزيرة العرب بجوار الحرمين الشريفـــين اللذين هما شريان الخلافة العثمانية. لان أجل ألقاب السلطان العثمانـــى (خادم الحرمين) وزوال هذا اللقب ينذر بزوال الخلافـــة ثـــم بزوال الامبراطورية وهو نتيجة محتومـــة لزوال الخلافة ولذلك جمع السلطان العثمانى كل قواه وعبأ جيشه العظيم تحت قيادة محمد على باشا وابنـــه ابراهيم باشا وزحفوا على الامارة مدح النبى صلى الله عليه وســـــلم السعودية بعدماشنوا عليها حملات اقلام مضللة فعبأت الدولة العثمانية اسطولا بحريا وجيوشا برية بأحدث ما فى ذلك العصر من الاســـلحة مـــن المدافع والبنادق المجهـــزة بالحراب والسيوف واستمرت الحرب بـــين الدولة العثمانية بجيوشها المختلفـــة الالوان واللغات وانضم اليهم لصوص الجزيرة وخرابها بقيادة محمد على باشا ثم ابنه ابراهيم وابنه طوسون من سنة ١٢٢٦ هـ الى سنة ١٢٣٣ هـ ففتحوا الحجاز ثم نجدا بلدا فبلدا ، وقرية فقرية ، بل حيا فحيا .

وهذا من خوارق العادات ان امارة تقاوم دولة عالمية زهاء احدى عشرة سنة دون ان تتلقى مددا من أى جهة من الجهات وقد شهـــد المؤرخ المنصف عبد الرحمن الجبرتى المصرى ان جيش ابراهيم باشـــا لم يكونوا يصلون ولا يذكرون الله وكانوا يشربون الخمر حدثه بذلـــك شاهد عيان وان جيش الامير عبد

الله بن سعود كانوا محافظين على الصلاة ، وفى اوقات الشدة كانوا يصلون صلاة الخوف وهؤلاء الغزاة العثمانيون وان كانوا قد دوخوا بلاد الحجاز ونجد وفتكوا بأهلها وخربوا مدينة الدرعية واخذوا اميرها عبد الله بن سعود مع اصحابه الى بلادهم وقتلوه شر قتلة فان الله سبحانه وتعالى جعل العاقبة للمتقين وهو القائل : (ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لايشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان فى ذلك لآية لقوم يعلمون وانجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) سورة النمل .

ونقلوا رؤساء آل شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب الى مصر الذين لم يقتلوا فى المعركة وظنوا انهم قد قضوا على الحركة الاصلاحية الدينية، والنهضة العربية التحريرية فخاب ظنهم ، وكيف كانت عاقبة آل سعود؟ وآل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟ الجواب ان الله بارك فيهم حتى كأنهم لم يرزأوا شيئا ومن قتل منهم فاز بالشهادة وهى احدى الحسنيين وكيف كانت عاقبة محمد على باشا وسادته آل عثمان ؟ لم يبق منهم ديار ولانافخ نار وعد الله لايخلف الله وعده ، (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ماكانوا يحذرون) سورة القصص .

(فأما الزبد فيذهب هباء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض) سورة الرعد .

اما الحركة السعودية الدينية والسياسية فصارت أقوى مما كانت عليه ، ولم تزل فى تقدم واتساع حتى صارت اعظم مملكة فى جزيرة العرب ومايليها الى حدود الشام والعراق .

ولاتزال بحمد الله تزداد نموا وازدهارا وقوة ولاسيما فى هذا الزمان الذى من الله عليها فيه بملك همام حنكته التجارب وعرف كيف يسير بالملكة فى طريق الرقى وكيف يسير سفينتها بحكمة وبعد نظر وحزم الى شاطىء السلامة فى هذا الخضم المتلاطم الامواج ألا وهو صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز زاده الله توفيقا وتسديدا وقوة ونصرا على اعداء الاسلام ووفق جميع ملوك المسلمين ورؤسائهم الى اتباع رضوانه .

وهناك شاهد ثالث من نوع آخر على ان الاسلام قوة عظيمة معنوية ومادية لمن تمسك به باخلاص . وهو ان جميع دول اوروبا بملوكها وجيوشها غزت البلاد المقدسة (فلسطين) واوقدت فيها نار حرب بينها وبين المجاهدين دامت مائتى سنة وختمت بهزيمة تامة لدول اوروبا ، ومن قابل ذلك بحال فلسطين فى هذا الزمن لايجد مندوحة من الاعتراف بأن الاسلام الصحيح قوة لاتقهر ،وان كل شعب سعد

اسلافه وارتفعوا بالاسلام لن يسعد ولن يرتفع الا بما ارتفع به اسلافه .

ومن ظن خلاف هذا فهو مخدوع يخبط خبط عشواء فى ليلة حالكة ظلماء ومضمون له الخيبة والخسران .

وانما قيدت الدين بكونه صحيحا فى اول المقال احترازا من الديـــن المبدل الذى لايقوم على القرآن بل كما فهمته العرب فى القـــرن الاول وسيرة الرسول صلى الله عليـــه وسلم والخلفاء الاربعة ، واما الدين المبدل فى العقائد والاخلاق والاحكام فلن يأتى بتلك الثمرة ابدا ، بل قد يبلغ به التبديل والتغيير الى ان يصير شرا وضرا محضا ويأتى بعكـــس المطلوب. وبذلك يفسر نجاح الاستعمار واخفاق الحركات الدينية التى تصدت لمقاومته . وانما الدين الاسلامى دواء وصفه طبيب نطاسى بارع فى معـــرفة العلل النفسية للامم والشـــعوب فمن خالف وصفة الطبيب او الاستعمال فمن تلك المخالفة أتى ، لامن الدواء فهو صالح كما قدمنا شواهده لـــك فى كل زمن ومكان ، الى ان ينتهـــى اجل هذا الكون الذى نعيش فيه .

ولنـــا من اهل هذا العصر شهود عدول نذكر بعض اسمائهم للقردة من ابناء المسلمين الذين لايكفيهم القرآن ولا الحديث ولا شواهد التاريـــخ ، لانهم يزعمون ان هذا العصر تبدلت فيه المقاييس وانقلبت فيه الامور لانه عصر الذرة وغزو الفضاء الخارجى فهم لايقتنعون الا بشهادات الاوروبيين فمنهم (الشيخ عبد الله ويليـــام الانكليزى) الف كتابا ســـــماه : (الاسلام) باللغة الانكليزية واثبت فيه بالبراهين القاطعة ان الاسلام هو الدين الصالح لسعادة البشر من الوجهة الروحية ومن الوجهـــــة المادية ، فى كل زمان ومكان الى ان يرث الله الارض ومن عليها ومنهم اللورد هدلى هداه الله الى الاســـلام وهو من الحاصلين على لقب لـــورد أى من النبلاء فى الدولة البريطانيـــة وحج بيت الله سنة (١٣٤١ هـ) واعطاه الشريف حسين عربة تجرها الخيـــل ذهبت به من مكة الى عرفات ورأيته فيهـــا محرما حاسر الرأس أصهب الشعر . وله دفاع مجيد عن ديـــن الاسلام واسلامه وحده كاف لزجـــر اعداء الاسلام والطاعنين فيه مـــن الداخل والخارج ، ومنهـــم (خـــالد شلدريك) صحفى انكليزى نشـــر مقالات فى فضل الاسلام ، ومنهـــم ومنهم الاستاذ محمد مارماد ديوك بكثل رئيس المحاكم فى حيضر آباد دكن ومفسر القرآن الكريم بالانكيـــزية ، بينى وبينه معرفة ومكاتبات ، ومنهم الاستاذ الجليل البروفسور (كرينكو) استاذ الادب العربى فى جامعة كمبردج وهو ألمانى الاصل ، وكان استاذا

للغـة العربية فى جامعة عليكــرة بالهنـد اسلم منذ زمان طويل وسمى نفسه عبد الكريم الكرنكوى، وكانت له غيرة عظيمة على الاسلام والمسلمين ولم تنقطع الكتابة بينى وبينه حتـى توفى رحمه الله ، ومنهم العـالم الفرنسى (خير الدين دنيى) الذى ألف كتاب الرحلة الى بيت الله وكتبـا أخرى باللغة الفرنسية وقد ترجـم بعضها الى العربية ، فهؤلاء كلهـم اوروبيون اسلموا ونصروا الاسلام .

وممن نصروا الاسلام ولم يبلغنـا اسلامهم الكاتب العالمى المشـهور (برناردشـو) والبريطانيون يمجدونه غاية التمجيد ولا ينقصه عنـدهم الا الدين فانهم يصفونه بالالحاد وبأنه كان يعادى دينهم النصرانى ، ولم يكـن ملحدا ، ولكن العقائد الكنسيـة تجد فى عقله مكانا اما الاسلام فـانه مدحه واثنى عليه ومن جملة ما قاله فيــه (ان الاوروبيين انصارى لــن يزالوا فى تنازع وتطاحن ولايجـدون لامراضهم الاجتماعيـة دواء الا فى الاسلام). ومنهم الفيلسوف الانكليزى (كارليل) فى كتابه الذى سـماه (الابطال) وذكر منهم النبى محمدا صلى الله عليه وسلم وعظمه غاية التعظيم وبين فضل تعاليمه . ومنهم الفيلسوف الروسى (تولستوى) فانه وافاض فى الثناء عليه . انظر تراجم هؤلاء فى دائرة المعارف .

وبعد هذا التمهيـد والبحث المفيد نخرج بالنتيجة التالية وهى :

ان الركن الاول من ثقافة العرب الذين نحن جزء منهم وثقافة المسلمين الذين يؤلفون الامة التى ننتمى اليها هو تعليم الدين تعليما علميا عقديا اخلاقيا جديا من روضة الاطفال الى آخر سنة فى الجامعة .

وكل ثقافة تخل هذا بالركـن الاساسى او تقرره تقريرا لفظيـا فارغا من معناه ومن العقيدة والعمل والخلق والمعلمين الاكفاء فنتيجتها صفر على اليسار .

ومن زعم ان الدول الاوروبيـة السعيدة القوية التى مضت عـلى سعادتها وقوتها وتعاونها وثباتهـا فى وثباتها ونجاحها فى جهـادها فى حربها وسلمها مئات السنين قد هجرت الدين وكان ذلك سبب نجاحهـا فهو لايخلو من ان يكون جاهلا مقلدا امعـة قد استهواه الاسـتعمار الروحى وافسد فطرته وتفكيره او عالما بالحقيقة لكنه منافق مخادع يظهـر خلاف مايعتقـد جبنا وخوفا مـن فوات رغبة شخصية او طمعا فى رغبة جديدة تصل اليها نفسه الامارة .

على ان دينهم ليس فيه من الحياة والقوة والمطابقة للعقل والكفالة بسعادة الروح والبدن مثل مافى ديننا .

لغة القرآن

واذا تقرر ان الركن الاساسى من اركان الثقافة التى نحتاج اليها هو معرفة الدين الصحيح والعمل به والتقيد بأحكامه والدعوة اليه فمفتاح هذه الثقافة هى لغة القرآن والسنة ، فبدونها لايمكن ان نعرف هذا الكنز العظيم الذى خلفه اسلافنا من العلوم والآداب الدينية والدنيوية ، وهذا فرض مقدس على جميع الشعوب العربية والاسلامية وعلى قدر ادائه والتقدم فيه يكون تقدمها .

ومن سوء الحظ ان هذه اللغة الكريمة قل ناصرها وكثر خاذلها ولم تزل فى ادبار منذ مئات السنين ثم جاءها الاستعمار اللغوى فكان ضغثا على ابالة فاختلط الحابل بالنابل فبعد ضياع الاعراب والصرف تسرب الوهن الى قواعدهاوتغ يرت مفرداتها واسلوبها وذهب جمالها وبلاغتها وكثر الخطأ فيها حتى عسر على المصلحين عده فكيف بتلافيه واصلاحه وصارت غربة علمائها كغربة علماء الاسلام ، كل من قبض منهم لم يوجد له خلف فنحن اليوم نعيش على المعاجم التى ألفت فى القرن الثامن الهجرى وماقبله سواء اكانت معاجم لغة او معاجم ادباء او معاجم بلدان وهكذا يقال فى كتب النحو والصرف وغيرها من علوم الادب ، اما الكلمات التى حدثت فى القرون المتأخرة وهى كثيرة والكتا بوالخطباء فى حاجةاليها لان معانيها لازمة للناس فى معايشهم وتفكيرهم وحديثهم فقد بقيت مهملة فاضطر الناس الى التعبير بالكلمات الاعجمية ، واما ضعف الاسلوب فسببه اعراض المسلمين عن تراثهم واشتغالهم بلغات الاعاجم، ومن العجب ان نرى أمة تعد بمائة مليون ليس لها دائرة معارف تجمع شمل علومها وآدابها الاتأليفين لرجلين هما محمدفريدوجدى وبطرس البستانى وهذا الثانى لم يتم ولو ان المتكلمين باللغة العربية قاموا بواجبها لبلغت دائرة معارفهم على اقل تقدير مائة مجلد لان دائرة المعارف الاسبانية ستون مجلدا والفرق بين اللغتين فى كثير من العلوم والآداب كما بين السماء والارض فعسى الله ان يوفق المسلمين الى احياء تراث اسلافهم وغسل هذا العار عنهم باحياء الثقافة الاسلامية حتى يقال ما اشبه الليلة بالبارحة ، والغادية بالرائحة ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .



السفر الى روديسيه ..

خرجنا الى مطار بلانتيو فى ملاوى ويسمونه مطار تشاليجا لانه يقع فى منطقة تسمى بهـذا الاسم وذلك فى تمام الساعة التاسعة صباحا .

وقد وقفنا فى الردهة الخارجية للمطار مدة لاتقل عن نصف ساعة بدون ان يؤذن لنـا بالدخول الى ضابط الجوازات لانهاء الاجـراءات الخاصة بجوازاتنا ولم يكن فى المكان مقاعد كما لم يكن هناك من يرشـدنا فرأيت ضابطا يتجول فسألته عن مكان الجوازات وأين ينبغى لنا أن نذهب الآن فأجاب أنه ضابط الجوازات نفسه وأن مكبر الصوت سيعلن عنـد ابتـداء العمل فى الجوازات ذلك . ثم اخذ يحدثنى فسألنى هل أنتـم سعوديون ؟ فقلت نعم من أين عرفت ؟ قال لقد رأيتكم عند قدومكم الى ملاوى منذ ستة ايام ثم سألنى ما هى لغتكم ؟ مع انه يعرف اننا عرب سعوديون فقلت : العربية وليست لغتنـا وحدنا بل هى لغـة جميع الاقطار العربية فى الشرق الاوسط وشمالى افريقية . وأخذت أعدد له الاقطار التى تتكلم العربية ، فقال لى وماذا عن اسرائيل وهل هى من الاقطار العربية ؟.

ومع ذلك فلكى لاأغمط هذا الضابط الذكى حقه أقول أنه عندما حان الوقت ودخل الى مكتبه كان لطيفا معنـا وأنهى اجراءات سفرنا وجميـع المسافرين بسهولة ويسر .

الى سالسبورى ..

قامت بنا الطائرة من بلانتيـو الى سالسبورى فى تمام السـاعة العاشرة الا ربعـا بعد ان اعلنـت المضيفة ان مدة السفر ستكون ساعة وعشر دقائق والطائرة من طـراز (دى،سى،سكس) ذات المحركات الاربعة تابعة لشركة خطوط ملاوى الجوية . ولـكن الذى يظهـر ان

الاوروبيين هم الذين يقومون علــى ادارتهــا لان جميع هيئــة الطائرة من الاوروبيين .

سارت الطائرة رخوا فى ســـماء ارض ذات وهاد وجبــال خضــر تتخللها مسايل الماء التى تجـــرى وتنعكس عليها اشعة الشمس عندما نحاذيها ، ثم ارتفعت الطائرة فلـم نعــد نستبين من معالم الارض شيئا خاصة وان هنــاك بعض السحــب المرتفعة والمنخفضة .

وقبل هبوط الطائرة بثلث ساعة اتضحت لنــا الارض واذا بها لاتكاد تختلف مناظرها عن منظر الارض فى زامبية حيث كثافة الخضرة اقل منها فى ملاوى واقل بكثير من كثافةالخضرة فى البلدان الاستوائية . وقبل هبوط الطائرة بدت مدينة سالسبــورى وضواحيها جميلة منسقة بل غاية فى الجمال .

فى مطار سالسبورى ..

هبطت بنــا الطائرة ولسنا على ثقــة من دخول روديسية لانه ليس معنــا تأشيرات دخول اليها ، وقد كان جميع الموظفين الذيناستقبلوا الطائرة من الاوروبيين . والمطــار نظيف جدا وفخم يكاد يقارن بمطار نيروبى فى السعة ، اما فى النظام وجمال المنظــر فهو يفوق مطــار نيروبى حقا . وكان جميع الموظفين فيه من الاوروبيين ، وقد عجبــت جدا لسهولة الاجراءات وسرعتها ، فالطابور الذى يتقدمنا من المسافرين وهو يتكون من ستة اشخاص لــم تستغرق اجراءاتهم أكثرمن ثــلاث دقائق، اى ان كل شخص لميقفامام ضابط الجوازات اكثر من نصف دقيقة ، وهذا شىء لايصدق ولكــن هذا هو الواقع . وعندما جاء دورنا ، ونحــن كما قلت ندخل البلاد بدون ان نحصل على اذن مسبق بالدخول، سألنا ضابط الجوازات بلطف هــل معكم (فيزا) الى روديسية ؟ فلما أجبناه بالنفى اسرع الى اوراقهوكتب لنا تأشيرة دخول فى اقل من دقيقتين، وطلب منا رسم التأشيرة وقدره جنيه لكل واحد ، ولما اجبنــاه بأنه لاتوجد لدينــا عملة روديسية وانما هـــى عملة ملاوى قال انها تكفى ، مــع أنهــا أقل قليلا فى الصرف من عملة روديسية ..

وعلى رغم ان جــوازاتنا غريبــة فى هذه البلادفلم يبداستغرابهلنا وانما نظـــر الى احــد الجوازين وقال : هل الآخر مثله ؟ فقلنا : نعم . فاكتفى بنظر الاول ثمقال هل معكم تذكرة عودة الى بلادكم قلت نعم .

ولم يطلب ابرازها او النظر فيها.

ونظرنا الى اننا قد انهتينا بعــد جميع المسافرين فقد وقف قريبا منا رجل اوروبى كهل عرفنا فيما بعــد أنه ضابطفى جمرك المطار وارشدنا الى مكان حقائبنا ، وكنت احمـــل معى فى يدى حقيبة يدوية ، وحقيبتى الكبيرة ثقيلة فقد اسرع ليحمل بنفسه حقيبتى الى مكان التفتيش وذلك مع كونه اسن منى ، وعندما مانعت فى ذلك حمل حقيبتى اليدوية وحملت أنا

حقيبتي الكبيرة ولادرى أين الحمالون . وعندما وصلنا الى مكان التفتيش سألنى اوروبى شاب عن النقود التى نحملها فأخرجناها لنعدها فقال انه لاداعى لعدها اكتبوا ما شئتم ، ثم افسحوا لنا الطريق للخروج من المطاربدون ان يفتشوا شيئا من حقائبنا لاالكبيرة ولاالصغيرة حتى ايصالات الحقائب لم يطلبوا منا ان نعطيهم اياها .

مدينة سالسبورى ..

ركبنا حافلة الى البلد والمسافة بينهما (١٢) كم والاجرة شلنان ونصف اى ريال ونصف تقريبا . انه شىء زهيد جدا نظرا لفخامة الحافلة وبعد المسافة .

ونزلنا فى (فندق اليزابيت) وهو فندق اوروبى فخم جميع نزلائه من الاووروبيين ولم ار فيه احدا من غيرهم ولادرى هل ذلك من باب المصادفة أم أنهم لايسمحون بذلك . يديره ايطاليون على رأسهم عجوز هى التى وجدناها فى الادارة وفى المكتب عجوز اخرى اوروبية كأنها كاتبة ، واجرة الغرفة الواحدة فيه ذات السرير الواحد جنيه استرلينى وسبعة شلنات أى ما يساوى سبعة عشر ريالا تقريبا ، ومستواه مستوى فنادق الدرجة الاولى فى البلاد العربية فهو غاية فى النظافة وفيهمطعم فخم ورياشه من اغلى الرياش والمياه فى الغرفة حارة وباردة . وعلى كل حال فهو ارخص فندق نزلناه بالنسبة لمستواه فى اى بلد آخر .

ذهبنا نبحث عنجامع سالسبورى وعن السيد على آدم رئيس الجمعية الاسلامية هناك ، فبدت لنا مدينة سالسبورى حديثة كبيرة تفوق مدينة نيروبى فى كل شىء تقريبا ، شوارعها واسعة ، وحدائقها كثيرة ، وحركة السيارات فيها عظيمة ، وعماراتها ضخمة ولكن دون الحد الذى يخرجها عن الجمال ، اما متاجرها فهى غاصة بالسلع المختلفة . واما نظافتها فتكاد تبلغ حد الاسراف ، شىء لم أره فى اية مدينة اخرى فى افريقية ، والواقع انه يمكن القول — بحق — انها مدينة اوروبية فى افريقية، لانه ليس للافريقيين فيها اى نصيب الا ان يكونوا من زبائن المحلات التجارية .

أما سكانها الاوروبيون فلنه يظهر عليهم الثراء والنعمة،واما الافريقيون فانهم فى لباسهم ومظهرهم الصحى فوق مستوىكثير من الافريقيقين فى البلاد الافريقية التى مررنا بها . الا انهم مع ذلك تبدو عليهم المسكنة وعدم الشعور بأنهم فى مستوى الآخرين من غير الافريققيين ، ولاشك ان ذلك ناشىء عن السياسةالعنصرية التى كانت ولا تزال سائدة فىتلكالبلاد وان يكن اقل تطرفا من السياسة المتبعة فى جنوب افريقية .

وعندما رأيت مدينة سالسبورى بهذه المثابة من الثراء والحركة التجارية العظيمة لم استطع ان

اصدق بأن روديسية تعانى حصارا اقتصاديا ، حتى السيارات تسمع لها جلبة عظيمة لكثرتها وتنوعها فأين الحصار الاقتصادى الذى يشمل القيود العظيمة على ارسال النفط وغيره اليها . لاشك ان ذلك الحصار ليس فعالا والسبب فى ذلك هو جمهورية جنوب افريقية (الباب الخلفى) لروديسية أو (باك دور) كما يقول الاوروبيون ، فجميع احتياجات روديسية تأتىعن طريق ذلك الباب الخلفى لان حكومة جنوب افريقية أكثر عراقة فى سياسة التمييز العنصرى ولذلك فانه لايعقل ان تطبق العقوبات الاقتصادية المفروضة على روديسية ، كما ان روديسية تجد متنفسا فى مستعمرة موزمبيق المجاورة فعن طريقها تصدر كثيرا من بضائعها وتستورد بعضها.

ومدينة سالسبورى عبارةعنمدينة رئيسية وضواح فالمدينة الرئيسية للاوروبيين فقط ولا يجوز لاى افريقى أن يسكن فيها أو يفتح فيها محلا تجاريا ، واما ضواحيها فهى منفصلة عنها فانهامساكن مخصصة للافريقيين ولايجوز لغيرهم ان يسكن فيها . اما الاسيويون وهم هنا الهنود فقط فانهم قلة وهم يسكنون فى الوسط بين الاوروبيين والافريقيين، وليس عليهم من التمييز العنصرى ما على الافريقيين .

وقد رأينا بعض مظاهر الزينة فى سالسبورى لاتزال باقية بعد احتفالهم بالعيد الاول لاغتصابهم الاستقلال. ويتمثل اكثرها فى اشكال هندسية متعددة من الاضواء الكهربائية واقواس النصر فى الشوارع .

مع رئيس الجمعية الاسلامية ..

قابلنا السيد على آدم رئيس الجمعية الاسلامية الاسيوية وهو هندى الاصل واقتصادى كبير يملك رأس مال عظيم وهو ذكى سريع الفهم وطيب القلب ، وقد رأينامتجرهواسعا كبيرا يعمل لديه اكثر من اثنى عشر موظفا ، وقد حدثنا بأن له مصنعا كبيرا لغزل القطن ونسجه وتفصيل القماش .

وقد حدثنا عن تجارته فقال ان قضية اغتصاب الاستقلال قد اثرت على الصناعة فى روديسية بعض الشىء بالنسبة لما كانت عليه الحال قبل ذلك لانكثيرا من البلاد الافريقية تقاطع روديسية اقتصاديا فى الوقت الحاضر ، ولولا وجود جنوب افريقية بجانب روديسية لما استطاعت ان تعيش طويلا .

فى جامع سالسبورى ..

قصدنا جامع سالسبورى وهو فى موقع متوسط من المدينة فى الحد الفاصل تقريبا بين مساكن الاوروبيين والاسيويين وادينا فيه صلاة المغرب فوجدناه لايختلف عن بقية مساجد المسلمين فى الروديسيتين ونياسالاند كما قدمت وصفها ، وهو عبارة عن بناء متوسط السعة مقدمته مسجد

ومؤخرته ردهة فى جانب منها المنافع الضرورية وفى الجانب الثانى عدة غرف خصصت لسكنى امام المسجد، وفيه غرفة كبيرة كانت فيها المدرسة الاسلامية قبل انتقالها الى مكـــان واسع كما قالوا الا ان المسجد صغير نوعا وردهاته ضيقة ليس فيهـــا حديقة وقد امتلأ المسجد بالمصلـين قبل اذان المغرب وقدا ذن للصـلاة افريقى يلبس ثوبا عربيا على عـادة المؤذنين هنا وقبل الصلاة قال المؤذن جملة لم أسمعها الا فى هذه المنطقة أى منطقة الروديسيتين (ونياسالاند)

وهى (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة دائمة اى ليوم الدين ثم يقيم الصلاة بعدها مباشرة ، فيدخل الامام بعد ذلـك مباشرة دون ان يلتفت الى المأمومين أو يأمرهم بتسوية الصفوف ولم يجهر أحـد بالتأمين لان القوم حنفية ولم يكن فى المسجد من الافريقيين احد ، لان مساكن الافريقيين فى مكان بعيد عن البلد وبعد الصلاة واداء الراتبة مباشرة سلمنا على الامام وعـلى جماعة القوم وقد سرنى اننىلماسمع بعد الصلاة شيئا مما كنت اسمعه فى شرق افريقية من الدعاء الجماعى والصلاة على النبى (صلى الله عيه وسلم) بصوت مرتفع وبشكل جماعى ايضا بحيث يظن كثير من العامة منهم انها جزء متمم للصلاة لاتصح بدونها وقد لبثنـا فترة طويلة نتحدث مع الامام ، واسمه الشيـخ عبـد الله صديق الصوفى ، ومعه شيخ آخر اسمه الشيخ موسى .. هو نائب الامام ومدرس ايضا مثله فى المدرسة الاسلامية هناك وهمجميعامنالهنود.

ولقد لقينا من القوم استقبالاطيبا ومشاعر نبيلة ..

ثم ذهبنـا من المسجد الى بيت السيد على آدم وكان قد دعـانا لتناول العشاء فى بيته فوجدناهقصرا فخما فى ربوة عالية تطل عـلى سالسبورى من احدى الضواحـى القريبة ، وبه جناح خاص مجهز بكل مايلزم . وقد دعانا الى ان نمكث فيه ونكون ضيوفـه مدة اقامتنـا فى سالسبورى فشكرناه على ذلـك واعتذرنا له بأننـا قد ارتبطنا مـع الفندق بوعد فى ان نقيم عنده ، وبعد العشاء اوصلنا بسيارته الى الفندق أو على الاصح باحدى سياراته فلديه أكثر من خمس سيارات للركوب فقط ويقول ان تعدد السيارات لديه ينفعه لان البنزين مقنن فى روديسية لكـل سيارة قدر معلوم وهو جالون الا ربع يوميا وقيمة الجالون ستة شلنات ونصف اى ان قيمة الصفيحة ٢٦ شلنا أى ما يساوى ستة عشر ريالا سعوديا تقريبا . ويقول السيـد على أنه يستطيع ان يوفر من البنزين لسد حاجاته كلها منه بسببتعددالسيارات لديه وله ثلاثة اولاد يشتغلون معـه ويدرس اثنان منهم فىجامعةروديسية بسالسبورى وقد اكملا مدة مـن الدراسة فى لنـدن فى وقت سابق وذكرا لى انهما تعرفا على عـدد من الطلبة العرب هناك ومنهم طلبة

سعوديون وذكر احدهما انه كان عضوا فى جمعية الطلبة العرب على الرغم من انه ليس عربيا بالجنسية وانما ذلك لمحبته العرب وقال انه ايضا فى الشكل يشبه العرب.

هل نحن سعوديون حقا ؟..

مديرة الفندق الذى نسكن فيه عجوز ايطالية ما ان رأت كتابتنا على سجل الفندق بأننا من المملكة العربية السعودية حتى بانت عليها الدهشة وقالت : لم اكن اتصور ان سكان الجزيرة العربية بيض الالوان فأخبرتها بأننا فى الجزيرة العربية ديننا الاسلام ولا نلقى الى اللون بالا وانما نزن المرء بأعماله وبقدر مايحسن ، ومايقدمه من عمل صالح وعلى مافى هذه الاجابة من عدم المجاملة لها فاننى قد ركزت عليها ولم ار ان تفوت هذه المسألة بغير ان ابين لها موقف الاسلام من الالوان ..

وهكذا نجد الاوروبيين فى هذا الجزء من افريقية شديدى الحساسية بالنسبة الى اللون . ولا غرو فان السياسة الرسمية للاوروبيين فى روديسية وفى جمهورية جنوب افريقية هى سياسة التمييز العنصرى .

يوم الثلاثاء الموافق ٣٠ــ٨ــ١٣٨٦ هـ.

١٣ــ١٢ــ١٩٦٦ م

مثل آخر على تأثير لون المرء عند الاوروبيين فى هذه البلاد فقد ذهبت الى بنك باركليز لاصرف احدى الشيكات السياحية وكانت الموظفة فتاة اوروبية اخذت منى الشيك فنظرت اليه ثم ذهبت به الى مكان داخل البنك ثم عادت بسرعة وقالت : ضع توقيعك الثانى عليه ، ثم ختمت عليه وذهبت بنفسها الى امين الصندوق حيث احضرت قيمة الشيك واعطتنى اياها ولم تسألنى عن جوازى ولم تنظر الى توقيعى فيه حتى النقود لم تقل لى عدها ، ودهشت فهذه اول مرة يصرف لى فيها شيك سياحى بدون النظر الى الجواز منذ خرجت من المملكة حتى وصلت سالسبورى.

وقد كانت عادة اكثر الموظفين من الافريقيين والاسيويين فى البنوك التى مررت عليها ان يطلبوا ابراز جوازى قبل صرف الشيك ثم يتحققوا من توقيعى بعد ان يقارنوا بينه وبين توقيعى الاول عليه ، وفى اكثر الاحيان لايكتفى الموظف بذلك بل يذهب الى موظف اكبر منه وربما الى من له خبرة فى التواقيع فى البنك ، ثم اذا رأى جوازى عربيا سعوديا اخذ يستفصل عن بعض الاشياء . ثم اذا أجرى تحقيق المبالغ وانتهى كل شىء احالنى على امين الصندوق وامين الصندوق يأمرنى بعد النقود والتأكد منها لئلا يقال عنه بعد ذلك أنه ربما سلمها وهى ناقصة اما هذه الفتاة الاوروبية فلم تفعل شيئا من ذلك ، وعندما سألت السيد على

آدم وعنده ثلاثة من المسلمين الهنود عن السبب فى هذا ضحكوا وقالوا لقد عاملوك معاملة الاوروبيين وانك لو كنت افريقيا لحققوا معك ونظروا الى جوازك ، ولكنهم وثقوا بك على عادتهم بالثقة فى الاوروبيين ، وبمناسبة الحديث عن البنك المذكور أقول لاحظت أن جميع الموظفين فيه من الاوروبيين وليس فيه افريقيى واحد .

معهد سالسبورى الاسلامى .. ويقع فى مكان جميل تظلله الاشجار الباسقة ، وتمتد غرفه على شكل ضلعى مربع وتحيط به حديقة جميلة مليئة بالزهر اما الحشائش وملاعب الاطفال فهى احسن شيء يمكن توفيره وغرفه واسعة منظمة ومقاعد الطلبة جميلة والطلبة فيه تبدو عليهم النظافة والصحة والنشاط وكلهم من الاسيويين وليس فيهم من الافريقيين احد .

والسبب فى ذلك ان مناطق سكنى الافريقيين بعيدة عن هذه المنطقة ولو اراد احد منهم السكنى قريبا منه لما استطاع بسبب سياسة التمييز العنصرى المطبقة هنا .

استقبلنا عند وصولنا للمعهد المدير والمدرسون وكلهم من الهنود ماعدا واحدا فهو افريقى يسكن فى روديسية واصله من فورت جونستون فى ملاوى وقد طافوا بنا فصول المعهد وغرفه وردهاته وهو بحق احسن معهد أو مدرسة اسلامية رأيناها منذ خرجنا من المملكة من حيث البناء والتنظيم وقد خصصوا فصلا منفردا لكبار البنات تدرس فيه امرأة هى زوج المدير وبناية المدرسة ملك للدولة وقد استأجرتها الجمعية الاسلامية التى يرأسها السيد على آدم بمبلغ (٤٥) جنيها استرلينيا فى الشهر وهو مبلغ اقل مما تستحقه ايجارا لها بكثير ولكن الحكومة ــ كما يقولون ــ تسامحت معهم لكون المكان مدرسة دينية .

ويأخذ المدير راتبا شهريا من الجمعية الاسلامية قدره (٣٥) جنيها فقط لكل مدرس ويأخذ المدرس الافريقى (١٢) جنيها فقط لانه لايحمل شهادات . وقد سمعنا تلاوة القرآن من احدى الفتيات الصغيرات حيث تلت تلاوة مجودة متقنة تعجز عنها اكثر الفتيات العربيات بلا شك مع انها لم تتم السنة العاشرة من عمرها وتلا طالب هندى فى التاسعة بعض قصار السور فأعجبنا واطربنا وهم مع ذلك لايستطيعون الكلام بالعربية ولا يفهمون معانى القرآن الكريم ، حتى المدير والمدرسون رغم حصولهم على شهادات عالية من مدارس الهند الاسلامية لايستطيعون التكلم بالعربية وان كانوا يفهمون الكتب العربية وذلك شأن جميع المسلمين الهنود فى الروديسيتين . ونياسالاند فهم واولادهم يقرؤون القرآن الكريم ولكنهم لايفهمون له معنى .

وقد رأيت على السبورة عبارات باللغة الاوردية فى فن التوحيد جميلة كل الجمال حين ترجمها

لنا المدرس الى الانكليزية حتى نستطيع فهمها لان الانكليزية هنا فى روديسية هى اللغة السائدة ويتفاهم بها الهنود حتى فيما بينهم كما يتفاهم بها سائر القوم هنا .

فى قنصلية جنوب افريقيا

قصدنا مع اخواننا من الهنود المسلمين المقيمين فى سالسبورى قنصلية جنوب افريقية وتشغل طابقا فى احدى العمارات الكبيرة . وقد لقينا على المكتب امرأة اوروبية بدت متجهمة الوجه مقطبة الجبين ولما أخبرناها بقصدنا أجابت بطريقةجافة الى مكتب آخر فى الداخل فوجدنا فيه امرأة اوروبية اخرى فى سن الكهولة فاستقبلتنا استقبالا سيئا ولما اخبرناها بقصدنا قادتنا بطريقة بعيدة عن الذوق الى غرفة للانتظار ، وقالت : انتظروا هنا وسوف تدعون لمقابلة الموظف المسؤول اذا جاء دوركم .

وبعد مدة قصيرة حضرت فتاة فأشارت الينا بالدخول الى غرفة مجاورة فلما دخلناها وجدنا فيها رجلا ابيض عرفنا فيما بعد انه نائب القنصل فاستقبلنا ببرود وبتكبر وترفع ظاهر ولما اخبرناه بقصدنا واننا عرب سعوديون واطلع على جوازاتنا تغيرت لهجة حديثه وبدأ يظهر اللين فى القول ، والمجاملة فى العبارة .

وقد بحثنا معه طلبنا للحصول على اذن الدخول الى جمهوريةجنوب افريقية فأجابنا بأنه يود ذلك ولكنه ليست لديه صلاحية منحنا تلك التأشيرات وقال : اننى مع معرفتى بأن القنصل نفسه لايستطيع فاننى سوف اتكلم معه ثم تكلم مع القنصل بالانكليزية وشرح له موضوعنا وقال : انهم من رجال العلم ومعهم مبلغ كاف من المال ويريدون ان يروا البلاد ثم أخذ يتكلم معه باللغة الهولندية وهى اللغة اثانية فى جنوب افريقية ثم بعد ذلك قال لنا : اننى آسف اذ اخبركم انه لايستطيع ان يمنح سمات الدخول لكم الا جهة واحدة هى حكومة بروتيريا فى جنوبى افريقية تلكم هى قوانين بلادنا ، وسوف نشفع طلباتكم بتوصية اعطائكم السمات المطلوبة واكاد اؤكد انها ستعطى لكم ، فقلنا له ان الايام المخصصة لرحلتنا فىاواخرهاويصعب علينا الانتظار حتى ورود الجوابالذى قال انه سيستغرق اسبوعين على الاقل ، فقال : اننى سوف ارسله مستعجلا ، ومع ذلك استطيع فى حدود صلاحياتى ان اعطيكم سمة مرور فى مطارات جنوب افريقيقة .

ثم أخذ يسألنا عن احوال بلادنا وعن طرق معيشتنا وعن علاقتنا بالدول الاخرى ، وقد لبثنا عنده اكثر من ساعتين وكان يستبقينا كلما أردنا الذهاب ، ويفيض فى البحث فى مثل هذه المواضيع ، ولما رأينا رغبته فى ذلك قلت له :ان حكومتنا تمنح سمات الدخول كل سنة لاكثر من ألف شخص من رعايا حكومة جنوب افريقية من المسلمين ولذلك

فنحن نتوقع ان تكون معاملتكم لنا بالمثل ، فضحك وقال : اولئك الناس جماعتكم أو يوربيبل) انك تقصد المسلمين الذين يذهبون الى بلادكم للحج ، فأولئك اصلهم من الشرق ، أما بالنسبة لى أنا أعتقد ان الامر يختلف ، أليس كذلك ؟ فقلت له : انني شخصيا ليست لدي الخبرة فى أمور الجوازات والاقامة ، ولكن الذى أعرفه ان حجاجا كثيرين من رعايا بلادكم يصلون للملكة كل عام ..

هذا وقد خرجنا من عنده فودعنا الى خارج باب مكتبه ، وهو يعتذر عن عدم تمكنه من منحنا سمات الدخول ، ويعد بالتوصية بذلك لدى حكومته .

هذا وقد خرجنا من عنده ونحن عازمون على الغاء زيارة جمهورية جنوب افريقية من برنامجنا لذلك السبب لانه لايمكننا انقيم في روديسية حتى ترد الاجابة، لضيق وقتنا، ولاننا لسنا على يقين الاجابة بالقبول لان سياسة تلك الحكومة العنصرية الهوجاء تقوم على عدم تسهيل دخول رعايا البلاد التى تقول عنها انها ملونة ..

مسجد هرارى :

هناك فى روديسيةيسكن الافريقيون فى اماكن منفصلة ضمن مساحات معينة تلك كانت السياسة الرسمية للحكومة الروديسية فى السابق ..

وقد بنت الحكومد مدينة صغيرة فى ضاحية سالسبورى للافريقيين من أهل الوظائف والقادرين على دفع الاقساط الشهرية المستحقة وتسمى (هرارى) وهى تقع فى الجنوب الشرقى من مدينة سالسبورى الروديسية وهى تتكون من بيوت جميلة بعضها على شكل (فلات) ، وبعضها على شكل وحدات سكنية أي على شكل غرفة كبيرة من الخارج تنقسم الى عدة غرف فى الداخل ويحيط بكل بيت مساحة مزروعة من الارض ، ولولا ان الارض كلها خضراء لاسميتها حديقة .. وفيها الشوارع المسفلتة ، والكهرباء الكاملة والحدائق والملاعب .

الا ان ما يضايق الافريقيين — وهو شيء يضايق حقا — انهم مجبرون حتى الآن على السكنى منعزلين عن غيرهم من الاوروبيين والاسيويين، وقد كان هؤلاء الاوربيون والاسيويون — ممنوعين من الدخول الى مناطق سكن الافريقيين ويتعرض من يجرؤ منهم على دخول منطقة سكن الافريقيين الى التحقيق معه من قبل الشرطة ولكن ذلك قد خف الآن بسبب المشكلة التى تتخبط فيها الحكومة الروديسية غير الشرعية نتيجة لاعلانها الاستقلال من جانب واحد . ولما سألت عن حجة الحكومة او الشرطة فى هذا الامر قالوا انهم يقولون ان ذلك لحماية الاوروبيين والاسيويين مما قد يصيبهم من الافريقيين لانهم قد يتعرضون لمشاكل بزعمهم لتخريب سياراتهم . وهذه حجة ساقطة كما

هو ظاهر . وكنا دخلنا المسجد فى تلك الحارة فاذا به نظيف جميل متوسط السعة يحيط به فناء صغير ألحقت به مدرسة (كتاب) من غرفة واحدة كبيرة وغرفتين لسكنى المدرس وهو مبنى بالطوب الاحمر ومسقف بشكل جميل ومفروش بفرش بسيط والواقع ان بنايته هنا للمسلمين فى حى اغلبه من الافريقيين غير المسلمين كان مناسبا بل كان توفيقا من الله سبحانه وتعالى تم بناؤه بطريقة جمع التبرعات وساهمت الجمعية الاسلامية التى يرأسها السيد على آدم بنصيب كبير من نفقاته . وهذا المسجد يبعد عن قلب مدينة سالسبورى ٣ اميال فقط وامامه يسمى حبيب ماتشنقجى وهو من أصل صومالى ..

مسجد هايقل :

ومن هنا ذهبنا الى ضاحية اخرى بل الى بلدة أخرى وان كان يشملها اسم (سالسبوري) وتسمى (هايقل) وهى منطقة من مناطق سكنى الافريقيين وهى كبيرة ، اكبر من هارورى وبيوتها ليست على طراز واحد لانها بيوت خاصة بنيت بنقود الافريقيين — لذلك اختلفت احجام البيوت من حيث المساحة ..

وهى ضاحية جميلة جدا تخترقها شوارع مسفلتة على احسن طراز للذاهب والآيب وتملأ الزهور حدائق البيوت — والبيوت كلها وكذلكبيوتا فى حى هرارى مبنية اما بالآجر اى باللبن الاحمر ، واما بالاسمنت المسلح فلا تجد فيها كوخا أو عشا او ما يماثل ذلك او يقرب منه مما تجده فى المدن الافريقية الاخرى .

مع ذلك فلا ارى الافريقيينيشعرون بالسعادة لانهم يعيشون هنا وحدهم بدون ان يسمح لاحد بأن يختلط معهم فى السكنى فكأنهم يعيشون فى سجن كبير ولانهم اينما يتوجهون فى روديسية يجابهون بالاحتقار وعدم الاحترام .

زرنا المسجد هناك وهو ثالث مسجد رأيناه فى منطقةسالسبورى وهو صغير فقير فى فراشه واثاثه ويحتاج الى بعض التكميلات ، وقد وعدناهم غدا بتقديم مبلغ من سماحة مفتى الديار السعودية ، لتكميل بنائه ، وامامه يدعى (على محمد) وأصله من ملاوي .

ويقع حي هايقل الى الجنوب من سالسبورى وهو يعتبر ضاحية لها متصلا بها ويبعد عن قلب المدينة خمسة اميال ..

حتى فى القبور :

فى طريق العودة من هرارى رأينا المقبرة فاذا بها قد قسمت اجزاء قسم منها للاوروبيين وقسم للهنود وقسم للافريقيين ولا يمكن ان يدفن احدهم مع الآخرين حتى المسلمون الهنود لهم مقبرتهم المنفصلة عن المسلمين الافريقيين بسبب اللون والاوربيون المسيحيون لهم قبورهم المنفصلة عن

قبور الافريقيين المسيحيين ، ويقول أحد المسلمين هنا انه ذهب الى الحكومة منذ شهرين وقال لهم ان الاسلام لايعرف التفرقة العنصرية وانه لاداعى لبقاء قبور المسلمين منفصلة بل انه يريد ان تكون مقابر المسلمين من جميع الاجناس واحدة ، قال ولا يزال يسعى فى هذا الامر ، وهو يدعى الشيخ كمال ابراهيم هندى الاصل ويقيم منذ مدة طويلة فى هذه البلاد ويحمل الجنسية الروديسية وهذه احدى مهازل التفرقة العنصرية وليست هذه هى الشاهد الوحيد بل ان احد اخواننا الروديسيين المسلمين من أصل صومالى حدثنى انه عرضت فى البيع عمارة فى الحى الاوروبى مكونة من حوانيت فى اسفلها ومسكن فى اعلاها قال : فزدت فى ثمنها الى ان اتصل بى الدلال وقال لى : بالهاتف اننى آسف اذ اخبرك اننى لا استطيع قبول زيادتك فى العمارة ولما سألته عن السبب قال لاننا وجدنا فى وصية صاحب البيت الا تباع لاسود قال : فسألت مادام وانه قد مات فما الذى يهمه من البياض والسواد ؟ فأجاب لئلا يضايق جيرانه البيض اذا باعها على أسود انها مهزلة المهازل بلا شك!

سد ماكلاوين :

حملنا السيد على آدم بعد ظهر اليوم بسيارته فى نزهة فيما حول مدينة سالسبورى فذهبنا حوالى ٢٦ كيلو مترا جنوبا حيث سد ماكلاوين الذى اقامه الانكليز ليحجز خلفه المياه الضرورية لتغذية مدينة سالسبورى وهو سد كبير وقد اقيم على واد بين جبلين وجهز الى ذلك بجميع ما يجعله صالحا لقضاء الاجازات الاسبوعية فهناك الاشجار الوارفة الظلال وهناك ظهر السد وجوانبه حيث تقوم البلدية على الدوام ، بتنظيفه وتعهده كما أن كثيرا من الناس يقضون اجازاتهم فى صيد السمك من البحيرة التى تكونت وهى بحيرة واسعة لايدرك البصر بها حدا وتخرج منها انابيب كبيرة الى محطة التصفية قرب مدينة سالسبورى والباقى يخرج من السد على شكل نهر صغير .

والواقع ان المرء لايستطيع ان يصف روعة المنظر هنا فالماء الجارى والظلال الكثيفة والجو الذى كان غائما والنسيم العليل وعظمة الفن فى بناء هذا السد كل ذلك شىء معجب مطرب وزاد المنظر روعة ان اقبلت اسراب هائلة من الطيور البيضاء التى نسميها عندنا فى المملكة الغرانيق والتى نصطادها عندما تمر علينا فى هجرتها الى اوربا مرتين كل عام فى الذهاب والاخرى فى الاياب ، وقد تحققت مما ذكره العلماء من انها تعيش فى منطقة جنوب أفريقية ابتداء من روديسية حتى نهاية الجنوب وقد اقبلت تلك الطيور فى اسراب متعاقبة كل سرب حوالى ثلاثمائة طائر ولعلها ذاهبة الى اوكارها للنوم لان الوقت الآن قبل الغروب ، وطريق السد من سالسبورى عجيب فهو جزء من خط مسفلت يدعى خط ـــ القاهرة ـــ كيب تاون أو (كايروردد) كما يسمونه

وقد كان جزءا من مشروع انكليزى سابق لربط القاهرة فى شمالى افريقية بمدينة كيب تاون فى أقصى جنوبها بخط مسفلت واحد عندماكانت انكلترا تملك من القارة الافريقية من شاطئهـا الجنوبى الى شاطئها الشمالى وقـد انتهى أكثر من (٣٠٠٠) كيلو متر من الخط المذكور وانتفعت به اعظـم الانتفاع كل من جنوبى افريقيـة وروديسية وزامبية والخـط يخترق منطقة ذات مناظر خلابة من سهول خضراء ذات تربة حمراء الى تـلال كثيفة الاشجار مما جعل المنظر ساحرا حقا وقد اخبرنى السيد آدم أنه يملك منطقة واسعة من تلك الارض وانه قد اجر بعضها لايطاليين لزراعتها ، وبعضها قد أعد للايجار الا ان الوضع الراهن فى روديسية قد أعاق تقدم الزراعة وجعل بعض الناس لايقدمون على توظيف أموالهم هنا خوفا ممـا يأتى به المستقبل .

وقال : أن اكثر بلاد روديسيـة تشبه هذه المناظر فالارض غنيـة بامكاناتها الزراعية وغنية بمعادنهـا ايضا ولها مستقبل اقتصادى عظيم لانها واسعة وعدد سكانها لايزيـد على اربعة ملايين .

وبعد ان انهى السيد على طوافه بنا فى ريف مدينة سالسبورى الـذى يشبه الى حد ما المنطقة التى كانت للاوروبيين فى كينية لولا انها فى كينية جبلية وهنا ليس فيها جبال مرتفعة طاف بنا أيضا خلال مدينة سالسبورى بسيارته فظهرت كما وصفها الاوروبى قطعة من أوربـة وضواحيها فيلات غانية فى الحدائق .

يوم الاربعاء الموافق :

١٣٨٦/٩/١ هـ

١٩٦٦/١٢/١٣ م

هذه أول مرة يدخل فيها على شهر رمضان الكريم وأنافى بلادغير اسلامية وليس ذلك فحسب بل هى بلاد بعيدة كل البعد عن بلادنا السعودية ولو كان ما بينهما يقطع على ظهور الابل لما أمكننا ان نصل الى بلادنا قبـل أن يدركنا رمضان آخر فيما نقدر .

وقد صمت اليوم بعد أن ثبت رؤية الهلال المسلمون هنا وطريقتهم فى ذلك أن يتحروا من يشهد من عـدول المسلمين بدخوله فان لم يروه أكملوا عدة شعبان ٣٠ يوما وقد أكملوا فعلا شهر شعبان وصاموا اليوم وقد صمت بدون أن اتناول أى طعام وذلك لانه فى هذا الفندق الذى نسكن فيه وسط هذه البلاد غير الاسلامية لايوجـد مطعم مفتوح فى وقت السحر أمـا صاحبى الاستاذعبد الله الباحوث فقد ذهب الى احد اخواننا المسلمين من الهنود الذى كان قد دعانا الى بيتـه لتناول طعام السحور ، ولكنى تأخرت لان الطعام الهندى ببهاراته الكثيرة لايستطيع بطنى تحمله ، ومع ان لنا رخصة فى الافطار لاننا مسافرون فقد صمت اليوم وقلت ان شق الصـوم على ولم استطع انهاء اعمالى فانـه يمكننى الا اصوم غدا والا استمريت فى الصوم .

فى قنصلية البرتغال :

ذهبنا الى قنصلــية البرتغال فى مدينة سالبسورى وتقع فى أحـــدى الشقق فى عمارة كبيرة تدعى العمارة الانكليزية الامريكية وهى تسكن فى الطابق الحادى عشر من العمـــارة المكونة من « ١٢ » طابقا وقد دخلنا فى أحد المصاعد الفخمة الذى يتسع لحوالى خمسة عشر شخصا وقـــد فرشت أرضيته وجدرانه بالسجاد ، وتعزف الموسيقى الهادئة فيه بصفة مستمرة وطيلة الوقت للصاعدين فيه الى اعلى العمارة والنازلين مع ان المسافة فى المصعد لاتستغرق وقتـــا يذكر ، وقد رأينا فى مكتب القنصلية موظفا أفريقيا وفتاة برتغالية وكلاهما ليس على جانب كبير من المجاملة الذى نعهدها من الاوروبيين ، ورأيـــت الناس يزدحمون على طلب تأشيرات الدخول وذلك لكى يتمكنوا من قضاء عطلة عيد الميلاد (الكريسماس) فى موزمبيق وكلهم يملؤون الاستمارات الخاصة بذلك ثم يعرض طلبهـــم فى داخل المكتب وهكذا فعلنا وانتظرنا طويلا ثم انتظرنا ثم سألنا الفتاة عن النتيجة فقالت ان الجوازين قـــد ارسلناهما الى القنصل العام واخيرا قالت أنهم سوف يبرقون الى حكومة موزمبيق يسألونها رأيها فى منـــح التأشيرة أسوة بغيرنا من الناس غير الاوروبيين وانه من المنتظر ان يأتى الجواب يوم الجمعة بعد غد .

هذا ولم أخرج فى هذا النهار بعد الظهر حيث اصبحت فى غاية التعب بسبب الصيام ولما اصابنى من الصداع والضعف لان هذا اول يوم من ايام الصيام ولانه لم اتناول طعامـــا فى السحور .

الافطار :

وبعد العصر ذهبت الى المسجد الجامع فى سالسبورى حيث تلوت ما تيسر من القرآن الكريم وقد أعجبنى منظر الناس هنا ومنهم طائفة كبيرة موجودة فى المسجد منذ ذلك الوقت يلبثون المدة الطويلة فى قراءة القرآن لايفترون مع انهم لايفهمون معناه وقبل الاذان بحوالى خمس دقائق أصغى الى نائب امام المسجد واسمه الشيخ موسى وقال بالانكليزية : نستطيع ان نتناول (البركفاست) الآن يريد طعام الافطار فذهبت معه الى القاعـــة الملحقة بالمسجد وقد غصت بالمفطرين الذين أحضر كل واحد منهم ما تيسر من طعام ثم قاموا بتوزيعه علــــى الخوانات وتحلقوا عليها وهو يتألف من الحلوى (والسمبوسك) وقليل جدا من التمر وبعض الفواكه كالمانجو والبرتقال والموز كل ذلـــك بمقادير مقدرة بحيث اكتفى الناس وبقى شىء بعد ذلك لايعتبر ضياعه اسرافا وقد افطر الناس قبـــل الاذان ثم شرع المؤذن فى الآذان يمده مدا ويطيله ليمكن الناس من الافطار ولكنه لم يكد ينتهه حتى نهضوا جميعا لاداء الصلاة وقد دعانا بعضهم بعد العشاء الى تناول الطعام فى بيوتهم فشكرناهم واعتذرنا وذهبنا بعد التراويح الـــى مطعم فاخر فى

سالسبورى فأكلنا فيه مالذ وطاب من الارز والسمك والخضروات المتنوعة ونقدناه بعد ان انتهينا (٢٤) شلنا أى (١٥) ريالا سعوديا للاثنين ..

صلاة التراويح فى سالسبورى :

بعد أن أذن المؤذن لصلاة العشاء مباشرة أقام الصلاة ، وبعد الصلاة صلى كل فرد الراتبة ركعتين وقد غص المسجد بالحضور ما بين كبار وصغار وكلهم خاشع متأوه حتى اننى لم الاحظ ان أحدا قد خرج بعد الصلاة المفروضة بل استمروا جميعا على البقاء فى المسجد وهكذا ابتدأت التراويح وصلاها الامام صلاة اصدق ما توصف به انها صلاة عصر السرعة فقد كان يوجزها بل يكاد يختصرها ويقرأ فى كل ركعة سورة من الفيل حتى نهاية القرآن ، ثم يعود الى سورة الدين فما بعدها حيث يكرر ما قرأه سابقا ، ثم أوتر بثلاث ركعات متصلة تشبه صلاة المغرب الا انه جهر بالقراءة فى الثالثة وقبل الركوع سكت وسكت معه الناس هنيهة ظننتهم فيها يقنتون سرا لانهم احناف ، وهكذا انتهت تراويحهم بسرعة .

ومع ذلك فقد كان المأمومون بعد كل تسليمتين يجهرون ببعض الدعاء الذى يستغرق حوالى دقيقة واحدة ويتكون من سؤال المغفرة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد خرجنا بعد اكمال التراويح ونحن معجبون غاية الاعجاب بالتفاف القوم على افطارهم فى المسجد وبتربيتهم اولادهم تربية اسلامية حتى على اكمال صلاة التراويح .

يوم الخميس الموافق :

٢/٩/١٣٨٦ هـ .
١٤/١٢/١٩٦٦ م .

فى ووترفول :

هناك ضاحية تبعد أربعة اميال الى الغرب من سالسبورى تدعى ووترفول فيها جمعية اسلامية صغيرة حيث يسكن فى هذه الضاحية من أراد من الآسيويين والافريقيين عكس ما عليه الحال فى أماكن الافريقيين الاخرى حيث لايسمح لغير افريقى ان يسكن مع الافريقيين وقد شاهدنا المدرسة الاسلامية الصغيرة التى تدرس مبادىء الدين الاسلامى واللغة العربية هناك وقد قامت الجمعية الاسلامية على افتتاحها وجلبت لها مدرسا من كيب تاون فى جنوبى افريقية وهو شيخ من أصل صومالى يدعى (أحمد علمى)تزوج ابوه هناك وخلفه مع عدد من اخوانه ويقول ان والده يعرف العربية أما هو فيعرف بعض الكلمات التى لايستطيع نطقها نطقا صحيحا ولكنه كان قد تخرج من مدرسة اسلامية فى كيب تاون ويقوم فى هذه المدرسة بتدريس القرآن الكريم ، ومبادىء من حروف اللغة العربية وبعض مبادىء الصلاة والصيام الخ .

والحى الذى تقع فيه المدرسة يسكن أغلبيته افريقيون حى نظيف حقا بيوته تحيط بها الحدائق وشوارعه تحف بها

الاشجار الباسقة وطرقه مسفلتة .

العرب فى روديسية :

استرعى نظـــرى فتى يدرس فى تلك المدرسة فسألنا عنه فاذا به من اصل عربى كان ابوه قد جاء مـــن اليمن منذ مدة طويلة وتزوج بامرأة افريقية فسألت بهـــذه المنـــاسبة وبعـــدها عن العرب فى روديسية ــ فعرفنـــا أنه كان قد قدم منذ عهد طويل عدد من العرب من جنـــــوب الجزيرة من اليمن وعـــدن أكـــــى يساعدوا على مد السكة الحـــديدية حيث ان العمال الافريقيين لم يكونوا يحسنون هذا العمل فى ذلك الوقت وقد لبث عدد منهم فى هذه البـــلاد وبقى اولادهم ومعظمهم من زوجات افريقيات ولم يبق من اولادهم مـــن يتكلم العربية وانما يوجد بعض ابناء الصوماليين يعرفون العربية لانـــهم كانوا قد خرجوا الى الصومال ثـــم عادوا الى روديسية وهذا خلاف ماعليه الامر فى زامبية حيث لايوجد فيها عـــرب او من يتكلم العربية ، مع ان روديسية ابعد من زامبيـــــة الى الجنوب ، كما ان فى جنـــوب افريقية يوجد مسلمون كثير يبلـــغ عددهم اضعاف اضعاف عـــــدد المسلمين فى روديسية مع ان جنوب افريقية الى الجنوب من روديسيـــة وذلك لان معظم المسلمين الذين فى جنوب افريقية قد جاؤوا اليها مـــن جنوبى آسيا الشرقى من القارة الهندية ومن بلاد الملايو لامن الجزيرة العربية .

الكلمة العربية الوحيدة :

مررت اليوم فى قلب مدينـــــــة سالسبورى بمحل تجارى فخم كتـــب عليه بالانكليزية هنا تباع السجاجيد (سجاجيد) جمع سجادة . وهـــى الكلمة العربية الوحيدة التى رأيتها مكتوبة على حانوت فى روديسية وهو محل اوروبى لبيع السجاجيد كتـــب عليه بالانكليزية هنا تباع سجاجيـــد الايرانية وتحتها كلمة سجاجيـــــد بالعربية وهذه الكلمة غريبة وحيدة هنا لايوجد غيرها فى تلك البلاد .

ولاشك ان ذلك المحل كتب كلمة (سجاجيد) امعانا منه فى اظهـــــار سجاجيده الايرانية بمظهر الاصـــلى حتى كتابة اسمها بالحروف العربية التى يكتب بها الايرانيون .

الشرق الاوسط فى روديسية :

وقد تصفحت اليووم جـــــريدة (روديسية هيرلد) وهـــــ جريدة كبيرة تقع فى (١٦) صفحة مـــــن الحجم الكبير وبحثت فيها عن أى خبر عن أى بلد من البلدان العربيـــة فلم أجدها ذكرت منها شيئا . ولكن استمعت بعد المغرب الى الاذاعـــة الروديسية وهى باللغة الانكلـــيزية طبعا فاذا بهـــا تذكر بعض الاخبار عن سورية ولبنان والعـــراق واذا بالمذيع ينطق اسماء البلدان والاشخاص نطقا انكليزيا سليما بدون تحريف .

مصنع النسيج :

اخذنا السيد على آدم اليوم الـــى

المنطقة الصناعية او الحى الصناعى فى سالسبورى ، وهو حى واسع جميل تفصل بين بناياته الحدائق والشوارع الواسعة ، وقال ان بعض تلك المصانع ملك للمسلمين ثم ارانا مصنعه الخاص وهو مصنع للغزل والنسيج ضخم يعتز المرء بأنه تحت ادارة رجل مسلم ويمتلىء فخرا واعجابا بهذا الرجل المسلم الذى نافس الاوروبيين وتغلب عليهم بل ان لديه ستة من الموظفين الاوروبيين مابين رجل وامرأة واحدهم اوروبى من جنوب افريقية وممن يسمون (الافريكانو) الاوروبيون الذين قدموا الى جنوب افريقية فى وقت مبكر وتناسلوا هناك حتى اكتسبت بشرتهم شيئا من السمرة جعلهم يشبهون سكان الشرق الاوسط .

والمصنع المذكور يدخله القطن قبل غزله فيتم فيه غزله ونسيجه ثم كيه وطيه واعداده للتصدير ، ثم ينقل بعضه الى مصنع له داخل البلد حيث يتم تفصيله وخياطته . والعمال فيه معظمهم من الافريقيين ولكن المحاسب هندى .

وبعد ان انهينا الطواف فى ذلك المصنع الفخم اخذنا بسيارته الى منطقة تقع شمالى سالسبورى تسمى (كليفلاند) وتعتبر ضاحية من ضواحى سالسبورى تمتد حتى تتصل بالريف، وهى مخصصة لسكنى الاوروبيين وبيوتها عبارة عن فيلات وسط الحدائق الفناء ، وكان المطر يهطل مدرارا ، والمنطقة كغيرها خضراء جميلة ذات تربة حمراء . وقد وصلنا سدا يبعد عن سالسبورى (١٢)ميلا اى حوالى عشرين كيلو مترا اقيم على واد صغير ليحجز بعض الماء فيه وفيه رأينا بعض الاوروبيين يمارسون هواية صيد السمك التى قال عنها صاحبنا بالانكليزية انها تحتاج الى .. ثم قال بالعربية (صبر) ثم عدنا مع الغروب الى مدينة سالسبورى .

يوم الجمعة الموافق ٤ رمضان ١٣٨٦ هـ — ١٦—١٢—١٩٦٦ م .

ذهبنا الى قنصلية البرتغال فاستقبلتنا الفتاة الاوروبية وقالت لنا بدون مجاملة انه لايمكن لكم دخول موزمبيق لان ذلك يحتاج الى اذن من حكومة البلاد ويقول القنصل لايؤمل ان توافق الحكومة ولذلك لافائدة من ارسال جوازاتكم الى هناك ..

ذهبنا الى متحف سالسبورى ضحى اليوم فألفيناه صغيرا نسبيا ، اكمل مافيه القسم التاريخى الخاص بوسط افريقية وبخاصة روديسية الجنوبية وساحل موزمبيق ، وهو موضح بالرسوم واكثر ما استرعى انتباهى ثناء عاطر على العرب بأنهم أول من وصل الى هذه البلاد فى العصور القديمة واول من وضعوا لها الخرائط ووصفوها فى كتبهم وفيه مخلفات بعض السلاطين العرب فى الساحل من سيوف ورماح وادوات صنع القهوة. ثم فيه رسوم تبين عناصر الناس فى تلك البلاد مثل الهنتوث والبوشمن والبانتو ، وفيه قسم رسموا فيه ادمغة الانسان والحيوانات ووضعوا فيه مخ الانسان الابيض فى مقدمة القائمة وابرزوا له صفات ليست فى مخ غيره جريا على عادتهم فى التمييز العنصرى ..

والمتحف حديث ومحتوياته ليست كثيرة كما قدمت ، ولا يمكن ان يقارن بمتحف نيروبى ، ولا ان يدانى المتاحف العربية .

ذكريات عجوز انكليزية ..

كاتبة الفندق الذى نسكن فيه عجوز انلكيزية اقدر ان عمرها فى حدود (٦٠) سنة أخذت تتحدث اليوم معنا عن الحالة الحاضرة فى افريقية وما كانت عليه منذ اربعين سنة عندما جاءت الى افريقية اول مرة ، قالت : لقد جئت فى ذلك الوقت ولم احتج ان ابرز جوازى فضلا عن ان يطلب منى تأشيرات دخول من شمال القارة الافريقية الى جنوبها .

أما الآن فقد اختلف الامر كثيرا فقد بعثت منذ اسبوعين كتابا الى حكومة زامبية اطلب منها ان تمنحنى اذنا بالدخول لاتمكن من قضاء اجازة عيد الميلاد ورأس السنة مع ابنى الذى يقيم فيها وحتى الآن لم يصلنى الرد بالايجاب ولا ادرى هل يصلنى بعد ذلك . فقلت لها : وما رأيك فى الحالة التى عليها افريقية الآن وهل هى احسن منها عندما دخلت اليها اول مرة ، فتنهدت ثم قالت : هل السعادة فى السلام ؟ أم فى الكراهية والبغضاء ؟؟.. ولما سألتها توضيح ماتعنيه ، قالت : انها فى ذلك الوقت كانت تعتبر قارة سعيدة فلا كراهية ولا بغضاء ولا انقسامات بين دولها حتى الافريقيون سعداء بحالتهم التى كانوا عليها ، اما الآن فأين المكان الذى يسوده السلام والطمأنينة فى افريقية ؟ أفى

البلاد التى يسيطر عليها البيض ويسومون السود سوء العذاب ، وهم ــ اى البيض ــ فى فزع دائم من أن يأتى يوم يسيطر فيه عليهم الافريقيون فيكيلون لهم الصاع صاعين، أم فى الكنغو وكينية والصومال والحبشة وزنجبار وغيرها وغيرها ؟.

ثم قالت بل السلام الآن عزيز فى أكثر البلاد فتلك الولايات المتحدة اغنى دول العالم تعانى اضطرابا عنصريا واهتياجا عاطفيا ، ثم اضافت قائلة : حتى بلادكم مهد الحضارات القديمة ومطلع الرسالات السماوية ليس فيها سلام فاليهود والعرب يتقاتلون وفئات الشعب فى كثير من بلدانه تتصارع والانقلابات تتلوها انقلابات ،ثم قالت ارى ان الدعاء الذى يقال فى عيد الميلاد (وعلى الارض السلام) لم يستجب .

يوم السبت ٤ــ٩ــ١٣٨٦ هـ

١٧ــ٢ــ١٩٦٦ م

أكملنا فى الصباح عملنا فى سالسبورى عاصمة روديسية وذلك فيما يتعلق بالطلبة الروديسيين الذين سيسافرون الى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، كما اتممنا توزيع الاعانات المالية على الجمعيات والهيئات الاسلامية فى روديسية . كما اتفقنا مع الجمعية الاسلامية على ارسال مدرسين لهم على نفقة دار الافتاء فى المملكة العربية السعودية ولم يبق الا السعى فى مغادرة روديسية ولكن المشكلة فى ان روديسية تقاطعها جاراتها الافريقيات ولاتصلها طائرات الا من جنوب افريقية وملاوى والاخيرة ليس فيها طائرات تسافر الى الكنغو مقصدنا بعد روديسية . اذا لم يبق الا السفر عن طريق جو هانسبرغ فى جنوبى افريقية ولكننا ليس معنا سمة دخول تخولنا التجول فى جنوب افريقية وانما حصلنا على مرور فى المطار لبضع ساعات لذلك لابد من ان تتولى احدى شركات الطيران الابراق بحجز اماكن لنا فى احدى الطائرات المسافرة من جوهانسبرغ الى كنشاسا . ويجب ان نسافر اليوم لان الطائرة الاخرى لاتطير الا يوم الخميس القادم وليس باستطاعتنا ان نظل عدة ايام فى روديسية بسبب ضيق الوقت .

≠ • ≠

آخر ايام غرناطة

للشيخ محمد المجذوب، المدرس فى الجامعة

من الشعر التمثيلي

الى الذين أضاعوا فلسطين ...
والى الذين استشهدوا ذودا عن فلسطين ..
والى الذين يجاهدون لاستعادة فلسطين ..

المكان : قاعة العرش فى قصر الحمراء من غرناطة ..
الزمان : المحرم من عام ٨٩٧ هـ (نوفمبر ١٤٩١ م)

(سعيد وحماد ــ فراشان ــ يرتبان الارائك ، ويصلحان وضع القاعة استعدادا لاجتماع المجلس الاعلى) ..

سعيد (ممسكا عن العمل يتأمل القاعة ويرسل زفرة حرى) وا أسفاه .. انها المرة الاخيرة التى تظلنا فيها ايها السقف الذهبى ..

حماد ــ سعيد : انك لتفزعنى بهذه الكلمات ..

سعيد ــ لم يعد هناك مجال التضليل .. ان غرناطة على وشك السقوط . (اصوات الابواق والطبول ترتفع من بعيد) .

حماد ــ ولكن الحامية لاتزال قوية .. ألا تسمع ؟!

سعيد ــ ليهنك املك .. انه الشعاع الاخير فى ظلمات اليأس .. أما انا .. فلا احس فى هذه الابواق الا نذير الفناء .. لقد استحالت فى مسمعى ألعابا ينفخها الاطفال ..

حماد ــ أوه !.. انك مخلوق طبعت على التشاؤم ...

سعيد ــ ولم لا ؟!. وكل ماحولنا ينعق بالشؤم .. حتى ملكك ..!

حماد ــ وانت ايضا !.. ألا يكفى أبا عبد الله ان يسمع هذا السباب اينما ذهب من غرناطة !.. هذا عقوق يا ..

سعيد ــ كفى .. كفى .. من حق الناس ان يتلقوه بأكثر من هذا .. وما اشد عقوقهم لربهم فى صبرهم على هذا الابله !.

حماد ــ ويحك .. انسيت بلاءه المجيد ؟. الم يدفع هؤلاء المغيرين عن غرناطة قبل شهر !؟.

سـعيد ــ (يرسل ضحكة جافة) واى فضل له فى ذلك !.. انها حماسة ابن ابى الغزان الذى جره مكرها الى المعركة ..

حماد ــ هب ماتقوله صحيحا ، فما ذنبه ؟.. وقد تسلم البلاد وهى فى دور الاحتضار .. كما قال لك خالد امس ..

سعيد ــ أنت دائما تردد اقوال خالد !.. ولكن الناس لايحاسبون صاحبكم على ذنوب غيره ..

حماد ــ فعلام اذن يلومونه ؟..

سعيد ــ لانه اجهز على بقية املهم فى الحياة .. ويلك .. انسيت ايام عليه غما وكمدا ؟..
أثار العامة على أبيه ارضاء للقشتاليين ؟. الم يحاربه بسيوفكم حتى قضى

حماد ــ ولكن ...

سعيد ــ دع لكن .. أنسيت ايام كان يقطع بكم طريق عمه (الزغل) وهو بقية المجاهدين ، ليصرفه عن نجدة المسلمين فى المواطن المهددة .. حتى اضطره للتسليم الى فرديناند !..

حماد ــ اشهد انك اقدر منى على الحجاج .. ومع ذلك لا ازال واثقا برجولة أبى عبد الله ، وانى لاترقب له وثبة جديدة ترد فرديناند الى اقصى الحدود ...

سعيد ــ أف !. ذلك هو مرض العرب .. انهم ابدا ينتظرون ولادة المعجزات على ايدى حكامهم !..

(وقع اقدام من الخارج)

حماد ــ (هامسا) ، امسك لسانك ، واحتفظ برأسك .. ان للجدران آذانا ...

سعيد ــ هيهات .. لم يعد هناك ما يخيف ...
(يدخل الحاجب كئيبا)

سعيد ــ ماوراءك يا أبا محمد ؟..

الحاجب ــ اسوأ الاخبار . ان العدو على اهبة النفاذ الى قلب غرناطة ، وقد بدأ يحشو اسوارها بألغام البارود **(يرتفع دوى انفجار)** .. هو ذا احدها
(سعيد وحماد يطلان من النافذة)

همـاد ــ انظر سحب الغبار .. ياللهول !..

سعيد ــ ان العدو كالبحر الزاخر .. اللهم رحمتك !..
(حركة اقدام من الخارج)

الحاجب ــ الملك .. الملك ومعه قاضى غرناطة وحاكمها ، وبعض الشيوخ ..

(يدخل الملك ومعه قاضى غرناطة وشيخان ، ثم حاكم المدينة ، يحتلون امكنتهم فى جمود واضطراب)

الملك ــ (بعد لحظة صمت) لقد دعوتكم للنظر فى تبدلات الموقف (يجيل نظره فى ارجاء القاعة ويرسل تنهدة عميقة) وما ادرى اذا كانت (الحمراء) ستجمعنا مرة اخرى !..

لقد جاءنى رسول الطاغية يحمل شروطه ، وما احب ان اقطع امرا لاترضونه. ليتفضل القاضى بالكلام ..

القاضى ــ يجب اولا ان نعرف قوة الحامية ، فما ينبغى التفكير فى التسليم مادام هناك سبيل للمقاومة .

أحد الشيخين ــ ولعل اخواننا فى افريقية لاينسوننا من مددهم ، وهم يعلمون اننا ندافع عن آخر اثر لوجود الاسلام فى هذه الارض .

الملك ــ تكلم يا أبا القاسم .. فأنت الحاكم العسكرى ..

أبو القاسم ــ أما المدد فقد انقطع كل امل فيه .. ان افريقية مشغولة بحروبها العشائرية . واسطول الطاغية يسد ثغور الاندلس، وجبال (البشرات) قد ألقت سلاحها بعد ان فنى معظم رجالها ، ولم يبق لكم الا ما تحت اقدامكم .

الجميع ــ حسبنا الله ..

القاضى ــ والمؤن ...

أبو القاسم ــ يكفى ان تعلموا ان الاطفال يهلكون جوعا فى احضان امهاتهم، وان الحامية تقاتل على الطوى منذ امس ..

الجميع ــ الله اكبر .. لاحول ولا قوة الا بالله ..

(يدخل الحاجب)

الحاجب ــ مولاى .. ان رسول الطاغية يستعجل النظر فى أمره ...

الملك ــ نعم .. نعم .. (للحاكم) يحسن ان تعتذر اليه وتصحبه الى هنا يا أبا القاسم .

(يخرج الحاكم والحاجب)

الملك ــ (متهدج الصوت مجيلا عينيه فى القاعة) اسفا على ما ضيك ايها القصر .. لقد كان رسل الفرنجة ينتظرون اياما حتى يؤذن لهم بتقبيل الارض وتقديم الهدايا ...

القاضى ــ كان ذلك فى عهد الايمان والبطولة ...

الملك ــ اشاءت حكمة الله ان ينتهى كل هذا المجد على يدى المشؤومتين ؟!

الشيخ ــ ذلك قضاء الله ...

الملك ــ ياهوانى على الله !..

(وقع اقدام من الخارج .. وصوت سلاح ..)

الحاجب ــ الحاكم العسكرى ومعه رسول الطاغية ...

(يدخل الرسول بسلاحه ، ومعه الحاكم ابو القاسم)

الرسول ــ السلام عليكم (يتقدم لمصافحتهم بادئا بالملك)

الجميع ــ (وقوفا) وعليكم السلام .

الملك — (يأخذ بيد الرسول الى مقعد على يمينه) عذرا أيها السيد لتأخير مواجهتك ، فقد احببت ان تقف بنفسك على جواب المجلس الاعلى .

(الحضور يتهامسون فى شأن الرسول)

(الملك يتابع كلامه للرسول) — لقد بعثت فينا فصاحتك نشوة .. فلعلنا تلقاء أخ عربى !.

الرسول — (مبتسما) لم يخطىء حدسكم . ان والدى عربى . وقد اختارنى سيدى لهذه الوفادة املا فى أن اوفق لاقناعكم بالكف عن المقاومـــة اليائسة ، رحمة ببقيـــة الدماء ...

الملك — نعم الاختيار . وانها لفرصة كريمة ان نشركك فى أمرنا كأخ لاينسى حقـــوق الرحـــم .

الرسول — يؤسفنى ان اقول اننى لااستطيع خدمتكم بشىء سوى ان انصح لكم بالتسليم . كان عليكم ان تفكروا فى هذا المصير يوم تعهدتم لمولاى بتسليم غرناطة اذا فرغ من القضاء على عمكم ...

الجميـــع — (فى دهشة) يا ألله .. نعوذ بالله !..

الرسول — اما وقد انتهى امر عمكم فعليكم أن تفوا لمولاى ، وان تعمـــــلوا للافادة من عطفه ...

الملك — (مطرقا) اعترف بأننى انا الذى سعيت الى نهايتى بعقوقى وجهالتى، ولكن ... ارجو ان اجـــد فى قلب فرديناند متسعا للابرياء مـــن الشـــيوخ والاطفال والنساء .

الرسول — ما أحسب سيدى ضنينا بهذه الرحمة .

الملك — ليكن امر الله . فاذكر لنـــا مطالبكم اذا شئت .

الرسول — (يخرج من ثيابه اوراقا) مطالبا ان يقسم الملك وكبار القـــادة يمين الطاعة لملكى قشتالة واراغون ، على ان يغدو مسلمو غرناطة رعايا لهما ، محتفظين بأملاكهم واسلحتهم ، احرارافى دينهم ومحاكمهم ، وضمانا لذلك تقدمون اربعمائة من اعيان غرناطة وشبابها رهائن لتنفيذ هذه الشروط .. تلك مطالبنا ولا سبيل الى تعديلها . وهاهى ذى صورة الاتفاق لاينقصها سوى توقيعكم .

(ويقدم الوثيقة الى الملك)

الملك — شروط كريمة .

القاضى — اذا شفعها التنفيذ .

الرسول — مهما يكن من شىء ، فليس للمغلوب ان يناقش الغالب فى وعوده . ان عليه ان يحسن به الظن ، ويسلم اليه القياد .

الملك — رأيكم ياسادة غرناطة .

القاضـــى — لاخيرة فى الشر . وعسى الله ان يلهم الغالبين فيفوا لنـــا ببعض ما اسلفنا اليهم من البر .

الرسول — اذن فلتتفضلوا بالتوقيع فان فى التأخير مهالك لاحد لها .

الملك — ليكن امر الله . (لحماد) القلم والدواة يأبا شهيد . (يخرج حماد).

القاضى — يحسن بنـــا انتظارالقادة فان لرأيهم شأنا لايحسن اغفاله .

الملك ــ حقا ... وقد ارسلت فى طلبهم (هامسا) غير اننى اخشى مخالفتهم .

(حركة من الخارج . يدخل الحاجب فيضع الدواة والقلم على المنضدة ..)

الحاجب ــ موسى ابن ابى الغزان ، ونعيم بن رضوان ، ومحمد بن زائدة .

الملك ــ ايتفضلوا ... (للشيوخ) لعلكم تقنعونهم . انى اخاف ان تقطع ثورة الشباب آخر خيط من الامل .

سـعيد (هامسا) قبِّح الامل !

(يدخل موسى ورفيقاه شاكى السلاح يغمرهم غبار المعركة)

موسـى ــ السلام عليكم .

الجميـع ــ (وقوفا) وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

(فىهذه الاثناء تسقط الورقة من يد الملك) .

الملك ــ تفضلوا ايها القادة .

(يجلسون وموسى الى يسار الملك) .

موسى ــ (عابسا يجيل عينيه فى الحضور ، وينقل نظره بين الورقة والرسول) لعله رسول الطاغية يحمل الينا التهديد والوعيد !.

الرسول ــ مهلا يافارس غرناطة .. لقد شغفت والله بأنبائك حتى وددت لقاءك . وارجو أن أكون اليكم رسول خير ..

موسى ــ (يلتقط الورقة من الارض) اشكرك ايها السيد .. وبودى لو تكون رسالتك كما رجوت .. ما هذه الاوراق ؟..

(يطالع الورقة والحضور يلاحظونه فى وجوم) ماهذا ؟.. (للملك) ألهـذا دعوتنا ، والقتـال على اشـده ؟!!

(يخاطب القائدين) ــ انظر يا ابن زائدة ، اقرأ يا ابن رضوان (يدفع اليهما بالورقة) أيرضيكما هذا ؟.. (للرسول) ــ اهذا كل ما عندك ؟!..

الرسول ــ انما تقاس الامور بمناسباتها ايها الفارس . ولو فكرت فى واقعكم لوجدت الخير كله فى هذا .

موسى ــ لانزال فى خير مادامت لنـا حريتنا ..

ابن رضوان ــ شروط لاتحتمل ..

ابن زائدة ــ السيف ارحم من الهوان (معيدا الورقة الى موسى) .

موسى ــ لا .. لن يكون ذلك ابدا (يمزق الورقة ويطرحها ارضا) .

الرسول ــ (مغضبا) ان لهـذا ثمنا .. قد تعجز عن ادائه غرناطة كلها ..

موسى ــ انها قطعة ورق لا اكثر .. أما غرناطة فهى الشىء الوحيـد الذى لايعدله ثمن ...

الرسول — ومع ذلك فقد تنتهى الى شر من هذا التمزق ... ان ..

موسى — حسبك . انك تسرف فى الاهانة .. وكان عليك ان تذكر ان ابهاء الحمراء لم تألف من رسل الفرنجة سوى الانحناء .. ولولا حقوق الرسل لكـــان الشـــأن غير هذا ..

الرسول — ذلك عهد مضى .. و

موسى — وسيبقى ما دام فى هذه الصدور نفس يتردد . قـــل لسيدك — ان الاسد لايقدم يديه للقيد ، وان لم يستطع الانتصار فهو يعرف كيف يختار منيته ..

الرسول — اذن فأنت تريد لغرناطة الانتحار .. ان خيرا من هـــذا ان تلقى سلاحها ..

موسى — بوسعك ان تدعو سيديك ليتسلماه !

الرسول — (للملك) اذن ارجع بأسوأ النتائج ..

الملك — (مضطربا) مهلا ايها السيد .. لايزال لنا امل فى حكمة موسى ..

الرسول — (متهيئـــا للخروج) يسرنى ان تصيروا الى اتفاق ، وانى مستعد لتناسى الاهانة رحمة بالسكان . سأنتظر ردكم فى بهو السفراء ...

الملك — حسنا تفعلون ..

(يخرج الرسول ومعه الحاكم العسكرى)

القاضى — (لموسى) أى بنى .. ياموسى .. ان حكمة الشيوخ جديرة برضاك فى هذا الموقف الحرج .

موسى — ان حكمة الشيوخ محل اجلالى .. ولكن الخضوع للعبودية لـــن يكون حكمة ياسيدى القاضى .. (يرتفع صوت المؤذن من مسجد القصر) .

الجميع — (يرددون مع المؤذن) — الله أكبر .. الله أكبر ...

الملك — لا اعتراض على مشيئتك يا الله ...

موسى — (فى حماسة) الله أكبر .. أكبر من فرديناند ، ومن كل طاغية . ان هذا النـــداء جدير بأن يوقظ فى قلوبنا روح الاستبسال والعزة ..

القائدان — ان العزة لله ولرسوله والمؤمنين ...

القاضى — اذكر ياموسى قول الله : « ولا تلقوا بأنفسكم الى التهلكة ... »

موسى — ولم لاتذكرون قوله : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنـــة ... » ان الله لايرضى للمؤمن ان يؤثر الدنية ، وفى يده سيفه .

الملك — ولكن فرديناند يعدنا بالابقاء على ديننا ويهب لنـــا المساواة برعيته ..

موسى — يا للغفلة ! ومتى كان هذا العلج من الاوفياء ! . ان المؤمن لايلدغ من جحر مرتين .

ابن رضوان — ولكن قومنا ابدا يلدغون .

ابن زائدة — ثم لايستيقظون ...

موسى — ألم يعاهد صاحب (مالقة) من قبل ، حتى اذا اسلم اليه قذفه فى الجب .. ثم ساق السكان ارقاء الى اشبيلية ، حيث سلخوا من دينهم ، وسلبوا أبناءهم ، وذللت أعناقهم للسياط والمحارق ؟!.. شدَّ ما تكذبون ابصـــــاركم وتصدقون آذانكم .. يا معشر الغرناطيين .. حسبكم ما فرطتم من قبل .. ان دماء آباءكم واشلاء شهدائكم تستصرخكم لايثار الكرامة ، فلا تصغوا لوسوسة الباطل ، ولاتسموا الجبن حكمة .

الشيخ لقد استخرنا الله ، ولن ندعوالناس الى الموت، وهناك امل فى الحياة .

القاضى لو سمعت ياموسى انين الاطفال ، وقد حطمهم الجوع على احضان امهاتهم لعدلت موقفك .

موسى — (يتهدج صوته من الالم) واكبدا لاحفاد الفاتحين يتجرأ عليهم الجوع، ويفتحون اعينهم على اشد ايام الدنيا !..

الشيخ — ذلك حصاد الماضى من ايام ملوك الطوائف ..

الشيخ الآخر — بئس الغواة !.. أفسدهم الترف وغرتهم بهارج الدنيا ..

ابن زائدة — واستنفدوا قواهم فى النزاع الداخلى على المجد الكاذب ، حتى اسلمونا لهـــذه الكوارث .

القاضى — ليتهم يبعثون اليوم ليروا ثمار ضلالهم ...

الملك — حسبهم عذاب الله ..

ابن رضوان — ولعنة الاجيال ...

الشيخ — ولكن هذا كله لن يجـــدى اطفال غرناطة شيئا .

موسى — والهفا على اطفال غرناطة !.. من حقكم ان تحاولوا انقاذهم ، ولو بحبال الوهم ، اما انا فخير لى ان احصى بين الذين سقطوا دفاعا عنهم ...

ابن زائدة — ذلك والله احرى بالنفوس العزيزة ..

ابن رضوان — واسعد للقلوب المؤمنة ..

موسى — واليق بشهامتكما . فلنستقبل الموت معا كما استقبلنا الحياة .

ابن زائدة — انى تلميذك البار ، ومعاذ الله ان افارقك .

ابن رضوان ــ لاقوة تحرمنى نعمة الشهادة فى صحبتك يا قائدى ..

سعيد ــ (يتقدم من اقصى القاعة) وانا ايضاا حسن صناعة المــوت ، فاقبلنى فى رحلتك ايها البطل ..

الملك ــ حتى انت ياسعيد .. تتركنى فى اللحظة الاخيرة !.

موسى ــ انها انتفاضة الايمان تسمو بالنفوس الكريمة الى ذروة التضحية .

ســعيد ــ لم يبق فى الحياة ما يستحق البقاء ..

(يدخل الحاجب) .

الحاجب ــ ان فارسا قادما من السور يلتمس مقابلة القائد موسى .

موسى ــ من الفارس ؟.

الحاجب ــ لم يذكر اسمه ، وهو غارق فى الحديد لم أر غير عينيه .

موسى ــ (يلمح الفارس خارج القاعة) اقبل ايها الفارس .

الفارس ــ سيدى القائد . ان العدو المتكاثر يكاد يغلب جنودك على الباب الجنــوبى .

موسى ــ اننــا قادمون . وسنفتح هذا الباب .

الفارس ــ ماذا ؟.. أتفتحون الباب للعدو ؟!

موسى ــ اجل سنفتحه لنسده بأجسامنا .

القائدان وسعيد ــ اجل لنسده بأجسامنا .

الفارس ــ الله أكبر . (يتقدم من موسى ، وقد لان صوته وظهرت فى نبراته رقة الانوثة) ألا يسرك ياسيدى القائد ان نتجرع معا كأس الشهادة ؟!

موسى ــ (مندهشا يتلمس الفارس فى حنان) فاطمة !.. هذا انت ؟ تعالى **.. تعالى .. تعالى .. شد مايسعدنى ان نلتقى فى ساعتنا الاخيرة !. أجل ليكونن ماتريدين ، وسيحتفل بزواجنا ملائكة السماء بعد ان عقدنا رباط الزوجية فى جنان غرناطة الحبيبة .**

الجميع ــ ألله أكبر !..

الملك ــ هنيئا لكم هذا المصير الكريم . ان مثلكم لايصلح لغير الحيـــاة الكريمة ، او الموت الكريم .. اما انا .. ويلاه !.. (يشرق بدموعه ، ويهوى على مقعـــده) .

موسى ــ (فى لهجة تختلط فيها الشفقة بالاحتقار) حق لمثلك ان يبكى ايها الملك التعس .. ولكن !..

ابن رضوان ــ (هامسا) ولكن .. هيهات للدمع ان يغسل الآثام ..

موسى ــ هلموا يارفاقى نلق على العدو درسنا الاخير . اما الشيوخ ...

فاطمة ــ فليفتشوا عن الترياق فى انياب الافعى ...

موسى ــ وان لم يظفر احدنا بقبر يضم اشلاء .. فان يعدم سماء تغطيه .

الجميع ــ (فاطمة ورفاقها) الثلاثة شاهرين سيوفهم) الله اكبر .. يارياح الجنة هبى .. (ويخرجون وراء موسى مرددين) :

الله أكبر ... الله اكبر ...

مقومات النصر في حروب الاسلام

للشيخ احمد مختار بزرة المدرس في الجامعة

الحمد لله رب العالمين ، ولى المؤمنين ، وناصر المخلصين ، وعدا عليه حقا فى القرآن العظيم . الذى فتح ابواب الجنة للمجاهدين : الشهداء والمنتصرين . وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وخير المجاهدين الذى امده ربه بالملائكة مردفين ، وانزل عليه النصر المبين ، وجعله للمؤمنين شفيعا يوم الدين .

لايمارى أحد فى ان الانتصارات العظيمة التى حققها الاسلام فى فجر بزوغه وانتشاره يكمن سرها فى قدرة المسلمين انفسهم على تمثل هذا الدين عقيدة واقامته عبادة وعملا ، وفى اندفاعهم وامتثالهم لانفاذ الاوامر الالهية فى أدق صورة يستطيع مؤمن اداءها .

ولا يمارى احد ان سر ذلك يكمن فى طاقة الجهاد العظمى التى فجرها هذا الدين فى نفوس اتباعه على مثال لايعرف تاريخ البشر له شبيها .

والحق ان قصة الاسلام الاولى هى مراحل الجهاد الشاق العنيف المتواصل الذى بدأه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم غزا شعاعه نفوس الداخلين فى دين الله افواجا حتى هجمت بهم صدور الخيل على سور الصين ولجج بحر الظلمات .

ان المسلم ليتغنى بانشودة عذبة ساحرة ، انشودة الامجاد الخالدة التى ابتناها المؤمنون السابقون .

واننا لنستبقى نحن المسلمين ذكرى هذه الانتصارات حية فى غدونا ورواحنا نرنو اليها بمزيد من الحنو ونتوجه اليها بكثير من الشوق والحنين وانها لتزداد توهجا فى ضمائرنا فى هذه الايام الحالكات اذ الهزائم تنزل بنا ، ونحن من العجز حسرى ، ومن الغم سكارى ، وفى براثن العذاب اسارى ، لا يكون منا الا التوجع والشكوى ، فنطبق الاجفان على واقع اليم ، ونشط بالذكرى الى ملاحم الاسلام وانتصارات الاجداد الفاتحين صرفا لانفسنا عن اليأس وتزودا بالرجاء وتمسكا بما فيه عزاء .

ولكننا لانفعل بانفسنا خيرا ان امتنا شعورنا بالواقع بما نورد عليه

من جميل الذكريات الخالدات ، وهربنا من شقوتنا وتعاستنا الى حمى سعادة غابرة ليس من حقنا ان ننعم بها لانا لسنا محققيها : هل نحن حققنا تلك السعادة ؟ هل نحن رفعنا أعمدة المجد الشامخ ؟ ؟ كلا .. اننا قطعنا حلقة الاتصال بيننا وبين اصحابها ، لكاننا لسنا باحفاد أولئك الذيـــن ينتشى التاريـخ بالحديث عن بطولاتهــم ومآثرهم ومكرماتهم الانسانية ؟.

كيف يكون الخير اذن فى تذكارها.؟ وكيف ننتفع بها فى وصل ما انقطع من أيام الاسلام المجيدة ؟

ان الانتفاع بها لعظيم ، وان فيها الوقدة الذاكية القادرة على ان تضرم فى قلوب الملايين من المسلمين حمية الجهاد وحب الاستشهاد ، وان تهز القلوب والاعصاب منهم هزا ، وان تنفض الكرى والسبات عنهم نفضا ، وان تخرجهم من التبلـد والخمول اخراجا .

ولكن كيف تستطيع أيام الاســلام ان تفعل فى انفسنا هـــذه المعجزة المنتظرة ؟

ان ذكرى بدر وحنين واليرموك والقادسية وحطين تغمر نفوسنا غمرا ولكن لايحسن بنا ان نرضى منهـــا بالاطياف بل لابد ان تفعم قلوبنــــا بمبادئها وأهدافها وان نعى خططها لنصنع انفسنا فى معملها صنعا مجددا واننا نحياها حق الحياة اذا استنتجنا منهـــا الدرس العملى التطبيقى فى تحقيق النصر الاكبر . وليس من شك أن هذه الحروب هى التى صاغت المسلمين كما شاء الله لهم أن يكونوا ورفعت لهم امجادهم ، وهى وحدها قادرة على ان تصنعنا بمشيئة الله وقد جعل الله لنا منها قدوة ، وجعل لنا فى اصحابها اسوة . واننامضطرون ان كنا جادين فى طلب النصر — الى العودة اليها للتحرى والتقصى عما فيها من الاعمال والخطى التـــى رجعت بالنصر المبين .

ان الله تعالى علم المسلمين الاولين كيف يصنعون النصر بأيديهم ، وما احوجنا ان نتعلم كما تعلموا .

اننا مدعوون شئنا ام ابينا الى خوض معركة فاصلة مع اعدائنا يكتب لنـــا فيها البقاء أو الفناء . وهذه المعركة هى أشد ما تعرض له المسلمون من محن فى تاريخهم . لانها لاتستهدف من الغلبة الاستيلاء على الحكم فحسب وانما تستهدف ذات وجودنا . روحا وقلبا ووطنا . فاما ان نبقى واما ان نذهب الى الفناء .

أقول : اننا مدعوون راضين أو كارهين الى المعركة الفاصلة ، فان لم نتقدم اليها بتخطيطنا وتصميمنـــا استقدمنا اليها اعداؤنا استقداما . فهم جادون فى تنفيذ ما حلموا بـــه قرونا وازمانا . وما ايسر انتصارهم علينا ان جرونا اليها جرا لايكون امرنا اصعب من امر الانعام التى تساق الى المسلخ مقهورة . وما امنعنـــا واشدنا ان كنا نحن البادئين المفاجئين قد عقدنا العزم واعددنا العـــدة ، وامسكنا بزمام الامر واخذنا مطالع

السبل واحطنا بالعدو ثم ادرنا عليه الدائرة .

وقد جعل الله للنصر اسبابا وللظفر سبلا هدى اليها المؤمنين المخلصين فكانوا بها الغالبين والفاتحين ، ولو اخذنا فى احصائها لوجدنا من أهمها :

أ ــ بناء الحياة الاسلامية على قاعدة الجهاد :

علينا ان نبادر الى اقرار حقيقة لاتدفع هى : ان الانتصارات العظمى فى تاريخ الامة الاسلامية تد قامت على قاعدة راسخة تجعل من الجهاد فى سبيل الله الاساس فى كيان الجماعة الاسلامية ومنطلقهم الى العالم والحياة ان الوجود الراكد لايقبله ديننا ، بل هو فى جوهره اخراج الناس من الركود الى الحركة ، او من الحركة المشتتة المخربة الى الحركة المنظمة البناءة التى تهب السعادة وتنشر البشر والخير . وهى القاعدة التى اقام الله عليها الوجود الانسانى كله، قال تعالى : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين » (١) .

ولقد أكمل الله الدين للمسلمين واتم عليهم نعمته ، ومن ذينك الكمال والتمام ان يجعل منهم القوة الدافعة فى الارض لتجتث جذور الكفر والفساد .

ان اكرام الله للمسلمين ان يجعل منهم جنده المنتصرين المنصورين .

تلك هى الحقيقة يزيدها سطوعا ما اعلمناه الله من استغنائه عن خلقه ، واستقلاله بالنصرة دونهم لمن شاء من عباده ، وانه ما حملهم امانة الجهاد والانتصار لله الا انقاذا لهم وتكريما . فعرف المؤمنين ما كان من نصره للرسل وحده وللنبى محمداً صلى الله عليه وسلم فقال تعالى « الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ٢ » فأين كانوا وكيف كانوا يوم أنزل جنوده وحمى نبيه .!

وفى محكم الكتاب آيات مفصلات لكثير من المواقف الحرجة التى تنزل فيها نصر الله على رسله وعباده الصالحين فى ساعة اليأس . فقد نصر الله يوسف عليه السلام بعد ان القاه اخوته فى غيابة الجب فى بيداء منقطعة ثم مكن له فى الارض . وانقذ موسى وقومه من فرعون الطاغية ولم يقاتلوا ولم يناوشوا فضرب لهم فى البحر طريقا يبسا واغرق فرعون وجنوده بعد ان كاد الهلع يأتى على قلوب بنى اسرائيل . كذلك من على اصحاب الكهف لما خافوا ان يغلبوا على امرهم وان يفتنوا عن دينهم فلجؤوا الى الله لا يرون ربا غيره ولا يطيبون عن ايمانهم نفسا ، فنادوا متضرعين مستنجدين . ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من امرنا رشدا » (٣) فآواهم الى الكهف وضرب عليهم النوم قروناوحماهم بمعجزة عليا هو وحده عليها قادر .

---

١ ــ البقرة ، الآية : ٢٥١

٢ ــ التوبة ، الآية ٤٠ .

٣ ــ الكهف الآية ١٠ .

تلك هى معجزات الله . لو شاء الله يستغنى عنا فى نصرة الدين لفعل ، ولكن كان التكليف بها منة منه علينا وافضالا واكراما ؟ انها ثقة الله فى عباده المؤمنين الطائعين .

وحسبنا ان نعلم ان الامة المسلمة تدين بوجودها وبقائها لما ايدها الله به من انتصارات وفتوحات باهرات . فان الجماعات التى تعجز فى الدفاع عن كيانها تنتهى ــ كما انتهى كثير من شعوب الارض ــ الى الزوال . وقد كان المسلمون فى فجر الدعوة والهجرة قلة مستضعفين لم تسلم لهم القبائلوالبلاد المحيطةبهم باعتراف رسمى ،وكانوا هدفاللعدوان يخشون ان ينصب عليهم من جهات الارض ، فاستل الله من قلوبهمالخوف اذ قادهم بأمره وتقديره الى بدر ليجربوا بلاءهم لاول مرة وليستمرئوا طعم الظفرحتى يمعنوا فى طلبه ، وليمن عليهم بنصر علوى يرفعهم لذروة الفخار والاعتزاز فلا يرضون بعدها بخسف أو ذل ، وليشعروا بانهم قادرون على حمل اعدائهم على ان يخلوا بينهم وبين انفسهم يعبدون الله احرارا ويدعون الى سبيله احرارا .

أيها الاخوة .

اننا مدينون بدين صعب الوفاء لهؤلاء البدريين ــ رضوان الله عليهم ــ الذين صنع الله على ايديهم النصر الاول وارسى بناء الدولة الاسلامية على قاعدة مجاهدة الاعداء بالسيف .

وقد امرالله المؤمنين ان يذكروامعتبرين ذلك اليوم العظيم الذى وطد كيانهم واخرجهم من الخوف الى الامن ومن التردد الى الحزم ، ومن التوقف الى العمل ، ومن الدفاع الىالهجوم ، قال تعالى « واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون »[١]

ولاشك ان الله سبحانه اذ فرض القتال على المسلمين طريقا الى النصر اختار لهم منهجا سويا سليما يحفظهم من آفات الحضارة ، ومن امراض النفس ودواعى الخزى والذل والموت اذ ركب الله فى النفس البشرية قوتين متعارضتين . وميلين متناقضين : الميل الى الدعة والسكون والتبلد ، والميل الى النشاط والفعالية والتوثب ومستقبل الانسان بينهما فان بسط الاول عليه سلطانه كان ادنى الى الحيوان المتمتع المستهلك ، وان غلب عليه الثانى كان الانسان الفعال المنتج . ويتجاذب الانسان هذان الميلان فان انتصرت ايجابيته على سلبيته كان هذا النصر الداخلى مقدمة للنصر الخارجى . فان لم ينتصر الانسان على نفسه فلا رجاء فى اى انتصار خارجها .

ومن ثم امرنا الله ان نقهر فى ذواتنا رغبات القعود ، وبين لنا انه قد خلقنا لامانة كبرى لاينهضبها الا اولو العزم من المجاهدين .وان اهمال هذه الامانة حط للانسان من قدر ذاته

---

١ ــ الانفال ، الآية : ٢٦

وهوان يجره بتقاعسه على نفسه . وحذرنا من الاخلاد الى الارض فقال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله أثاقلتم الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل » . (١) فقد جعل الله — جلت حكمته — من القتال معهدا يتخرج فيه المجاهدون فى سبيل الله ، ومن الحروب مصنعا ينتج ابطالا متفوقين يستصغرون الدنيا ويستعذبون الموت . فتنصهر بهذه الممارسة العملية والمعاناة الجادة للصعوبات والتضحيات القوى الفعالة البناءة فى النفس وتنهزم الشهوات والاستسلام للدعة والترف ومغريات الارض .

ان الجهاد فى حقيقة تربية للنفوس صحية سليمة واقعية ، اذ يضعها دائما فى ظروف مشحونة بالاخطار لتتغلب عليها وتنجو منها ، فتتعود فيها الصبر والاحتمال وتصبح الاخطار مهنتها المتقنة ومجالها المفضل الذى تحقق فيه ذاتها وتكشف عن امكانياتها واذا وصلت النفوس الى هذا المستوى من الشدة وردود الفعل الناجحة اقتربت من نصر الله .

وهذا هو الانتصار الداخلى فى النفس الذى لا يكون النصر المسلح الا به ، وان أية تجربة عسكرية لا ترتكز اليه مقضى عليها بالاخفاق ، وكان الله عليما حكيما اذ اخرج المؤمنين فى السنة الثانية من الهجرة من المدينة حيث الظل والشجر والامن ، الى بدر وكان فريق منهم الفوا هذه الحياة المطمئنة فأرادوا عيشا يسيرا من غير جهد ، واراده الله لهم مجبولا بالعرق ، غاليا كالمهج . وصور لنا نفوسهم فقال — تعالى — مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ، يجادلونك فى الحق بعد ما تبين ، كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون . واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ، ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون . » (٢) .

لقد قضت سنة الله ان يحق الحق بسيوف عباده الذين انتدبهم لنصرة الحق . وهم لايقدرون على النصر حتى يؤثروا الجهاد على ارتباطات الحياة كلها ، ولا يجدوا فى الموت ضيرا . ومن ثم أوجب الله تعويد النفوس حب ما تكره من القتال ، وكره ما تحب من ملازمة الارض وايثار السلامة .

قال — تعالى — « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم **لاتعلمون** » . (٣) .

---

١ — التوبة : الآية : ٣٨
٢ — الانفال : الآيات : ٥—٨
٣ — البقرة : الآية : ٢١٦

ذلك ان طلبها للسلامة يزين لهـــا الاستسلام فتمرض مرضا عصيا ، وتفسد حياتها فسادا ذريعا . فـــلا يبرؤها الا ان تحب ما كرهته مـــــن الانتقاض على القعود . ولا يتم لها هذا الا بمعارضةنفسية داخلية تصدع
هذا الابمعارضةنفسيةداخليةتصرع
فيها حوافز الكفاح والنضال المنبطات والمعوقات الذاتية ، حتى يصبـــــح الكفاح قاعدة الحياة وغايتها . ولا يتحقق ذلك الا بالمعاناة المريرة واقحام النفس فى المسالك الوعرة والشعاب الشاقة التى يتعثر فيها الصاعدون ، فتتمزق بالاحجار الناتئة اقدامهـــــم وايديهم وهـــــم يتشبثون باطراف الصخور ليصلوا الى الاعالى ، فمنهم من يستشهد ومنهم من يبلغ القمـــة ويركز فيها الراية . ان هذا لهو البلاء الحسن الذى ذكره الله تعالى فقال : « وليبلى المؤمنين منه بلاءٍ حسنا »(١)

اجل انه البلاء الذى يصنع نفوس الابطال ويخرج خير الامم والشعوب وبذاك يعيش المؤمنون تجربة الايمان حية دفاقة قد دفعوا فى ثمنها مـــن دمائهم ، فتغلو لديهم وتعلو ، وتصبح الجزء الذى لايتجزأ من وجودهم ، بل تسمو عليه فلا يجدون الموت من اجلها كثيرا أو صعبا . فصار الدين بذلك انفس النفائس لدى المؤمنين .

واذا غدا القتال طريق الامجـــاد ونشيد الفخار تسابق اليه المتسابقون وكثر طلابه . وخجل من تركه مـــن خشى على نفسهالسقوط فى الاعتبارين الالهى والاجتماعى . وكل خطير من الامور تهابه النفوس ابتداء ثم تألفه اعتيادا ، وتحرص عليه لما يعطيها من خير . كذلك كان شأن المسلمين قبل بدر منهم من يؤثر الغنيمة الباردة ، فلما رشفوا من رضاب النصر الاول مجت افواههم غيره ، ودبت الغيرة فى النفوس فصار الذين لم ينالوا شرف البدرية يتمنون لقاء العـــدو ليفوزوا بالاجر والفخر كما فاز بهما اخوانهم فى بدر .

ما اسعد الامة وامنعها اذا كانت البطولة والجهاد مثلها الاعلى ، وما اشقاها واهونها اذا رضيت باللين والترف والتخنث حظا وقسما .

وهكذا نجد ان الجهاد باعتبـــاره قاعدة الحياة يبعث فى نفوس اتباعه القدرة على الانتصار الذاتى أولا ثم ينهض بهم الى قهر خصومهم وتثبيت مركزهم وتاثيل ملكهم ، ثم يحبب اليهم الاستزادة من الانتصارات والارتقاء فى سلم السؤدد والمكرمات .

على اننا بوصفنا الجهادبأنه قاعدة الوجود الاسلامى الدنيوى نعطيـــه نصف الحقيقة . والحقيقة التامة ان الجهاد ركيزة حياة المؤمن فى الدنيـــا والاخرة معا : انه جواز سفره الـــى الجنة قال تعالى : « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولمـــا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين » .(٢)

ان الانتصارات الحربية تصبـــح

---

١ ــ الانفال : الآية : ١٧

٢ ــ آل عمران : الآية : ١٤٢

تافهة الشأن اذا قيست بالهدف العلوى الذى يسعى اليه المسلمون المجاهدون .. ان اقدامهم ثابتة فى ارض المعركة وآمالهم فى السماء يتحينون النصر أو الشهادة طمعا بالجنة . وهؤلاء المؤمنون الذين يحملون بين جنوبهم قلوبا يعمرها الايمان بالله والشوق الى جنانه هم الذين امروا بالقتال . قال ـ تعالى ـ : « فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ، ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما » . (١)

وهكذا يطيف الجهاد بالمؤمنين من جوانب حياتهم كلها : فى حاضرهم ومستقبلهم ، فهو السد المنيع لهم من الخذلان فى الدنيا ، والجنة من عذاب الله فى الآخرة .

وليس ادل على كونه اساسا وسياجا من ان الله هددنا بالذل المقيم والعذاب الاليم فى الدنيا والآخرة ان نحن قعدنا عنه ورمينا بهذا الواجب عرض الحائط . فقد اعلمنا الله عز وجل انه ما خلقنا الا لنجاهد فى سبيله فان لم يجدنا اهلا لامانة الجهاد واعباء القتال قضى علينا بالفناء وكرَّم غيرنا بنصرة دينه فقال : « الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير » . (٢)

أجل . اننا لانضر الله شيئا اذ له جنود السموات والارض وما نضر الا انفسنا بحرماننا شرف الجهاد . لذلك وضع الله واجب الجهاد فوق الاعتبارات والارتباطات المادية والعاطفية كلها فى الحياة حتى لايحول بيننا وبينه حائل ، ولا ينفعنا بتركه اعتذار ، فهو فوق العواطف الابوية والبنوية والاخوية والزوجية والقبلية والوطنية وفوق الرغبات المادية ، فان قدَّمنا شيئا منها عليه تخوفنا على انفسنا من الله سخطا عظيما ، وقد أوعد الله به فى معرض الدعوة الى قتال المشركين : « قل : ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين » . (٣)

نسألك اللهم الا تحقق فينا وعيدك وان تعيننا على انفسنا ، وان ترفع عنا ما اصابنا من الخزى والعجز ، وان تجعل منا جندك المخلصين .

٢ ـ انشاء جيش مسلم فريد فى خصائصه :

لقد بينا ان القتال هو الفقار والصلب فى حياة المسلمين ، لايستطيعون له تركا ، أو تساهلا به وانهم لفى صراع دائم لاعداء الدين اذا أرادوا ان يكونوا دائما موضع مرضاة ربهم ، والخلفاء فى الارض . الذين لاينقطعون عن الكيد لهم ، وعن

---

١ ـ النساء : الآية : ٧٤
٢ ـ التوبة : الآية : ٣٩
٣ ـ التوبة : الآية : ٢٣

تبييتهم بالمؤامرات ، والغارة عليهم ما اصابوا منهم نهزة . فقد ابى هؤلاء الدخول فى ديننا وهم يحولون بيننا وبين الدعوة الى كلمة الله فلا معدى لنا عن منازلتهم ، واحباط خططهم ، وتشتيت قوتهم ، حتى يسلم لدولة الاسلام الامن والاستقلال والسيادة . لذلك كان نشوء جيش اسلامى نشوءا تلقائيا طبيعيا أمراتفرضه الضرورة وطبيعة الدين الاسلامى .

وهذا الجيش ذو خصائص نادرة مختصة به ثابتة فيه ، لايكون جيشا اسلاميا الا بها ، ولم يتمتع بها احد من شعوب الارض قديما أو حديثا الا جيوش بعض الانبياء والصالحين : كجنود طالوت وذى القرنين ، وهؤلاء قد انقطع الزمان بهم ، اما الجيش الاسلامى فهو ممكن الوجود فى أى حقبة يستجمع أفراده هذه الصفات الخاصة عاملين بالتوجيه الالهى .. انه جيش الله المتجدد ماحافظ المؤمنون على الايمان الحق ، فاذا خلت صفوفهم من هؤلاء الجنود النادرين تراجعوا رجوعا ظاهرا .

فما ابرز خصائص الجيش الاسلامى ؟

١ — القتال من أجل هدف علوى :

فاذا كانت الامم ترسل بجيوشها الى الجبهات حلا لازماتها : كالتزايد فى السكان أو التضخم فى الانتاج ، أو لتأمين موادأولية واسواق لمصانعها أو للسيطرة على بقاع من الارض ، وبسط النفوذ على شعوب تسخرهم فيما يلائم مصالحها وحاجاتها فان المسلمين لم يقاتلوا لواحدة من هذه أو اشباهها ، ولا ينبغى لهم ان يقاتلوا لمثل هذه الاغراض ، بل نحق الحق ، اذا قلنا : ان الله بعثهم يقاتلون ذات الاغراض ، ويقدمون للانسانية مثلا جديدا من امثال التحرك الانسانى : تحركا يثير الخير ، ويئد الشر .

ان الجندى المسلم يبرز للنزال وهو خالى الذهن من أى غرض ذاتى أو حاجة دنيوية ليس له من هم الا ان يعلم الله مكانه ويرى بلاءه ، ويفوز بمرضاته منتصرا أو شهيدا . لقد حلَّ ارتباطات نفسه من الارض ووصلها بربه الذى به آمن وعليه اتكل ، واحبه حبا يسرع به الى رضاه ولو اصطلحت عليه الاخطار وترصد له الردى . ولا نبالغ اذا ادعينا ان المؤمن المحارب يكاد يشعر ان وسط الاخطار والمحن والزلازل والتضحيات وسطه الحقيقى . فانه ينفذ منه الى الجنة . ومازلنا نذكر كيف القى عمير بن الحمام ، اخو بنى سلمة ، ثمرات كانت بيده يأكلهن ، قائلا : «بخ بخ ، أفما بينى وبين ان ادخل الجنة الا ان ان يقتلنى هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده ، واخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل » (١) . كان عمير رضى الله عنه يعالج بقتاله باب الجنة حتى فتح له .

لقد قضى الجندى المسلم على شبح

---

١ — السيرة النبوية لابن هشام : ق ١ ص ٦٢٧ . تحقيق السقا

الخوف من الموت ، فلم يبق له حساب فى سير المعركة ، يقينا منـــه ان الاستشهاد فيها خير من ثمرات البقاء التى يقاتلها الكفرة ،قال ـــ تعالى :ـــ « ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متـم لمغفرة من الله ورحمةخير مما يجمعون ولئـــن متم أو قتلتـــم لالى الله تحشرون . (١) وهل يخاف الذاهب الى ربه ! انه لن يضيع ابدا ، وما كان الله ليضيعه وقد لبى نداءه وحمل رايته وضرب فى سبيله ، لايرى الموت الا منة من الله عليه ! اذ قال ـــ تعالى ـــ لكل مؤمن « والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل اعمالهم . سيهديهـم ويصلح بالهم . ويدخلهم الجنة عرفها لهم » (٢) . وكيف يشعر بالضياع وهو عارف مستقبله يراه فى يقين رأى العين ؟ الم يحدثه الله عن هذا المستقبل العظيم ؟ ألم يخبره بما اعد له من نعيم فى دار البقاء ، ومن التكريم ى أعلى درجات الجنة ؟ ان الشهادة عنده هى الفوز : هى بدأ الحيـــاة الحقيقية : حياة الخلود . انه سمـــع قول الله « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياءعند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله مـــن فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لايضيع أجر المؤمنين » (٣) .

سمع قول الله فوعاه وعى المؤمن المصدق فكان الخوف من الموت شيئا منسيا .

وليس من حقنا ان نبرىء المسلم من **حرصه على المنفعة الذاتية . بل هو يطلبها لنفسه طلبا حريصا . وما كان ليبذل مهجته سدى ، وما يعطيها الا بحقها ، وانه يتقاضى الثمن من الله عز وجل : اذ عقد معه بيعا رابحا : فهو يبيع لله نفسه بجنة عرضهـــا السموات والارض .قال تعالى : ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم))(٤)**

هؤلاء المحاربون الذين يبلغون هذا المدى من العمق الايمانى يقبلون طواعية على هذه الصفقة الرابحة ، وعلى أيديهم يجعل الله النصر ان شاء . ولا يصل الجندى المسلم هـــذا المستوى الرفيع حتى يحقق لذاته صفات وخلالا تجعل كيانه ايمانيا عمليا كله ، تبتدىء فى سلوكه مـــن جزيئات سلوكـــه المغموسة بالايمان غمســا . واول مسلك له ان يتوب الى الله من ذنوبه فان فى طلب التوبة اعترافا بالتقصير واستعدادا للبذل والتضحية ، ثم يقبل علـــى عبادة الواحد الاحد . عبـــادة يتجلى فيهـــا الاخلاص قولا وعملا ،

---

١ ـــ آل عمران : الآيتان ١٥٧ـــ١٥٨

٢ ـــ محمد : الآيتان ٤ـــ٥

٣ ـــ آل عمران : الآيات ١٦٩ـــ١٧١

٤ ـــ التوبة : الآية ١١١

حامدا ربه على نعمة الايمان وما خص به من الاكرام فى تكليفه بالواجبات ، وعلى مامنحه من حرية الجهاد وقد كانت الطواغيث تخنق قلبه وتكبل يديه . ثم لايفتر عن التسبيح والتهليل ولايسهو عن الصلاة ولا يخطو خطوة الا ليأمر بمعروف وينهى عن منكر ، فلا تفارقه التقوى ولا يتجاوز حدود الله . وهذه الصفات او الشروط فى المجاهد ليست من اقتراح انسان وانما نص الله على وجوب توفرها فى جنده المحاربين فذكرها مفصلة بعد الآية السابقة التى حدث فيها عن اشتراء انفس المؤمنين بالجنة فقال عز وجل : « التائبون ، العابدون ، الحامدون ، السائحون ، الراكعون ، الساجدون ، الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » (١) .

وقد ربح بيع المؤمنين الذين لم يكونوا شيئا مذكورا ثم صاروا امة تقاتل معهم الملائكة وتستغفر لهم وتشد ازرهم ثم يمكن الله لهم فى الارض . ان هذا لهو الفضل المبين .

٢ ــ القدرة على احتمال الزلزلة فى القتال :

ومن خصائص هذا الجيش ان افراده المبشرين بالنصر لا يجنون ثمرته حتى يستفرغوا جهدهم فى القتال ، ويثبتوا ثباتا يقطع عزم الاعداء ، لان هذه القدرة من الاحتمال هى البرهان العملى على ما وقر فى القلب من حب التضحية قال تعالى : « وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور » (٢) ثم يخرجون من هذه التجارب اصلب من الصخور الراسية لاتجتاحهم عاصفة من رهبة ولا سيل من غزو . وقد وضع الله المسلمين الاولين فى ميادين الاختبار ورماهم بالعدو الكثير العنيد الحقود فظفروا بمرضاة الله وكانوا احق بها واهلها . وذكر الله ما لقوا من عدوهم فى غزوة الاحزاب فقال : « هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا » (٣) .

وقد جعل الله هذه المعاناة للزلزلة سنة خالدة فى الاولين والآخرين يأخذ سبيلها من اراد ان يرتفع الى مقام الابطال وان تفتح له ابواب الجنة فقال : « أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب » (٤) .

أجل ان نصر الله قريب .. قريب فى هذه اللحظة التى يشعر فيها المؤمن المقاتل ان لم يبق بينه وبين الجنة الا ضربة بسيف أو طعنة برمح أو قذف بقنبلة أو انقضاض بطائرة . فى هذه اللحظة بالذات تأخذ الغيوم تتقشع

---

١ ــ التوبة : الآية ١١٢
٢ ــ آل عمران : الآية ١٥٤
٣ ــ الاحزاب الآية ١١
٤ ــ البقرة : الآية ٢١٤

وتتسرب اشعة الشمس من خلال الشقوق بين السحب الدكناء ،ويتبدى النصر للمجاهدين قليلا قليلا وهم يعانون المآسى ويحتملون الآلام ويبذلون التضحيات . انهم لايستروحون عبير النصر حتى يشرفوا على لحظات اليأس ، واذ ذاك يتدفق الامل فى النفوس حيا ثجاجا عجاجا ويتنزل النصر من عند الله فيتمسكون به ويضنون به ، واذا تعودت النفوس العزة كبر عليها الذل فتخجل من النكوص على العقبين ومن الارتداد الى الهزيمة .

أجل ان نصر الله قريب ولكنه ليس قريبا اذا استجدى المسلمون ايقاف القتال وعدوهم عليهم ظاهر ولم يكن طعم من ردود الفعل الا الدموع والتظلم والشكوى .

٣ ــ المصابرة والمرابطة والثبات :

ومن ثم صدرت الاوامر من الله الى الجيش الاسلامى بالمصابرة والمرابطة والثبات ، فانها اعمدة النصر المنتظر ان رفعت على تقوى الله والتزام حدوده فقال عز وجل : « ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » (١) .

والسر فى ذلك ان الصبر من الحرب كالروح من الجسد ، وان الفريق الاجلد والاصبر هو الفائز بالنتائج الرابحة فى المعركة . ولذلك أمرنا الله ان نصابر الكافرين فى القتال حتى نغلبهم فى الصبر وقد أرشدنا سبحانه الى القوة التى يستمد منها الصبر وتعين عليه الا وهى تقوى الله ، فان الفارّ يبوء بغضبه ومن يخشه يمتثل أمره ويثبت قدميه فى مستنقع الموت لايريم . واقل نتائج الصبر أن يرد العدو على عقبية ان لم يكن لنا نصر كاسح عليه ، فينكشف المغيرون ويرتدون خائبين . وبالصبر احبط المسلمون يوم الخندق خطة الاحزاب وكان من دواعى فخرهم ان صبروا

ويشهد بذلك شعر قاله كعب بن مالك رضوان الله عليه يوم الخندق :

وسائلة تسائل ما لقينا
ولو شهدت رأتنا صابرينا
صبرنا لانرى لله عدلا

وبين ان للصبر غاية منبعها التقوى :

لننصر احمدا والله حتى
نكون عباد صدق مخلصينا
ويعلم أهل مكة حين ساروا
واحزاب اتوا متحزبينا
بأن الله ليس له شريك
وان الله مولى المؤمنينا . (٢)

والمرابطة من المصابرة ولكنها الصبر المستديم غير المبتوت الجامع للحذر والتيقظ والرصد الدائم لتحركات العدو . ولا يحفظ بلاد الاسلام الا المرابطون فى الثغور والحدود يصدون عنها الطامعين ومنها ينطلقون فاتحين فهم فى حالة دائمة من الاستعداد والتنبيه والتوثب . وقد عرف رسول

---

١ ــ آل عمران : الآية ٢٠٠ .

٢ ــ السيرة النبوية لابن هشام : ق ٢ ص ٢٥٥ . تحقيق السقا .

الله صلى الله عليه وسلم . دور هؤلاء المرابطين فبشرهم بالثواب الطيب فقال من حديث له : « طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ، ان كان فى الحراسة كان فى الحراسة وان كان فى الساقة كان فى الساقة ، ان استأذن لم يؤذن له وان يشفع لم يشفع » (١) .

ولو انعمنا النظر فى كثير من حروب الاسلام الهامة لوجدنا ان الثبات العظيم الذى لبسته فئة مختارة من المجاهدين كان له الاثر البليغ فى تلك المعارك وفى مستقبل المسلمين .

ففى معركة احد جهد المشركون للوصول الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والحقوا به اذى حتى ظنوا انه قد قتل ولكن نفرا من الصحابة استماتوا فىحياطته والدفاع عنه ، فجالدوا جلادا عنيفا . وكان منهم ابو دجانة « ترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه ، حتى كثر فيه النبل » . (٢) ومنهم سعد بن ابى وقاص وكان يرشقهم بالنبل رشقا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم والرسول يناوله السهام وهو يقول « ارم ، فداك ابى وامى » (٣) واظهر بعضهم من نادر البطولات ، فى الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووقايته من المشركين ما رفعهم الى منزلة الشهداء وهم احياء . فكان رسول الله صلى اللهعليه وسلم يقول فى طلحة بن عبيد الله ــ وكان له فى احد المنجد المعوان ــ : « من احب ان ينظر الى شهيد يمشى على وجه الارض ، فلينظر الى طلحة بن عبيد الله » (٤) .

ويوم حنين ولى المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خيل للمرتابين هزيمتهم ، وما ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس رضى الله عنه ان ينادى : »يامعشر الانصار ، يامعشر اصحاب السمرة (٥) ، حتى تيقظت فى النفوس الذكريات ، وتأججت العواطف الخالدة فأجابوا : «لبيكلبيك » (٦) واسرعوا اليه ، وما ان تجمع منهم مئة حتى حمى الوطيس ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبتوا للعدو ، واخذوا فى زحزحته وتقطيعه ، « فما رجعت راجعة الناس منهزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتفينعند رسول الله صلى الله عليه وسلم » (٧) . فحقق الله نصره بسيوف هذه المئة من الصابرين وبقلوبهم المؤمنة .

---

١ ــ صحيح البخارى : باب الجهاد : ح ٤ ص ٢٨

٢ــ٣ــ السيرة النبوية لابن هشام : ق ٢ ص ٨٢

٤ ــ السيرة لابن هشام : ق ٢ص٨٠

٥،٦،٧ــ السيرة لابن هشام ق٢ص

٤ — القوة المعنوية العظمى .

وقد جعل الله الثبات والصبر فى متناول المسلمين ، لما نفحهم به من روح معنوية غالبة على امكانيات العدو النفسية كلها : اذ امرهم الا يسمحوا اللوهن ان يجد الى نفوسهم مدخلا ، وبين لهم ان المؤمن الذى يريد ان يسلم له الايمان نقيا من الشوائب بريئا من المفسدات ، هو الذى يشل الخوف عن قلبه شلا ، قال — تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ، ان كنتم مؤمنين » . (١) . فلا يحق للمؤمن فى تعاليم الله ان يدخل عليه الاحساس بالضعف والفتور ، فان فتر فقد مركز المتفوق والعلو .

ذلك ان الوهن النفسى أول الهزيمة ولا يسببه الا استعظام الموت والجراحات ولا يبعده الا تناسيهما وتهوين أمر المصائب . وهى من طبائع الحروب ، ولا حرب من غير خسائر تنزل بالفريقين معا : قال تعالى : « ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لايحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين » (٢) .

وقد اولى الله هذا العامل النفسى اهتماما كبيرا لاثره الفعال فى تقرير مصير المجاهدين . فكان القرآن حريصا على ان يسموبروحهم المعنوية فى المعركة ، وقبل ان يدخلوها ، وبعد ان يخرجوا منها ، يتتبع حركات نفوسهم ، ولا يسمح لهم بتنازل — وان قل — فى شعور الاستعلاء على العدو ، وينهاهم عن السعى الى السلم فرارا من الزحف . قال تعالى : ولا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون ، والله معكم ولن يتركم اعمالكم » (٣) والسبب فى ذلك جلى الجلاء الساطع : فاننا ان نخرج من المعركة ضعاف النفوس تكن خسارتنا مضاعفة : فى الجانب المعنوى والجانب المادى معا . اما اذا خرجنا بنفوس مستعلية فلم نخسر ماديا الا مثل ما اصبنا به اعداءنا فنحن وهم فى القروح سواء . ونفضلهم بالايمان وعظم النفس فتبقى لنا الغلبة عليهم .

ولذلك أقر النبى عليه الصلاة والسلام ما فعله بعض المؤمنين فى القتال مما فيه دلالة على رفعة معنوياتهم ، وهو عند الله ورسوله مبغض فى غير هذا الموطن : ففى يوم احد أخذ ابو دجانة السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقه ، وهو ان يقاتل به حتى ينحنى . فاخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسه « وكان اذا اعلم بها علم الناس انه سيقاتل ، وجعل يتبختر بين الصفين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دجانة يتبختر انها لمشية يبغضها الله الا فى هذا الموطن » (٤) .

---

١ — آل عمران : الآية : ١٣٩
٢ — آل عمران : الآيتان : ١٤٠—١٤١
٣ — محمد : الآية : ٧
٤ — السيرة لابن هشام : ق٢ص٦٦

وكانت القوة المعنوية التى كان المسلمون عليها قبل القتال سر انتصارهم فى كثير من المعارك ، كما كانت سر صمودهم فى المعارك التى لم يحرزوا فيها نصرا . فكانت السر يوم بدر اذ خرج المسلمون قلة ، وكثرتهم قريش بالرجال والخيل ، ولم يكن للمسلمين قبلها بلاء مشهود ، وكان يظلهم خوف ان يتخطفوا عن قلة . وعلم الله ما فى نفوسهم وهم يستغيثون . فوضع فى ايديهم مفتاح النصر الا وهو التفوق النفسى فى المعركة اذ اخبرهم انهم ليسوا وحدهم فى الميدان ، وان الملائكة لتقاتل معهم . فكانت البشرى التى حلقت بهم الى القمة من الثقة فانقضوا على المشركين كالشهاب فشردوهم كل مشرد ، قال تعالى يذكرهم هذه المنة الكبرى : « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين . وما جعله الله الا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر الا من عند الله ، ان الله عزيز حكيم » (١) .

فكيف لايصبرون بعدها ؟ ومن تحدثه نفسه بفرار وهو يعلم ان الملائكة تضرب وترمى معه . ان هذه البشرى هى التى جعلت الجندى المسلم يوم بدر غلابا لعشرة من المشركين بما نفخت فيه من الحمية والحماسة .

فان قال قائل منا : « وانى لنا ببشرى كهاتيك حتى تهدأ نفوسنا وتطمئن للنصر اطمئنان البدريين وامثالهم ؟

فانه يجد الجواب فى كتاب اله — تعالى — الذى يهبنا البشرى ذاتها . ذلك ان ربنا الكريم الرؤوف الرحيم وعدنا النصر القاطع ان اجتمعت لنا مقومات النصر التى امرنا بحيازتها . أو ليس هو القائل : « يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم » (٢) انه وعده الحق ، ولا مبدل لكلمات الله .

وفى القرآن وصف مفصل للعملية الالهية التى رفعت معنويات المسلمين فى بدر . وكان الهدف منها ازالة المخاوف والهواجس ووساوس الشيطان واحلال السكينة محل هذا كله . فعمد الى الخواطر المضطربة والعواطف المصطرعة والاعصاب الثائرة فمحا ما بها بالنوم فذهب القلق وانزلت السكينة . فناموا فى ليلة لاينام فيها الخائف ابدا . وصحوا طيبين قريرين ليجدوا السماء قد جادت بالماء فملات لهم الوديان ولبدت لهم الرمل بينهم وبين العدو . فاغتسلوا وتوضؤوا وشربوا ، فطهروا نفسا وجسدا ، وتيقنوا فضل الله ، وصدقوا وعده ، فأقبلوا على القتال لايرون الا النصر . فثبتوا ، وكان الثبات النتيجة الاخيرة لمرحلة الاعداد النفسى ، وخرجوا يومئذ ابطالا ، ولكن من صنع الله لا من صنع انفسهم . قال تعالى: « اذ يغشيكم النعاس أمنة منه ، وينزل عليكم من السماء ماءٍ ليطهركم

---

١ — الانفال : الآيتان : ٩ — ١٠ .
٢ — محمد : الآية ٧

وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام (١) . وبالنوم أيضا هدأ الله خواطر المؤمنين وثبت فيهم اليقين عقب معركة احد ، واخرجهم من ظلل الغم فقال تعالى : « ثم انزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم » (٢) فكان ذلك وسيلة من وسائل الله للربط على قلوب المسلمين وحشد طاقتهم النفسية فى مواطن البأس والغم .

ومن هذه العملية النفسية ان الله سبحانه وتعالى ازال من نفوس المؤمنين استعظام خطر الكافرين ، بل هون شأنهم ، وضاءل فى اعينهم خطرهم حتى جراهم وشجعهم فى مهاجمتهم ، ولو استعظموا امرهم لتراجعوا عنهم لانه وهو الرب يعلم حقيقة النفس البشرية وما هو لها قوة ، وما هو لها تثبيط . قال تعالى « واذ يريكهم الله فى منامك قليلا ، ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ، ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم ليقضى الله أمرا كان مفعولا الى الله ترجع الامور » (٣) .

ان الهدف الاولى ظاهر وهو نصر المؤمنين على المشركين فجعل السبب الى ذلك استقلال المسلمين بهم من جانب واستهانة المشركين بالمؤمنين من جانب . ولا شك ان المسلمين لم يجدوا جمع الكفرة كثيرا لما رفع الله من معنوياتهم فهانت عليهم الكثرة فكانت كالقلة ، وان الكافرين استهانوا بالمؤمنين لانهم قدروهم تقديرا عدديا ولم يفطنوا لما كانت عليه النفوس من الشدة والصلابة والتأجج ؛ فوجدوا عند الصدام ما لم يحتسبوا .

فالجيش الاسلامى لاينبغى له ان يستعظم عدوه أو ان يهوله خطره حتى لا يداخله شىء من الوهن . ولكن يجب علينا ان ندرك الفرق واضحا بين الاستقلال للعدو وبين الاستهانة به فمع الاستقلال والاستصغار له الاستعداد الاوفى والتحفز الاعلى والتآلف الاقوى والاقدام الامضى . ومع الاستهانة به التراخى والخطأ فى التقدير والاهمال والتشتت والجبن . فلا يحق لنا ان نستقل عدونا حتى نعرفه حق المعرفة .

هذا وان ما يعرفه العدو عن معنويات المسلمين يؤثر تأثيرا بعيدا فى كفه عنهم أو تجرئه عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد العناية ان يعرف عنه المشركون مواصلة الكفاح بهمم شماء . وما زال بالمسلمين يملؤهم بقوة النفس خوفا من انحسارها فيهم . ولقد عادوا من أحد وفيهم الجراح البليغة والاحزان الدكناء وندبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى

---

١ ــ الانفال : الآيتان : ٤٣ ــ ٤٤ .
٢ ــ الانفال : ١١
٣ ــ آل عمران : ١٥٥ .

ملاحقة قريش حتى لايظنوا بالمسلمين خورا فاجابه المؤمنون والجروح عليها الضماد والركائب فى كلل . فلما رأى أبو سفيان منهم الجد والعزم تهيب الكرة عليهم فانتصروا عليه بعلو — معنوياتهم وردوه بصبرهم . فى هذا الموقف العظيم وامثاله بلغ المسلمون الذروة فى القوة النفسية فلم يلقوا بعدها الا النصر . وقد اثنى الله عز وجل عليهم فى محكم كتابه فقال : «الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين » (١) .

٥ — التآلف والتآزر :

ومن ثم جعل الله سبحانه للقوة المعنوية موارد عديدة يورد المؤمنين منها ماشاء ، على انه من عليهم بمورد دائم فياض لايغيض ولا ينضب ماؤه يذكى فيهم الحمية والشجاعة ما نهلوا منه الا وهو منهل التآلف والتعاضد . والمؤمن ان رأى نفسه عضوا فى جماعة كبيرة متساندة متآخية متحدة الكلمة والرأى استشعر ثقة كبرى ، وان علم انه يقاتل فى جيش يتسابق افراده الى الشهادة امتلك حينئذ الثبات والاقدام امتلاكا . والحق ان هذه الوحدة فى الفكر والشعور هى اظهر ما يميز الجيش الاسلامى ، بل هى شعاره ورايته ولم يمن الله عليه بالنصر الابها انها كلمة السر فى انتصارات المسلمين وفى عزهم وظهورهم . وقد ذكر الله نبيه نعمته تلك فى الحديث عن بدر فقال تعالى « هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف » (٢) .

ومن نافلة القول ان نذكر ان سبب التأليف هو وحدة العقيدة والتزامهم بها . وان حظهم من قوة التآلف يقاس بمقدار ما هم عليه من الارتباط بها والاندماج فيها . وما زال الله يجمع بين المؤمنين بالايمان حتى صنع منهم مثلا لايدانى فى وحدة الصف والكلمة وهل نجد فى التاريخ كله مشهدا اقوى اتحادا من مشهد المؤمنين يوم بيعه الرضوان فى الحديبية اذ بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصبر أو الموت . وكانوا فى ثياب الاحرام فلم يبالوا ان كانت أكفانهم . فى هذا الموقف العظيم لم تكن قوة المشركين مهما عتت قادرة على الصمود فى وجه الجيش الاسلامى المتحد . قال تعالى فى تلك المناسبة :

« ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لايجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » (٣) ولكن كلمة الله

---

١ — آل عمران : الآية ١٢٣

٢ — الانفال : الآيتان : ٦٢ — ٦٣

٣ — الفتح : الآية ٢٢

الجليلة ارادت لهم غير القتال ولقد اطلع الله على المؤمنين وهم يبايعون رسول الله فعلم حقيقة صدقهم فعجل لهم الثواب من غير عناء قال تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا » (١) وكان راضيا عنهم لانهم ارتفعوا الى افق من الايمان والتسليم لله ما يرتفع اليه المؤمنون الا نصرهم ان شاء قال تعالى :« ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما » (٢) .

وليس عندى من التصرف فى القول ما أقوى معه على وصف ما كان عليه الجيش الاسلامي الاول من وحدة فى الفكر والعمل ومايجب ان يكون عليه جيش الاسلام فى كل عصر ومصر ولكن الله وصفهم بنفسه اذ قال فى المبايعين بيعة الرضوان فى الآية الاخيرة من سورة الفتح :

« محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » (٣) .

هؤلاء هم عناصر الجيش الاسلامي صهرهم الايمان والاخلاص للفرد الصمد فتراحموا فيما بينهم واذا لقوا الكفار أذاقوهم بأسا مرا . ولقد تكاملوا بالايمان شيئا فشيئا وصنع الله بعضهم من بعض فلا ينفذ الى صفوفهم وهن او تفريق كما يتكامل النبات خلية خلية حتى يصير زرعا ناميا معطاءا فاذا الجذور والساق والاوراق والانسجة واللحاء والقشرة يعين بعضها بعضا ويصون بعضها بعضا فى استقلال تام عن الاجسام القريبة .

ان هذا لهو المثل الحق لجيش الاسلام . فمتى يخرج المسلمون جيشا مثله ؟

٣ ـ تشكيل قيادة اسلامية :

وسارت بهذا الجيش الفريد فى دروب النصر قيادة اسلامية فريدة يعزي اليها الفضل فى انجاح الخطط وكسب المعارك . ويشهد الاستقراء التاريخي ان الحاكم الاعلى للمسلمين هو القائد الاعلى لقواتهم المسلحة ، وهو رئيس هيئة اركان حرب الجيش لا يبتعد عن الدراية الدقيقة بمواقف الجند المسلمين ، ودرجة استعدادهم وفعاليتهم ، وبالمهام المناطة بهم . ويظهر من بعض أحاديث الرسول

١ـ الفتح : الآية ١٨
٢ـ الفتح : الآية ١٠
٣ـ الفتح : الآية ٢٩

ومن سيرته انه يستحسن للقائد الاعلى الاشتراك الفعلي فى الحروب كلها ، او أكثرها . فكان عليه الصلاة والسلام القائد فى الغزوات الشهيرة . وكان يتمنى لو استطاع ان يكون على رأس السرايا كلها فقال فى حديث له : « لولا أن أشق على أمتي ما تخلفت عن سرية . ولكن لا أجد حمولة ولا أجد ماأحملهم عليه ، ويشق علي أن يتخلفوا عني » (١)

كما يشهد التاريخ ان الذين عهدت اليهم المسؤوليات فىالفتوحات الكبرى كانوا أدهى الناس فى شؤون الحرب وأشدهم مراسا لقتال . ولهؤلاء القادة العسكريين صفات لا تكاد تختلف ولا بد من توفرها فيهم .ويمكننا التعرف عليها بيسر اذا تقرينا اخبار قادتنا امثال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاصم بن ثابت ابن أبي الافلح وجعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وخالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص والمثنى بن حارثة وقتيبة بن مسلم الباهلي وأفذاذ غيرهم . ولا شك انهم اختيروا للمركز القيادي لما جعل الله فيهم من الخصال الشماء . أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد تولىالله اختياره فكان مثلا فى القيادة لا يجارى ولا يدانى ، وأما القواد الآخرون فاختارهم الحكام اختبارا وبلاء ..

ومن سير هؤلاء نستخلص مميزات القيادة فنجد أهمها :

أ ــ الشجاعة الخارقة . فلم يكن للعدو هيبة ولا للموت رهبة فى نفوسهم يجذبهم الى الاقدام جاذب لا يدفع ويدعمهم عزم لا يقطع . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسرع الناس الى مصادر الفزع يسبق الناس اليها علىصهوة جواده وحده ، وأثبتهم فى قتال اذا ولى الناس . (٢) وربما نازل قائد سرية مسلحة لا تتجاوز ستة نفر جمعا كثيرا حتى يقتل (٣) وضرب زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة مثلا فى الثبات حتى الموت يرفعون الراية غير مبالين بالسيوف تأخذ من أوصالهم . (٤)

واذا كانت الشجاعة أسعدتهم بالشهادة فقد كللت غيرهم بالظفر وكلاهما عند الله فوز . وهذه الخليقة لا بد منها فى المقاتل قائدا كان أو مقودا الا انها فى القائد ذات اعتبار خاص فان تقدمه صفوف المقاتلة يرفع من معنويات الجندي اقتداءا به ويستخرج أقصى ماعندهم من الثبات والهجوم .

---

١) صحيح البخاري . ج ٤ ص ٤٢

٢) أنظر صحيح البخاري . ج ٤ باب الجهاد

٣) أنظر السيرة : غزوة الرجيع . ق، ص ١٦٩

٤) أنظر السيرة : غزوة مؤتة . ق ٢ ص ٣٧٣

ب ـ الامانة : ذلك انه ما تحقق نصر فى تاريخ الاسلام الا بقيادة مخلصة نابعة من أعماق المسلمين الذين التفوا حولها فأخذوا من حكمتها واخلاصها وأعطوها من صدقهم ونصيحتهم . ولقد يبدو هذا القول من المسلمات الاولى ولكن يصبح النص عليه لازما اذا خلى المسلمون القيادة لفئة ليست منهم يترقبون من قبلها نصرا فتقتحم عليهم الهزائم من كل باب ، فهم يفقدون فيها الامانة والغيرة على أوطانهم ومصالحهم والرفق بهم والشفقة عليهم من المكاره والذل ولا يجدون الا غلظة واباحة للحمى وقسوة وامتهانا ولعلنا نستطيع أن نفهم معنى الفضل الالهي حق الفهم فى خطاب الله المؤمنين : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم . فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (١)

جـ ـ قوة الشخصية : وهي أبرز صفات القائد وقد بين الله معالمها الكبرى فى شخصية طالوت اذ اختاره الله ملكا على بني اسرائيل فقال : (ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم) (٢) . واستبعد الله الاسرائيليين الجماعين المناعين وكانوا أرادوا الملك لانفسهم فقالوا معترضين : (أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال) (٣) . وما استبعدهم الله الا لان الاثرة تتعارض تعارضا تاما مع التضحية والايثار .

وضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا فى التخفف من أعباء المال فكان يرفع نفقة عياله لسنة ويرد الباقى فى موازنة الدفاع . (٤) حتى لا تتأثر النفس بشيء من حب الدنيا فتجنح الى الطيب اللين من العيش فتثاقل الى الارض . لان التقشف كان يحفظ نفوسهم من فتور الدعة ويبقى لها شدتها وتنبهها وفعاليتها . ومن ثم لم يدخل الاعتبار المادي فى اختيار الرسول والخلفاء الراشدين القواد والامراء . وكان عمر رضي الله عنه يعزل العمال الجانحين الى لين العيش ويستبقي المخشوشنين . والحق ان من يتولى القيادة لا يؤثر على الاتباع بغنى وسيع أو مال منتشر ولكن بما يكنون له من تقدير واحترام ومحبة هي الاعتراف بمزاياه وبقوة شخصيته .

د ـ الطاعة : ولا بد من ان تحظى هذه القيادة برضى المسلمين عنها وطاعتهم لها وتنفيذ أوامرها بدقة فهي الرأس المفكر وهم الجوارح المنفذة . فان التجاوب بينها وبين عناصر الجيش كفيل بالنظام والنجاح وقد أمرنا بالطاعة مالم تكن معصية فان كانت معصية فلا سمع

---

١) التوبة : ١٣٩
٢) البقرة : الآية ٢٤٧
٣) البقرة : الآية ٢٤٧
٤) صحيح البخاري ج ٤ : باب الجهاد

ولا طاعة . (١) وأعظم الطاعات مردودا ما انبعث من المحبة والثقة بالقائد ، فيعتصب الجيش بقيادته اعتصابا ويندمج فيها وتندمج فيه فتتناسق العمليات والخطا وتقل الاخطاء ويعطى الجيش طاقاته كلها فى خطة منسقة محققة للنصر . ولو قرأنا أخبار الفتوحات الاسلامية وما حققته من باهر الانتصارات فلن نخطىء أبدا اذا حكمنا بأن جانبا كبيرا من النصر يعزي الى التواثق والتجاوب بين القيادة والجندي . وفى تاريخنا مواقف خالدة لهذه الطاعة الراضية المرضية فقد بحث رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فى من أقبل معه الى بدر فى أول مشهد عظيم فوجدها فيهم وارتضاها . كان يقول (أشيروا علي أيها الناس) (٢) يستوثق من أصحابه ، وكل يجيبه بالطاعة والرضا . وفى مقالة المقداد بن عمرو ما يفصح عن هذه الطاعة التي لا تعرف حدا للاذعان والاستجابة . قال المقداد : (يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه) .

وقد علمت المؤمنين الاحداث ان طاعة قيادتهم تقتضي التنفيذ الفعلي الدقيق للاوامر كلها ، ولايحق لأي وحدة من وحدات الجيش ان تتصرف تصرفا خاصا بها ، وقد دفعوا يوم أحد الثمن غاليا اذ خالف الرماة عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلوا عن الجبل طمعا فى الغنيمة لماأيقنوا هزيمة القوم فالتفت عليهم خيل المشركين وكلفتهم هذه المخالفة سبعين شهيدا . وكانت درسا قاسيا علمت المسلمين بعدها الالتزام الشامل للاوامر الصادرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان احدهم يوم الخندق اذا اراد الذهاب لبعض حاجته استأذن الرسول عليه الصلاة والسلام فيأذن له .

ويدخل فى باب الطاعة ان يردوا القيادة النظر فى الانباء التى تأتيهم عن احوال العدو وان يتورعوا عن نشر الشائعات التي تتعلق بأمن الدولة خوف البلبلة والتشويش قال تعالى : ((واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا)) (٣) .

---

١) انظر صحيح البخاري ج ٤ باب الجهاد .

٢) السيرة لابن هشام : ق ٢ ص ٦١٥

٣) النساء : الآية ٨٣

هـ ـ الخبرة والدراية والاخلاص :

ويختار لمراكز القيادة العسكرية أفذاذا الرجال الذين شهد لهم بالموهبة وعرفوا بالعبقرية فى فنون القتال . وهؤلاء يجب أن يبقوا فى منأى عن سياسة الدولة منصرفين لدراسة امكانيات الدفاع والهجوم متتبعين لوسائل الحرب وفنونها . وعليهم أن يتلقوا من القائد الاعلى للمسلمين وهو خليفتهم الاوامر فينفذها على وجهها ، ولنا فى خالد بن الوليد رضي الله عنه أسوة حسنة اذ أسلم القيادة لابي عبيدة بن الجراح أمرا من الخليفة عمر عقب انتصار المسلمين فى اليرموك . وان الانصراف عن المسائل العامة هو الذي يمكن العسكريين من التعمق فى التخصص واستغلال ملكاتهم أحسن استغلال . واننا لنذكر والاسى العميق يقطع أنياط قلوبنا ما فعلته العصبية القبلية أو المشاركات السياسية فى عديد من قادتنا الكبار منهم قتيبة بن مسلم الباهلي فاتح المشرق وموسى بن نصير فاتح المغرب وطارق بن زياد فاتح اسبانيا . والله وحده يعلم ماكان يمكن أن يكون عليه مستقبل تلك البلاد فى المشرق والمغرب لو قدر لهؤلاء القواد أن يبقوا على رأس جيوشهم يتابعون رسالة الفتح ويوطدون الملك فى الاقاليم الجديدة قبل أن تتسرب اليها الخلافات وتدب فيها عوامل الضعف حتى انتهى بعضها الى الانيار واضطر المسلمون للجلاء عنها بعد قرون من فتحها وعمرانها . ويجدر التنبيه على ان التفكير السياسي لكثير من قواد الدولة الاسلامية كان من اكبر عوامل التجزئة فيها ، اذ طمع بعضهم بالملك فجعل لنفسه الامر فى البلاد التي ولي عليها ولم يبق له بالخلافة الا اتصال اسمى . فتعددت القيادات فى الدولة الاسلامية ولم نكن على وفاق فقاتلت فى جهات متعددة وهي متفرقة حين لم يكن بعضها يقاتل بعضا . ولا ادل على ذلك من ان سيف الدولة الحمداني فى القرن الرابع الهجري حمل وحده عبء الجهاد وغزو الدولة البيزنطية حتى استنفد قواه ولم يبق له بقية من صمود ، وان الصليبيين لما دخلوا بيت المقدس ذبحوا خمسين ألفا من أبنائه المسلمين والمسلمون من حولهم أعجز من الاوتاد عن نصرتهم . ولم يسترد صلاح الدين الايوبي القدس الا وهو على رأس قيادة اسلامية موحدة ولن يستردها غدا الا مثلها .

لقد ذكرنا بعض ما يجب ان تمتاز به القيادة الاسلامية ، ونوهنا بدورها الكبير فى تحقيق النصر ولكن مهما بلغ شأن الافراد فيها من علو القدر وقوة الشخصية وتجمع الثقة بهم يجب الا يؤثر فقدهم على مجرى الحروب وموقف الجندي مهما بلغ حبهم واعظامهم لان القائد كغيره من الناس يلقى الاجل المحتوم فهو ذاهب ورسالة الاسلام باقية . ولقد نبه **الله تعالى المسلمين الى هذه الحقيقة**

عندما ظن بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فكاد بعضهم يستيأس قال تعالى : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » (١) .

٤ – تطهير صفوف الجيش ومراكز انطلاق المسلمين من المنافقين والعملاء :

ولا يخلو المجتمع الاسلامي من أعداء فيه ينتسبون الى الاسلام وهم يبطنون الكفر ويتربصون بالمسلمين الدوائر . وهؤلاء تكشفهم الاحداث التي تحيق بالمسلمين فيسفرون عن وجوههم كالحة كلما زحفت الينا الاخطار واحاط بنا الاعداء ، فيمسون الاعوان لهم واليد الحذاء بالتآمر معهم . ولكن لا ينكر المسلمون منهم شيئا فى الامن والسلم فهم يشعرونهم ان أهدافهم اهداف المسلمين وامانيهم أماني المسلمين فيطمئنون اليهم فى غير موضع اطمئنان ، ويتركون موضع المخافة من غير حراسة . فاذا أدنهم الخطب اجهضوا قوة المسلمين اجهاضا . وكان تنبيه القرآن اليهم ملحاوتحذيره منهم كثيرا شديدا . ومما قاله تعالى فى صفتهم : « واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله انى يؤفكون » (٢) .

ومن أظهر خصائصهم الجبن لما تجن صدورهم من البغضاء للمؤمنين والغدر بهم والخيانة لهم . فهم أكبر مصدر من مصادر الخذلان فى الجيش ، ولقد رأيناهم يرجعون قبل البدء بالقتال أو المسير اليه فى كثير من حروب الرسول صلى الله عليه وسلم فرجعوا عنه فى بدر واحد والاحزاب) وتبوك وغيرها يريدون تشكيك المؤمنين وضعضعة معنوياتهم .

ولقد عاتب الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عندما أذن لهم فى الخروج معه الى تبوك فلم يتجاوزوا ثنيات الوداع من المدينة فقال : « عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » (٢) فاعلمنا ان استبعادهم من صفوف الجند واجب لما له من ضرر بالغ فى نفوس المقاتلة بتثبيط الهمم فهم يخيلون للمجاهدين عبث الخروج ومضيعة الاحتشاد والسير بقولهم لهم كما حكى الله عنهم « لو نعلم قتالا لاتبعناكم » . فان كانت الحرب واستجاب لله المؤمنون فكرم منهم من شاء بالشهادة حركوا الاسى فى نفوس ذوي الشهداء : « الذين قالوا

١) آل عمران : الآية ١٤٤

٢) المنافقون : الآية ٢

٢) التوبة : الآية ٤٣

٣) آل عمران الآية ١٦٧

لاخوانهم وقعدوا لو أطاعـونا ما قتلوا (١) وهم يتربصون بالمؤمنين هزيمة ماحقة ليكشفوا عن السرائر : « ولو دخلت عليهم من اقطارهـا ثم سئلوا الفتنة لاتوها وماتلبثوا بها الا يسيرا .. (٢)

ومن هنا يتوجب على المسلمين ان يطهروا صفوفهم منهم عملا بالامـر الالهي :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبـالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء مـن أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون »(٣)

ويتفرع من هذا وجوب التخلص من الذين يتوقع منهم خطر دائـم من خيانة أو غدر او تأليب عـلى المسلمين ، وذلك اما باجلائهم عـن مركز انطلاق المسلمين او بقتلهـم كما كان شأن الرسـول صلى الله عليه وسلم مـع بني النضير وبني قريظة ، الذين‌وضعت غزوة‌الاحزاب تصفية نهائية لهم . وكانت هـذه التصفية ركيزة النصـر فى الحروب التي تلتها .

وقد أثبتت الاحداث ان الكفـار واليهود بخاصة لا عهد لهم ، ولـن يألوا غدرا وتآمرا ، ولن يفسحوا فى حريـة الانطلاق لتبليغ أمر الله ونشر رسالته فى الارض ، وانهـم ان وادعوا المسلمين باليد لم‌يوادعوهم باللسان ، وان اظهر لـهم المسلمون مودة أبطنوا لهم كراهية وحقدا ، وان أشركوهم فى بعض مصالحهـم أفسدوها عليهم . ولقد لقي رسول الله صلى الله‌عليه وسلم ــ وأصحابه غدرا بليغا واسى كبيرا من المشركين كغدرهم بالمسلمين فى غزوة الرجيع وبئر معونة اذ لاعهد لهم ولا ذمة ، ولذلك نزل الامـر الالهي بتنظيف الجزيرة العربية من المشركين‌والكفرة المتآمرين ليأمنوا مـن ورائهم اذا انطلقوا الى فتح العـالم .

وهكذا نجد ان فى مقومات النصر الاساسية ــ آ ــ ابعاد المعوقين‌عن صفوف الجيش .

ب ــ تطهير مراكز تجمع المسلمين وانطلاقهم من الاعداء الحقيقيين .

٥ ــ التسلح والتعبئة العامة :

تمتـاز حروب المسلمين بأنهـا حققت منجزات كثيرة بأعداد قليلة ، أعانهم على ذلك عامـل خطـير ، الا وهو ارهاب العدو وارعابـه . قال عليه الصلاة والسلام من حديث لـه « ونصرت بالرعب (٤) واشـار تعالى الى هذا العامل الحاسـم فى هزيمة المشركين فقال : « سألقي فى قلوب الذين كفروا الرعب (٥) وقال فى بنـى قريظة وكانوا معتصمـين بالحصـون المنيعـة ، فأسـلموها واستسلموا : « وقذف فى قلوبهـم الرعب ، **يخربون بيوتهم بأيديهـم**

١ ــ آل عمران : ١٦٨
٢ ــ الاحزاب : ١٤
٣ ــ آل عمران : ١١٨
٤ ــ صحيح البخارى ج٤ باب الجهاد
٥ــ آل عمران : الآية ١٥٢

وايدى المؤمنين فاعتبروا يا اولى الابصار »(١)، ذلك ان الرعب يقضى على العدو بالهزيمة النفسية ، وهي الهزيمةالحقيقية . وظل هذا السلاح مقدمة الجيوش الاسلامية ماضربت فى الارض فاتحة ، ترتعد فرائص العدو اذا أحسوا لها اقترابا .

وثمة أسباب للرعب ، منها متابعة الغزو فى بلاد العدو حتى لا يعرف منا الا البأس الشديد والنكال الوفاق ، فيتهيب اقدامنا ويهزمه الخوف قبل ان يلقى المقاتلة ، وفى هذا قصد فى الخسائر وكسب فى المغانم . وتحدثنا كتب السيرة عن الغزوات العديدة المتلاحقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتىلايكون بين الغزوة والغزوة الا الاشهر القليلة ، واذا كانت طبيعة الدعوة اقتضت تتابع الغزو زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فان المسلمين صبروا على هذه السنة بضعة قرون ولما اغمدوا السيوف وانقطع الغزو جاءهم العدو من كل مكان اذ لم يبق لهم صيت مرعب .

ومنها التسلح الاتم والاستعداد العسكري الاوفى . وقد نصت على ذلك الآية فى قوله تعالى : « وأعدوا لهم ماالستطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم . (٢)

فان العدة مصدر لا يستهان به من مصادر الرهبة . وقد أمر المسلمون باستكمالها ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يجعل مازاد عن نفقة أهله فى السلاح ، وحين أفاء الله عليه من أموال بني قريظة بعث بسبايا منهم وبأموال الى نجد ليشترى بها خيل للمسلمين . ذلك ان المسلمين لا ينبغي لهم ان يسمحوا لعدوهم انيفوقهم فىدرجة الاستعداد العسكرى ، وعليهم ان يسابقوه الى التسلح لتبقى رهبتهم فى قلبه وعليهم ان يجدوا فى ابتكار الوسائل والمخترعات التي تقرب النصر ، وتوفر علىالمسلمين العناء والخسارة كان الخندق الذي احتفره الرسول والمؤمنون فى غزوة الاحزاب حول المدينة تخطيطا عسكريا فوجىء به العرب ـ وكان سلمان الفارسي قد أشار بحفره ـ حتى زعم بعض المشركين ان هذا الخندق هو الذي ردهم على أعقابهم :

لولا خندق كانوا لديه
لدمرنا عليهم اجمعينا (٣)

كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام أول من رمى بالمنجنيق فى الاسلام فى حصار الطائف . وكان لدىالجيش الاسلامي زمن الامويين والعباسيين مبتكرات ووفرة فى السلاح لا يضاهى بمثلها .

ومن هنا كان من مقومات النصر الاولى ان يزداد المسلمون فىالتسلح حتى يتفوقوا على أعدائهم ارهابا له

---

١) الحشر : ٢
٢) الانفال : ٦
٣) السيرة لابن هشام : ق٢ ص ٢٥٥

وتمكينا لأنفسهم ، وان من واجبهم ان يصنعوا هم ذلك السلاح ما استطاعوا لصنعه سبيلا كما يدل احتفار الخندق وتركيب المنجنيق فهذا أوعى للتوثق والاطمئنان ، وعلى المسلمين وحدهم تقع المسئولية أمام الله اذا سبقوا الى استحداث سلاح فتاك يهدد وجودهم بالفناء فلم يستحدثوا مثله او أمضى منه ذلك ان قوام كل نصر بسبب مادي وسبب معنوي فاذا استوى المسلمون والكفرة فى العدة والسلاح غلب المؤمنون باذن الله لتفوقهم المعنوي الظاهر ، ولانه وعد الله ولا يخلف الله وعده .

ومنها التعبئة العامة وهي كما كانت عند المسلمين الاولين اجابة داعي الله الى الجهاد من كل قادر على حمل السلاح ، وحشد القوى المالية والنفسية واستخراج ما فى الوسع . وكانت النساء ينهضن بعبء الدفاع المدنى ، جاء فى الحديث : (١) عن الربيع بنت معوذ قالت : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم نسقى ونداوى الجرحى ، ونرد القتلى الى المدينة)

فاذا استتم المؤمنون الاستعداد واستوفوا شروطه وعزموا على القتال توكلوا عندها على الله حق توكله : « فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين (٢) .

٦ ــ ذكر الله واستغفاره فى القتال :

ومن أسس النصر فى حروب الاسلام : استغفار الله فى المعركة والاكثار من ذكره ، يقينا ان النصر من عنده وحده ، فتخلص له النفوس وتتجه اليه متوكلة ، صابرة . وقد أمر الله بالذكر فقال : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون »(٣) . وعلم المؤمنين الدعاء عند لقاء العدو : « وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » (٤) .

وينبني على هذا ان تدابير المؤمنين فى الحذر والاستعداد والتخطيط لا غناء فيها الا باليقين المطلق ان لا نصر الا بالله ، ولا تنفع من غيره كثرة ولا عدة . وكانت موقعة حنين درسا بليغا للمسلمين اذ قال قائل منهم : « لن نغلب اليوم من قلة » (٥) ، فطارت الكثرة شعاعا عند الصدمة الاولى فانهزمت وجاء الله بالظفر على يد القلة المؤمنة التي لبت نداء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصبرت . قال تعالى : « ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم . فلم تغن عنكم شيئا

---

١) صحيح البخارى ج٤ باب الجهاد
٢) آل عمران : ١٥٩
٣) الانفال : ٤٥
٤) آل عمران : ١٤٧
٥) السيرة : ق ٢ ص ٤٤٤

وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين (١) .

لذلك كانت مسالة النصر في حياة المسلمين غاية في الحساسية (٢) ، وان مثلهم مثل جهاز دقيق الصنع عجيب التركيب رهف الآلية لايصيب الخلل جزءا ضئيلا من اجزائه الا اضطرب سيره .

طبيعة الحروب الاسلامية :

قال تعالى في المؤمنين المنصورين :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (٣) .

ويلزم في كونهم خير أمة ان انتصاراتهم خير الانتصارات ، وان حروبهم خير الحروب ، فما طبيعة تلك الحروب ؟ فان معرفة طبيعتها من الاهمية بمكان اذ مقومات النصر في هذه الطبيعة نفسها : انها :

أ ـ حرب ايمانية : حمل المسلمون أمانتها لينشروا دين الله في الارض ، ولم تثرها دواعي الطمع ، ولم تبلغ ما بلغت من الروعة والقوة بالجشع . وهي حروب فذة في تاريخ البشر . وقد عين الله هدفها الايماني وهدف الحرب الكافرة في قوله تعالى :

« الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان ان كد الشيطان كان ضعيفا » (٤) .

ولهذا لا يكون للكفار غرض سوى زحزحة المؤمنين عن دينهم : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » (٥) وتخصيص الحرب الاسلامية بهذا الهدف دلالة على ان فكر الانسان وقلبه افضل ما فيه . ولذلك كان القضاء على العقيدة او تحويل الناس عنها أعظم جرما من اراقة الدم وازهاق النفس : « والفتنة اكبر من القتل (٦) فأمر الله بالقتال حتى يسلم الدين وتوأد الفتنة : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله : فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » (٧) .

ومن البين ان القتال لدفع الفتنة ليس مادي الغاية ، وانما هو دفاع عن الانسان المفكر الذى تخنق الطواغيت قلبه وتكرهه على معتقداتها وفلسفاتها بالبطش والنكال .

ان اعظم مافي حروب الاسلام انها قامت لحماية قلب الانسان وعقله ، وهما اساس سموه وازدهاره الحضاري .

ولنا على ذلك أدلة كثيرة منها :

منع شن الحرب لغاية مادية ، ومنع الانتهازيين ، ارباب المكاسب الشخصية ، من الاشتراك فيها : **اذ كان مفهوم الغزو عند الجاهليين**

---

١) التوبة : ٢٥

٢) راجع في هذا الباب وصية عمر بن الخطاب لسعد بن أبي وقاص .

٣) آل عمران : ١١٠

٤) النساء : ٧٦

٥،٦) البقرة : ٢١٧

٧) البقرة : ١٩٣

الحيازة والغنم ، فألغى الاسلام هذا المفهوم البائد واحل مفهوما جديدا : هو القتال لاعـــلاء كلمة الله : وفى القرآن الكريم تصوير للنفسية العربية وهي تعاني النقلة من القتال المـادي الى القتال من اجل الله ،

قال تعالى فى سورة الفتح «سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانـــم لتأخذوهـــا ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا ،كذلكم قال الله من قبل ، فسيقولون : بـــل تحسدوننا ، بل كانوا لايفقهون الا قليلا » (١) وكشف لهم عن حقيقـــة الحرب الجديدة لا مغنم فيها لا الاجر ولا غاية الا نشر الدين ليصيروا حملة رسالة بعد ان كانوا مطية ضلالة قال تعالى : « قل للمتخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ، فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا ، وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابـــا أليما » (٢) .

ومن الادلة على ذلك انه قبل علانية الذين يعلنون اسلامهم على تخوف من الاسر أو القتل ونهى عـــن قتلهم أو أسرهم : فقال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا ، فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا)) (٣) .

ومنها مانظم من امر الغنيمة والفيء النظام المعروف فى الاسلام ، بعد ان كانت الغنيمة فى الجاهلية للغانم وحده أو بشركة سيد القبيلة .

ب ــ حرب انسانية :

ولذلك يمكننا ان نصف الحروب الاسلامية بحق انها حرب انسانية اذ جعل الله رسالة المؤمن ان يكافـــح الاذى والسوء وان يقضى علـــى الطغيان فى الارض وقدقضت سنة الله ان الشر لايدفعه الا الخير ، وان الظلم لايرفعه الا الحق .

وهذه الصفـــة ظاهرة فى حروب الاسلام فلم تكن الادفاعا فى المضطهدين عربا كانوا أو عجما ، وليس فى حروب المسلمين غير هذا المعنـــى مهما جهد المؤرخون فى وضع النظريات لمنشـــأ الحروب وغاياتها ، انها حرب انسانية باوسع ما فى هذه العبارة من معنى سواء كانت دفاعا عن النفس أو عن الآخرين .

فاذا كانت دفاعا عن النفس فللرد على ظلم غاشم ومن صفات المؤمنين الاصلية فى كتاب الله الانفة من قبول البغى ((والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون)) (٤) ويفرض الله عليهم ان يكونوا حمـــاة المضطهدين والذائدين عن حقوقهم ، اذ قال تعالـــى فى استنهاضهم ((وما لكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال

---

١ ــ الفتح : ١٥
٢ ــ الفتح : ١٦
٣ ــ النساء : ٩٤
٤ ــ الشورى : ٢؟

والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها ، واجعل لنا من لدنك وليا ، واجعل لنا من لدنك نصيرا » (١) .

وقد جعلت لها صفتها الانسانية آثارا بعيدة المدى باقية على الزمان اذ أعانت على انتشار الاسلام ، فاقبل الناس عليه اقبال الغرقى على سفينة النجاة ، ولم يلق المقاومة والكيد الا فى الموتورين الحاقدين على الديـــن والانسانية كلها . اما الحروب المنبعثة من الجشع أو شهوة القهر والسلطان فان آثارها تزول بزوال اصحابها .

وطبيعتها الانسانية لاتمنــــع ان تكون حربا هجومية ، انها هجومية فى اقوى مضمون لهذه الكلمـــة ، لانداجي ولا نجامل ولا نخجل من هذا المحتوى ، ولا يحملنا حاضر المسلمين التعيس على القاء ظلال كاذبة زائفة على حروبنا ، فهى هجوم على الكفر والالحاد والطغيان ، ودفاع عن الروح والعقيدة والانسان . ان هذه الصفة باقية لها ما بقى للالحاد تطاول فى وجه الايمان .

وهذه الصفة الايمانية الانسانيــة تفرض ان يكون لها شعار واحد ثابت على الدهور ، هو : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » وانها لتفقـــد جوهرها وتفرغ مــن مضمونها ان اتخذت ستارا غيره . ولا تسمى حربا اسلامية اى حرب اتخذت شعـــارا يعارض الحقيقة التى ينبثق منها هذا الشعار ، وان كان وقود هذه الحرب جنودا من ابناء المسلمين .

د ــ حرب عادلة :

وتتجلى عدالتها فى مواقف المسلمين السمحاء ، باعتراف مـــن اعدائهم ، ومردها الى التزامهم تعاليم الله التى شرعها لهم فى معاملة المغلوبـــين والمعتدين . ويكفى ان نشير الـــى العدالة المطلوبة فى الحال التى تدعو الى الرد على العدوان : اذ جعل الله للرد مقدارا هو جزاء المثل ، وقيـــده بالتقوى . قال تعالـــى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين »(٢) فاوجب الله على المسلم ان يحكـــم التقوى فى سلوكه فى المواقف كلها ، وفى اللحظة التى لايخشى فى البطش حسيبا من الناس . ولكنه يخشى الله ــ عز وجل ــ فيمسك . فاذا هو المحارب التقى العادل .

ويعطى الرد العادل أطيب النتائج للفريقين معا ، فهو يكف عن المسلمين بأس الذين كفروا ، ويفتح لهؤلاء باب الدخول فى الاسلام وقد وجدوا جنده مثلا فى العدل والرفق .

وهكذا يدخـــل المسلمون الحرب بقانون ويديرونها بقانون ويمسكون عنها بقانون ، وفى كل المواقف تبقى

---

١ ــ النساء : ٧٥

٢ ــ البقرة : ١٩٤

انسانيتهم التى اعطاهموها الدين ظاهرة . فليس غريبا بعد هـذا ان يقول كاتب غربى « لم يعرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب » (١) .

استبقاء النصر :

لقد حاز المسلمون هذه المقومات فحرروا انفسهم والعالم من عبادة الطاغوت . ثم دبت فيهم عوامل الضعف على مدى القرون ، ففقدوا كثيرا منها ، وقد يستعيدونها مرة اخرى — ان شاء الله لهم استيعادها — ويحملون راية الجهاد لانقاذ البشرية من ويلات أمر وافدح مما كانت تعانيه قبل ظهور الاسلام . فاذا قدر لهم الله ذلك . كان عليهم ان يحتفظوا بالنصر وباسبابه . وليس من بحثنا ان نتحرى عن تلك الاسباب . ولكن نعتقد ان الله قد جمعها فى الاية الكريمة : **« الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الامور » (٢) .**

---

(١) هو غستاف لوبون .

(٢) الحج : ٤١ .

وصيـــة ..

كان عمر بن الخطاب اذا بعث امراء الجيوش اوصاهم بتقوى الله ثم قال لهم :

بسم الله ، وعلى عون الله ، وامضوا بتأييد الله بالنصر وبلزوم الحق والصبر ، فقاتلوا فى سبيل الله من كفر بالله ، ولا تعتدوا ، ان الله لايحب المعتدين .. لاتجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند القدرة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرما ، ولا امرأة ولا وليدا ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وفى شن الغارات ، ونزهوا الجهاد عن غرض الدنيا . وذلك هو الفوز العظيم .

الإسلام والصراع الطبقي

الدكتور محمود بابللي

تقوم بعض المذاهب الاجتماعية المعاصرة على فكرة الطبقية وتمايز بعض الطبقات على بعضها الآخر كما كانت عليه هذه الفكرة فى العهود القديمة زمن اليونان والرومان ، حيث كانت تسيطر هنالك طبقة السادة فقط ، ولا قيمة (للعبيد) فيها . اذ انهم ملك يباع ويشترى ويتم التصرف فيهم استغلالا واستثمارا وتعذيبا على أبشع ما يمكن ان يتصور من الفوارق الصارخة بين هاتين الطبقتين .

حتى ان كلمة (ديمقراطية) لاتعنى فى مفهومها الحديث ما كانت تعنيه عند أهلها ومنشئى كلمتها ، أى عند الامة اليونانية ، اذ انها كانت تعنى طبقة الشعب الحاكم ، أى طبقة السادة ، ولا وجود للطبقة المستغلة (العبيد) فى مفهوم كلمة الديمقراطية القديم .

لذلك فان كلمة « حكم الشعب للشعب » تعنى آنئذ حكم طبقة السادة .

وكذلك الحال عند الرومانيين وما كانت عليه الطبقية لدى الفئة الحاكمة منهم ، ومن يلوذ بهام من امراء وفرسان وغيرهم ، ولا قيمة تذكر لفئات الفلاحين والطبقات المتوسطة والفقيرة وطبقة العبيد والاسرى .

وقد ظهرت فكرة الطبقية فى زمننا الحاضر فى مفهوم مغاير ، وهو الصراع الطبقى بين الطبقة العاملة — من عمال وفلاحين — وبين طبقة الاغنياء أو متوسطى الحال ، أو بين (الرأسمالية والاشتراكية) ومن بعدها الشيوعية ، لان الشيوعية هى الغاية للاشتراكية كما يعبر عن ذلك اصحابها .

وهذه الفكرة الطبقية اظهرت للوجود نوعا من الحكم المتسلط الغاشم باسم طبقة من الشعب — ليس لها من هذا الحكم الا الاسم — ضد الطبقات الاخرى .

وتقوم هذه الفكرة على اثارة الصراع الدامى المستمر بين الطبقات

وايجاد الاسباب الدائمة لاثارته لاشغال الفئة المخدوعة به عن حقيقة أوضاعها.

وكذلك تقوم هذه الفكرة على خلق جو من الاضطرابات والفوضى فى كل بلد يمكن ان تعمل فيها هذه الافكار لتتوهم الشعوب المخدوعة من ان الفردوس المنشود لايتحقق الا اذا قام هذا الصراع الدموى وانمحت الطبقات الغنية (الاستقراطية والرأسمالية)

ولما كانت هذه الفكرة تستند الى مذهب اجتماعى لايؤمن بدين أو عقيدة لذلك فانها تهدف الى تهديم كل معتقد لايكون مبنيا على الاسباب المادية وتعتبر ان الدين مخدر (أفيون) للشعوب ، وتستغل تأخر بعض الشعوب المتدينة لتثبت لها من واقع تأخرها ان سبب هذا التأخر مرده الى هذا الدين الذى تعتنقه .

واكثر ما يعتمد عليه اصحاب هذه الفكرة لترويجها هو واقع الشعوب وتأخر الكثير منها وسيطرة القوى منها على الضعيف ، وان هذه السيطرة ناشئة عن الفكرة الاستغلالية المتولدة عن الرأسمالية وان التقدم العلمى لايجتمع أو يأتلف مع الافكار الدينية التى تشل من قدرة هذا التقدم عن ان يأخذ سبيله دون عائق .

ويعللون لمزاعمهم هذه بواقع الامم الاوربية فى العصور الوسطى عندما كانت الكنيسة مسيطرة ، وما انقلبت اليه احوال هذه الامم بعد ما انعتقت من اسار هذه السيطرة الكهنونية حتى انهم يسمون هذا المنطلق بداية عصر النهضة .

وقد انخدع بعض المثقفين ثقافة غربية — من المسلمين واخذوا بهذه الحضارة المادية وهذا التقدم الكبير وظنوا — وهما منهم — ان الدين الاسلامى عائق للامة الاسلامية عن الانطلاقة فى هذا الميدان وانه يحرم النظر والبحث فى مثل هذه المسائل ، وان علم الدين يقتصر على الامور التعبدية وبعض المعاملات المالية التى كانت معروفة فى العصور الغابرة ، وان القرآن قد ادى مهمته فى العصر الذى انزل فيه وانه لايمكن ان يتخذ دستورا — كمفهوم الدساتير الحديثة فى هذا العصر — لانه كتاب يتعلق بالامور التعبدية ولم يقصد منه ان يكون كل شىء فى حياة الناس . وان صح ان الاسلام فيه من المفاهيم الاخلاقية ما يجعله دعوة اخلاقية سامية ، فان هذه المفاهيم لاتكفى وحدها ليبنى عليها نهضة علمية كهذه النهضة المعاصرة، وشتان بين ماوصل اليه الغربيون والشرقيون من مستويات عالية جدا فى شتى العلوم وبين ما عليه الامة الاسلامية مع اختلاف الاجناس فيها . مما يؤكد ان الوحدة الجامعة التى تشد بهولاء الى الوراء هى الدين والدين وحده .

هذه هى حجة بعض المثقفين الغربيين (من المسلمين) وحجة المخدوعين بهم وبالمظاهر المادية المتعددة الجوانب فى الحضارة المعاصرة .

ولو محصنا هذه الحجة تمحيصا دقيقا لوجدنا انها حجة واهية لاتستند الى اساس ، وسنورد بعض النقاط الرئيسية التى يمكن ان تشير الى ضعف هذه الحجة وعدم امكانية اتخاذها مستندا لتبرير هجرالتعاليم الاسلامية وعدم الاخذ بها .

واول هذه النقاط ، واعتقد انها اهم النقاط الاخرى وهى :

١ ــ جهل هؤلاء المثقفين بعقيدتهم الاسلامية وبما تتضمنه هذه العقيدة من اسس قويمة .

وقد قيل فى الامثال العربية من جهل شيئا عاداه » . وهؤلاء معذورون من هذه الناحية لانهم يجهلون حقيقة الاسلام .

ولو سألت احدا منهم ان يذكر لك ما يفقهه من الاسلام ؟ لقال لك : اننى ولدت من ابوين مسلمين ووجدتهما يعتنقان الاسلام دينا فنشأت اقلدهما فى هذا المعتقد واقوم بما يقومان به من عبادات . او اقلدهما فيما يقومان به دون ان افقه الفائدة من هذه العبادات . لاننى لم اجد لها مردودا أو أثرا ايجابيا فى نفسى كما لم اجد ذلك فيهما ولا فى محيطى الذى اعيش فيه ولا فى واقع المسلمين كلهم .

وان هذه هى الحقيقة ــ بنظرة ــ التى تنطبق على واقع الاكثرية من المسلمين . اذ هم الغالبية العظمى ، فكيف تريد من هذه الكثرة ان تعطى انعكاسا صحيحا عن الاسلام ما دامت تعيش على هامشه ولا تعرف منه الا صورا مشوهة من مظاهره فتزعم انها امة مسلمة وتحسب نفسها فى عداد المسلمين ، وليس بينها وبين الاسلام الا صلة الاسم الوراثى .

والنقطة الثانية هى :

٢ ــ الاسباب التاريخية فى تخلف المسلمين الحالى :

تحفل كتب التاريخ بذكر الانقسامات التى حصلت فى البلاد الاسلامية نتيجة لعوامل متعددة اهمها الترف . وثانيها انشغال أولى الامر بانفسهم للحفاظ على مكاسبهم الشخصية (الكيد لبعضهم بعضا ، وثالثها انصراف العلماء عن اداء واجبهم من الجهر بالحق والوقوف الى جانبه ــ باستثناء أفراد افذاذ لايخلو زمان منهم ــ ورابعها استغلال اعداء الدين وعلى راسهم الشعوبيون لهذه التفرقة والعمل على توسعتها والحصول على مكاسب بسببها . وخامسها انصراف الخاصة والعامة من المسلمين عن متابعة الجهد العلمى والتفوق فيه الى مراقبة هذا الصراع المتجدد والمتعدد بين زعماء الامة الاسلامية وانغماس اكثرهم فيه . وسادسها حصول النكبات الطبيعية والهجمات البربرية التى قوضت أركان المعارف والعلوم مرات عدة . ومن ثم ما يعقب هذه الهزات من ركود طويل نسبيا

الى ان خالطت الامم الغربية الامة الاسلامية ابان الحروب الصليبية واخذت عنها الكثير من حضارتها زيادة عما كانت اقتبسته منها عن طريق الاندلس أو البحر الابيض المتوسط الذى كان يدعى آنئذ (بحر العرب) . واستمر هذا التقارب مدة طويلة من الزمن ينتج عنه تدهور أوضاع الامة الاسلامية وازدهار احوال الامم الغربية . ولم تغير الخلافة العثمانية على ما كانت عليه فى بداية منطلقها من قوة وصلابة من واقع هذه الامة شيئا فبقيت على حالها بعيدة عن الاخذ باسباب العلم ، لان لغة العلم التى كانت العربية قبيل التغلب العثمانى على الدويلات والامارات الاسلامية العديدة اهملت واصبحت اللغة التركية هى اللغة الرسمية للامة الاسلامية مما اثر على النتاج العلمى فاصبح فى غالبيته يقوم على شرح المتون وشرح الشرح وتلخيص هذه الشروح .. الى آخر ما وصل الى ايدينا من مخلفات هذه العصور المتأخرة .

ولما ان تمكن الغرب من تقطيع أوصال الخلافة العثمانية عمل على ان يقتلعها من جذورها فكان له ذلك وعاونه على تحقيق هذه الغاية بعض أبناء هذه الامة لاسباب متعددة . واعقبت هذه النتيجة توسع سيطرة المستعمر الغربى على البلاد الاسلامية وخضوع اغلب هذه البلاد الاسلامية لهذه السيطرة باشكال متعددة وظروف مختلفة ، الى ان تولد عن هذه السيطرة (الاجنبية) تيقظ بعض رجالات المسلمين فعملوا على تنبيه امتهم من غفلتها وتحذيرها من الاستمرار فى هذه الغفلة ، وظهرت بعض الاشعاعات الخفيفة فى جنبات هذه الظلمة الواسعة التى عمت البلاد الاسلامية فترة طويلة من الزمن . وتلاحقت هذه الانوار — رغم شدة الظلام المخيم على كثير من بلاد العالم الاسلامى — ، ولكن النور لايخفى اثره مهما اشتدت الظلمة .

وهكذا تكشفت حقيقة الواقع المؤلم لبعض القلوب التى تفتحت بنور الايمان واخذت تعمل باخلاص وجد فى ايقاظ العالم الاسلامى ورده بتؤدة وصبر وعزيمة الى معتقده .

ولابد لهذه الجهود المخلصة ان تؤتى ثمارها ، لان النهضات لاتتحقق والعثرات لاتقال الا باخلاص العاملين من كل صنف وفى كل زمان .

وأرى ان بوادر الخير ظاهرة فى الامة الاسلامية رغم تلاحق الشدائد

عليها ، لان من سنن الله سبحانه ان لايضيع جهد العاملين المخلصين . وان هذه الشدائد لاتخرج عن كونها ابتلاءات تتمخض عن انابة الى الحق باذن الله .

وثالث هذه النقاط :

٣ — ان العقلية الغالبة — حتى الان — على علماء العالم الاسلامى ورجالاته هى صفة الفردية ، وعدم الاطمئنان للاخرين أو الثقةبهم . وبهذا لايتحقق التعاون المنشود بين رجالات العالم الاسلامىعلىجميع المستويات.

وداء الفردية داء فتاك ى جسم الامة ، لان العبقرية ، مهما تكن فذة فانها لاتبدع ان لم يكن الى جانبها ما يشحذ من مضائها .

والحذر او اليقظة شيء مطلوب ولكن شدة الشك وعدم الاطمئنان أو الثقة بالآخرين يبعد الشقة بين الاخوة ويبقى ثغرات مفتوحة لكى يتسلل منها المخربون والمفسدون .

وان تبادل الزيارات — على جميع المستويات — بين رجالات الامة الاسلامية وتولى وسائل الاعلام فى بلاد العالم الاسلامى مهمة التقريب بين الشعوب الاسلامية يزيد فى التقارب ويقضى علىكثير من الخلافات التى صنعها الجهل والاستعمار واعداء الاسلام .

واعتقد ان هذه النقاط الثلاث التى عرضتها آنفا يمكن ان تكون نقاطا رئيسية للاسباب التىنتج عنها التخلف الذى ورثه هذا الجيل المسلم عن آبائه واجداده من العصور المتأخرة .

وان احساسهبهذا الواقعوشعوره بالتخلف عن الحضارة المادية ستدفع به لان يغير من أوضاعه الشاذةويعود الى سلوك الجادة المستقيمة التى يدعوه اليها الاسلام .

وتبقى النقطة الاخيرة التى أود عرضها وهى فى الحقيقة رد على تساؤلات الكثيرين من المسلمين أصحاب الثقافة الغربية الذين لاحظ لهم من الاسلام الا صلة النسب ، وهى :

٤ — هل الاسلام تسبب فى هذا التخلف ؟

ان التخلف العلمى الذى يشمل غالبية البلاد الاسلامية أمر لانكران فيه فهل تسبب الاسلام بهذا التخلف ؟ أو هل كان الاسلام سببا له ؟

ان جوابى على هذا التساؤل هو دعوة (هؤلاء الجهال بدينهم) الى ان يطلعوا على تعاليمهذا الدين من ابنائه اصحابالاختصاص لامن(المستشرقين) اعداء الدين الاسلامى ،وان يخصصوا لذلك بعضا من وقتهم ، وان يدتقوا فى فى هذه التعاليم ومن ثم لايترددون باعطاء رأيهم فيما سيتوصلون اليه .

وانى على يقين ان غالبيتهم ستأخذها الدهشة والالم معا :

الدهشة من اكتشاف ان الدين ليس دينا كهنوتيا كمفهوم الدين لدى الغربيين ، وانما هو نظام دقيق جامع لشؤون الحياة ، دينا واخرى ، لايرتضى لاتباعه التخلف والجمود والضعف والجهل ، وانما يدعوهم للاخذ باسباب الحياة بكل ما لهذه الكلمة من معنى .

وسيأخذهم الالم لهذه الغربة التى اكتشفوها فى انفسهم عن الاسلام الذى ينتسبون اليه ، وعن هذه القوى المهدورة من جهودهم واوقاتهم التى ضاعت فى غير تثبيت مفاهيم الاسلام فى انفسهم . وعن هذا المثل السىء الذى يعطونه عن المثقف الذى يجهل حقيقة ما يتصل به اتصال نسب وتاريخ وحضارة .

وسيتبين لهم ان الاسلام يريد من اتباعه ان يكونوا متميزين عن غيرهم فى كل شىء تميزا لجهة الفضيلة والصلاح ، ويريدهم ان يكونوا متفوقين فى كل شىء تفوق ارتقاء وسمو فى معانى الانسانية ومفاهيمها . ويحرص على ان يكون اتباعه روادا للحق ودعاة للخير وامثلة حية لذلك .

وان دعوة الاسلام الى العلم دعوة مفتوحة لاحدود لها (١) الا فيما لاخير فيه ، واننا لن نجد فى غير الاسلام تقديرا للعلم واشادة بالعلماء كما نجده فيه . وان ابرز ما فى هذا الدين الاسلامى انه لايحجر العقل والمواهب الاخرى التى يتمتع بها الانسان عن ان تؤدى وظيفتها على احسن وجه واتمه .

وسوف يتحقق لهؤلاء (المخدوعين) بالثقافة الغربية ان الاسلام لايحول دون الاخذ بالصالح من هذه الثقافة ، وان الاسلام لايدعو اتباعه الا لكل ما هو مفيد ونافع ومثمر .

وسيتبين لهم ان تخلف المسلمين ناشىء عن عدم تفهمهم لتعاليم دينهم وعن عدم اخذهم بالاسباب التى تجعل منهم خير امة اخرجت للناس .

وان الحضارة المادية المعاصرة بحاجة الى الرجل المسلم الذى يرتفع بها عن الطريق المنحرف الى الصراط المستقيم لتؤدى خير ما فيها لبنى الانسان وتحول بينهم وبين شرورها ، لان الوازع الدينى والعامل الاخلاقى

---

١ ــ انظر المقالين المنشورين فى جريدة المدينة العدد (١٣٤٣ و ١٣٦١) بعنوان : الاسلام والتسابق العلمى المعاصر ، ودعوة الاسلام الى العلم.

وفق التعاليم الاسلامية غير متوفـر برجالات هذه الحضارة .

والكتاب القيم « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » للداعية الاسلامى الكبير ابى الحسن الندوى فيه الكثير من النقاط التى يجب ان يعيها الشاب المسلم المثقف وكل انسان مثقف ليقف على مدى هذه الخسارة التى حاقت بالعالم بأسره من جراء هذا التخلف .

واننى ارجو من هؤلاء ومن كل مسلم ان يرجع الى تعاليم دينه ، والى النبع الاساسى الذى بنيت عليه التعاليم الاسلامية ، وهو الكتاب والسنة خاصة ، وان يتحققوا بأنفسهم من صلاحية هذا الدين الاسلامى لان يكون دين الانسانية قاطبة . ولا اريدهم ان يتأثروا بما أقول دون تثبت من صحة ذلك لان الاسلام هو الدين الوحيد الذى تلتقى عنده هذه الانسانية ، فهو وحده الذى أعلن تكريمه لعنصرها وتفضيله على سائر المخلوقات ، ولانه الدين الوحيد الذى يجمع ابناء الانسانية على صعيد واحد لافرق بينهم بسبب العرق أو اللون أو النسب وانما التفاضل بينهم بالتقوى وبعمل الخير ، ولان هذا الدين أعلن المساواة بين الناس فلا طبقية ولا تصارع وانما هو وحدة ومساواة .

وان الانسانية لايهنأ لها عيش ان لم تسد هذه المبادىء وتتغلب على نوازع الشر ومواطن السوء .

وان الصراع الطبقى الذى يسود فى بعض العقائد المنحرفة على اختلاف انواعه ، بما فى ذلك التفرقة العنصرية فى عصر المدنية والتفوق العلمى ، لا وجود له فى الاسلام ولا يقبل به اطلاقا .

لهذا كله فان الانسانية بحاجة الى مسلمين اسلام الحنيفية السمحة ليعودوا بها الى الجادة التى انحرفت عنها فضلت وتاهت فى ظلمات الشرك والوثنية وعبادة المادة ودعوات الالحاد والعلمانية .

وصدق الله العظيم :

« وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » (الانعام ١٥٣) .

وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين .

رسائل

لم يحملها البريد

للشيخ عبد الرؤوف اللبدي - المدرس في الجامعة

سلامٌ عليكَ رسولَ الإلهِ
سلامٌ يَضُوعُ كفَوحِ الزَّهَرْ

تَمُرُّ القُرُونُ وتأتي القُرونُ
وذِكْرُكَ عَبْرَ القُرونِ عَطِرْ

وقفتُ بقبركَ ذاتَ صباحٍ
وقدْ صَحِبتْنِي طيوفُ الذِّكَرْ

ذكرتُ السيوفَ على أرضِ بدرٍ
تُجالِدُ أهلَ الضلالِ النُّكُرْ

وفي يَوْمِ أحْدٍ ذكرتُ الجراحَ
تسيلُ كفاحاً لأمْرِ قُدِرْ

ويومَ حُنَيْنٍ ذكرتُ الثباتَ
وقدْ فرَّ كلُّ شجاعٍ ذَكَرْ

ذكرتُ جيوشَكَ وابنَ الوليدِ
وسَعْداً وعَمْراً وأسْداً أخَرْ

جيوشٌ تسيرُ إلى مَغْربٍ
وأخْرى إلى ما وراءَ النَّهَرْ

وهذي تشُقُّ فِجاجَ الصَّحارى
وتلك تشُقُّ عُباب البَحَرْ

وحِطِّينَ يومَ التقى المسْلمون
وفى صَدْرِهمْ لَهَبٌ مُسْتَعِرْ

بجيشٍ غُزاةٍ أتى مِنْ بَعيدٍ
يرومُ المُقامَ وطولَ المقرْ

وكم فى حياتِكَ من ذكرياتٍ
تُضيءُ تُضيءُ ولا تَنْكَدِرْ

★ ★ ★

وقفتُ بقبرِكَ ذاتَ مساءٍ
وقد غَشِيَتْني همومٌ كُبَرْ

أُسائِلُ فى لَهْفَةٍ لا تَغيضُ
ودمعٍ عصيٍّ مَضى يَنْحَدِرْ

فما بالُ أحفادِ تلك القُرونِ
تُوَلِّي أمامَ العدوِّ الدُّبُرْ

وما كان ذلكَ عن قِلَّةٍ
جرادٌ بساح الوغى منتشِرْ

وأسلحةٌ قد تدكُّ الجبالَ
وأُخرى السماءُ بها مُنْفَطِرْ

وإنـي لأعجبُ كيف اسـتمعْتُ
إلى كلمـاتٍ بأُذْني تَصِـر :
وما كان جَدْوَى أولاءِ الجنودِ
وما كان جَدْوَى السلاحِ الخَطِرْ
إذا لم يكنْ في القلوبِ الشُّعاعُ

★ ★ ★

يُضـيءُ الطريقَ لمـنْ يَنتصِـر
دعـوتَ إلى خطـةٍ في الحيـاةِ
تـكونُ سـبيلَ الهُدى والظفَر
فـكانتْ حيـاةً لمـن قـد أجابَ
وكان الضـياعُ لمـن قد نَكِرْ
أضَعْنا الـذي قد دعوتَ إليـهِ
ورُمْنا النجـاةَ لَدَى من كَفَـرْ
فيـا لَلْخِـداعِ ويا لَلصِّـراعِ
ويـا لَـدماءٍ تسـيلُ هَـدَرْ
تعـالَيْ تعالَيْ ريـاحَ الشـتاءِ
تعـالَيْ فُرادَى تعـالَيْ زُمَرْ
تـولَّى الخريفُ وفـوقَ الغصـونِ
وريقـاتُ صُـفرٌ ولمَّـا تطِـر
لعـلَّ ربيعـاً يعـودُ جديـداً
فيشفِي الصـدورَ ويجلُو البَصَـرْ

منهج البحث العلمي في الاسلام

للشيخ ابراهيم السلقيني

المدرس في الجامعة

بزغ فجر الاسلام فوجد الناس قد انصرفوا عن العلم فانصرف العلم عنهم ، وخاصة العرب منهم ، فتخلف الناس نتيجة لذلك ، وتأخروا فى كل ميدان . لذلك كان ابرز ماجاء به الدين الاسلامى ودعا اليه تعلم العلم وتعليمه ..

فقد رفع الاسلام من قدر العلم كثيرا . كان ذلك منه فى عصور سادتها الجهالة ، وقد جاءت آيات واحاديث كثيرة تحث على العلم وتبين فضله ، وترفع من شأن ذويه ، وحسبك تقديرا للعلم ان اول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى :« اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم» (١) . ولقد ذكر اسم العلم معرفة ونكرة فى عشرات الآيات من القرآن الكريم تناهز المئة . وهو يطبق على علوم الدين والدنيا ، لا تقف عند حد ، ولا تنتهي عند نوع خاص من المعرفة . فمن العلم المطلق قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك بهعلم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا » (٢) أى لاتتبع ما ليس لك به علم يثبت عندك بالرؤية البصرية ، وبالروايات السمعية او البراهين القطعية ، فان الله تعالى يسألك عما اعطاك من آلات هذا العلم.ولقد جعل الله تبارك وتعالى العلم مقياس التفاضل بين الناس وبه ترتفع اقدارهم فقال سبحانه « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (٣) ، ذلك لان الشخصية الانسانية لايقومها ولا يرقيهاشىء غير العلم ، لذلك حكم الله سبحانه ان اهله يمتازون عمن سواهم ، ثم ترى القرآن الكريم فى آية اخرى يصرح بأن العلماء لهم درجات عند

---

(١) سورة العلق الآية (١ـ٥) .

(٢) سورة الاسراء الآية (٣٦) .

(٣) سورة الرمز الآية (٩) .

ربهم وميزات يخصهم بها، قال تعالى: « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (١) » كما أنه سبحانه اعتد بشهادة اهل العلم فى وحدانيته فقال سبحانه « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط (٢) ، ومن ناحية اخرى نزل القرآن الكريم يسجل على الذين لايعلمون حكما لايرضاه ذو ادراك لنفسه : « كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون (٣) » . كذلك يقول تعالى رادعا المستبدين : « وفوق كل ذى علم عليم (٤) » وذلك حتى يخففوا من كبريائهم ويعدوا انفسهم لتلقى نقد الناقدين ، ويطلب القرآن من المؤمن ان يكون دائما فى استزادة من العلم « وقل رب زدنى علما (٥) »، ويبين القرآن الكريم ان الانسان مهما ضرب فى ساحات العلم فانه لايزال فى البداية : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا (٦)» . ولم يكن العبد الصالح الذى ذكر فى سورة الكهف متبوعا وسيدنا موسى تابعا الا انه حظى بهبة العلم من الله الواسع العليم قال تعالى : « فوجدنا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما (٧) » . .

وقد بين الله سبحانه سبب اختيار طالوت ملكا على بنى اسرائيل رادا على من اعترض : « وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال ، قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم (٨) ». فأولاد يهوذا اغنياء وطالوت من الفقراء فأرادوا ان ينازعوه الملك فرد عليهم الله سبحانه ان الملك ينال وترقى سدته بالعلم رمز القوة المعنوية ، والجسم رمز القوة المادية.

ولقد بين صلى الله عليه وسلم ان التنافس لايكون الا بالعلم ففيه ليتنافس المتنافسون . والتسابق لا يكون الا على تحصيل المعرفة فعليه ليتسابق المتسابقون لان الخير كل الخير فى العلم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين (٩) ، وان العلم المقرون بالعمل والعبادة يرفع الله صاحبه منزلة لاتعلوها منزلة هى منزلة الرسالة والنبوة من ناحية الفضل لا من ناحية الوحى والتشريع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضل العالم على العابد كفضلى على

---

(١) المجادلة الآية (١١)
(٢) سورة آل عمران (١٨) .
(٣) سورة الروم (٥٩) .
(٤) سورة يوسف (٧٦) .
(٥) سورة طه الآية (١١٤) .
(٦) سورة الاسراء الآية (٨٥) .
(٧) سورة الكهف الآية (٦٦) .
(٨) سورة البقرة الآية (٢٤٧) .
(٩) رواه البخارى ج١ ص ٢٦

ادنى رجـــل منكم (١) . كمـــا ان الرسول صلى الله عليه وسلم بـــين ان الانبياء عليهم السلام تركتهم اسمى من المال وورثتهم افضل الوارثين ، العلم تركتهم ، والعلماء ورثتهـــم ومن ورث العلم الصحيح الذى يرشد الى الخـــير ويهدى من ناله ســـواء السبيل فقد فاز وكان من المفلحين (عن ابى الدرداء انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول : ان العلماء ورثة الانبياء ، وان الانبياء لم يورثوادينارا ولادرهما، انما ورثوا العلم ، فمن اخـــذه اخذ بخط وافر (٢) . كما يعتبـــر الاسلام التعليم اجباريا . قال عليه السلام (طلب العلم فريضة على كل مسلم (٣) فطلب العلم فريضـــة لاتقتصر على مراحل الطفولـــــة والمراهقة بل من المهـــد الا ىاللحد والعلوم فى نظر الاسلام نوعان :

أ ــ علوم هى فرض عـــين :

كتعلم أمور العقيـــدة والعبادة عـــلى القدر الذى تصح فيه وتعلم حسن المعاملة ، وحدود المنكرات ، وتعلـــم العلوم المسلكية لكل فرد كتعلـــم شؤون التجارة واحكامها للتاجر ، والزراعة للزراع . . (٤) الخ .

ب ــ علـــوم فرض كفـــاية :

بقية العلوم الاخرى ، كالطـــب والهندسة والكيمياء والكهرباء والذرة والعلوم الصناعية والحربيـــــة وهذا يدل على ضرورة التخصص فاذا لم يتخصص احد من المسلمين أثموا جميعا ، مما يقود الى توفير المختصين فى كل المجالات الحيوية .

واذا كان طلب العام فريضـــــة فتارك العلم تارك لفريضة فرضهـــا الله ومن البديهى ان تارك الفريضة له عقوبته عند الله سبحانه ، امـــا العقوبة الدنيوية لتارك التعليم فقـــد ذكرها الرسول الكريم صلى اللـــــه عليه وسلم عندما سمع بقبيلتـــين متجاورتين احداهما عالمة والاخـــرى جاهلة لاتقوم الاولى بواجبها مـــن تعليم العام ، ولاتقوم الثانية بواجبها من تعلـــم العلم اذ صعد المنبـــر وخطب الناس وقال :

(ما بال أقوام لايعلمون جيرانهم ، ولا يفقهونهم ، وما بالأقوام لايتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ، واللـــه ليعلمن قوم جيرانهم ، وليتعلمن قوم من جيرانهم أولاعاجلنهم العقوبة (٥) فقولـــه صلى الله عليـــه وسلـــم

---

(١) رواه الترمذى وقـــال حديث حسن صحيح

(٢) رواه ابو داود والترمذى .

(٣) رواه البيهقى عـــن أنس والطبرانى .

(٤) وضابط هذا أنه يلزم علـــى المسلم ان يتعلم ما لايسعه جهلـــه فى امور دينـــه .

(٥) رواه الطبرانى .

أولأعاجلنهم العقوبة)يشير الى العقوبة الدنيوية ، أما ما هى هذه العقوبة ؟ مانوعهـا ؟ وما مقدارها ؟ فـان الرسول صلى الله عليه وسـلم لم يبينهـا فهى خاضعة اذا لمبـدأ التعزير يقدرها الحاكم بما يصـلح احوال الناس .

واننا لنلحظ ان الاسلام اول نظام فى العالم يفرض العلم فرضا ويعاقب من لايتعلم ، ان هذا النظام لم يصل اليه ابنـاء القرن العشرين مع مـا يدعون من مدنية ومن شعارات براقة زائفـة .

كما ان التعليم فى الاسلام مجانى فقد ارسل الرسول صلى الله عليـه وسلم المعلمين الى القبائل يبـذلون العلم مجانا وكذلك سـار على هذا الهـدى علماء الاسلام الاجلاء وائمة المسلمين فهـذا الامام مالك رضـى الله عنه يجلس فى المسجد ليعلـم الناس دون ان يتقاضى على ذلـك أى أجر وهذا سعيد بن المسيب وأبو حنيفة والاوزاعـى وغـيرهم ... وغيرهم لم يعهد عن أحد منهم أنـه اخذ اجرا ، وان افتى العلماء بجواز اخـذ الاجرة مقابل التفرغ للقيـام بأعبـاء التعليم .

ولم يكتف الاسلام بكل ذلـك بل بنى اصوله على العلم الصحيـح والتفكير السليم فالعقيـدة تقـوم النظـر لا على التقليد او الهـوى فالطريق الموصل الى الايمان بالله عز وجل هو التأمل فى ملكـوت السموات والارض والاعتبار بما فى كتاب الكون من آيات ناطقة بقدرته تعالى وعظمته : « **ان فى خلـق السموات والارض واختلاف الليـل والنهـار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتهـا وبث فيهـا من كل دابـة وتصريف الرياح والسحاب المسخـر بين السماء والارض لآيات لقـوم يعقلون (١) »** كما يأمر الاسلام بالحذر من الظنون والاوهام ويعلل ذلـك بأنهما من الاسباب التى ادت الـى تضليل الناس وافساد نفوسـهم : « وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظـن وان هم الا يخرصون (٢) » ويقول سبحانه « ان الظن لايغنى من الحق شيئا (٣) » . والقرآن يأمر بالاعتماد على العلم اليقينى لا على الاهواء والاوهام وينعى على اقوام غامروا بعقولهم فى متاهات من الظـنون والاهواء التى من شأنها ان تغطـى الحقائق بدلا من ان تكشف عنهـا : « بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم (٤) » وقال سبحانه : « وانكثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم (٥) » .

---

(١) سورة البقرة (١٦٤) .
(٢) سورة الانعام (١١٦) .
(٣) سورة يونس (٣٦) .
(٤) سورة الروم (٢٩) .
(٥) سورة الانعام (١١٩) .

والاسلام دين الحجة والبرهان فهو يأمر بألا يقبل الانسان شيئا على انه حق الا اذا أقام عليه البرهان : « وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (١) » ولايجوز الايمان بشيء الا ببرهان فاذا سئل المؤمنون عن معتقداتهم لم يتلعثموا فى الجواب كما هو شأن المقلدين الذين لاينظرون فيما يلقى اليهم نظر تمحيص : « ومن يدع مع الله الها آخر لابرهان له بهفانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون (١) » ويقول تعالى مطالبا المشركين بالبرهان مطالبة تعجيز « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (٢) » .

كما ان الاسلام عدو التقليد الاعمى فهو يشدد النكير على اناس كانوا يتمسكون بالرأى لا لانهم عقلوه ولكن لان آباءهم فعلوه « واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعلمون شيئا ولا يهتدون (٤) » وقال تعالى ايضا « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون (٥) » . والقرآن ينفر الشعوب من التقليد الاعمى للقادة : « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب (٦) » .

والقرآن لايكتفى بالنهى عن التقليد للآباء والانقياد الاعمى للقادة والزعماء بل دعى للاخذ بالاحسن « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله (٧) » .

وهكذا اضفى الاسلام الصفة الدينية على البحث عن الحقيقة العلمية سواء أكانت من نوع الخبر أو من نوع الانشاء وبديهى ان القيام بهذه المهمة يتوقف على وضع منهج للبحث ومعلوم انه بقدر ما يكون المنهج صافيا سليما تكون الغاية صحيحة سليمة .

لذلك لاغرابة اذا رأينا ان الاسلام يرفع من شأن العقلويأمرباستخدامه فى قضايا الحياة الصغرى منها والكبرى وجعل الذين يحكمون (٨)

١ ــ سورة البقرة : ١١١ .
٢ ــ سورة المؤمنون : آية ١١٧ .
٣ ــ سورة النمل : آية ٦٤ .
٤ ــ سورة المائدة : آية : ١٠٤ .
٥ ــ سورة البقرة : ١٧٠ .
٦ ــ سورة البقرة : آية : ١٦٦ .
٧ ــ سورة الزمر : آية : ١٨ .
٨ ــ والمقصود الطرق العقلية الفطرية هى التى جاء بها القرآن واتفق العقل والشرع وتلازم الرأى والسمع (الجزء الاول ص ٤٩ الفتاوى) .

عقولهم ويستنفدون طاقات تفكيرهم فى كشفحقائق الحياةواكتناه اسرارها وحدهم اهلا لان يوجه اليهم الخطاب واما اولئك الذين أوقفوا حركة العقل واوصدوا فى وجهه باب المعرفة فليس لهم من شرف الانسانية حظ ولا من كرامة البشر نصيب . واذا استعرضنا ما جاء فى القرآن الكريم وحده فى معرض الثناء على العقل او فى سياق الحث على اعماله والنهى عن اهماله وجدنا انه قد ذكر فى القرآن الكريم وحده ما يقرب من سبعين مرة ، فالشرع لم يتبين الا بالعقل والعقل لن يهتدى الابالشرع والحقائق العلمية اما ان تكون فكرية محضة واما ان تكون مستندة الى الحواس

اولا: الفكريةالمحضة

كثير من الحقائق لايتوقف اثباتها على الحواس بل يكفي فى اثباتها الفكر وحده دون حاجة حاجة الى تأييدها بمشاهدة او تجربة ، ومن هذه الحقائق ما يسمى (بالبدهيات) وهى القضايا التى اذا عرضت على العقل السليم كان مجرد عرضها كافيا فى اثباتها والتسليم بمقتضياتها فهى فى غنى عن ان يبرهن عليهامثل الواحد نصف الاثنين ، والضدان لايجتمعان والاثر لا بد له من مؤثر ، وما شابه ذلك .

وهذه الحقائق البدهية هى الاساس فى اثبات القضايا العقلية المحضة ولولا هذه الحقائق البدهية الفطرية المودعة فى كل نفس لما استطاع الانسان الوصول الى حقيقة عقلية ، اذ لابد للانسان فى طريق وصوله الى حقيقة عقلية من ان يستند الى هذه البدهيات وان يجعلها العماد الذى يرتكز عليه فى حياته العقلية .

ثانيا ــ الفكرية المستندة الى الحواس أو التجربة : هناك نوع من القضايا العلمية اليقينية مايكون الفكر فيها وسيلة فقط وهو مفتقر فى اثبابتها الى ان يستند الى الحس او التجربة ، مثل المعادن تتمدد بالحرارة ، والماء مركبمن الاوكسجين والهيدروجين ، والحديد جسم صلب،والحرير ناعم، وما شابه ذلك.

وهذهالحقائق وان كانت لها مكانة معتبرة فى الاستدلال لكنها لاتبلغ من حيث التقويم منزلة القسم الاول فى الاستدلال ذلك لان الادراك الحسى قد يعتريه الخطأ كمن هو مصاب بمرض عمى الالوان فقد يحكم على اللون الاحمر بأنه اصفر او بالعكس، ومن اسباب الخطأ الضلال ويكون بسبب التفسير الخاطىء الناجم عن الحالة النفسية للشخص فالخائف ينظر الى ظل شجرة فيحسبها شخصا يتربص به ، او يرى ثوبا معلقا فيتوهمه شبحا ينقض عليه ، والتجربة انما تبرهن عن نفسها فى الماضىوالحاضر فقط امافى المستقبل فلا تستطيع ان تثبت نفسها فيه ، لان التجربة مبنية على ان شيئا ما قد تكرر على شكل معين،ومن تكراره فقط نشأت علميته ، والتكرار انما

كان فى الماضى ويمكن التأكد منه فى الحال اما فى المستقبل حال كونه مستقبلا فلا يمكن التكرار فيه لانه لم يأت ، واذا جاء وامكن التكرار فيه اصبح ماضيا ، ومن الممكن ان تنحل القضايا التجريبية فى يوم من الايام بتجارب اخرى جديدة ، ولكن ليس فى الامكان ان ينحل دليل عقلى منطقى . قال ستيوارت ميل الفيلسوف الانكليزى وهو من اكبر علماء المذهب التجريبى : انه وان كانت بعض التجارب غير منحلة وغير منتقضه فليست كل تجربة ممكنة الانحلال والانتقاض . على ان ذلك لايكون طاعنا فى الدليل المستند الى الحس والتجربة بل ليتبين عند التقويم ما للقضايا الذهنية المحضة من قيمة كبرى فى الاستدلال لاتصل الى قوتها القضايا الاخرى ، ثم اننا من جهة اخرى نجد ان العقل وحده هو الذى يفسر التجربة والمحسوس ويستخرج منهما المعنى الذهنى ،وهما ليسا بشىء بدون العقل فالاحساس بدونه امى والتجربة بدونه خرساء .

واستخراج المعنى وتحقيقه انما يكون بفضل العقل وحده ، فالحقائق الحسية متوقفة توقفا تاما على الحقائق العقلية ومن الخطأ الفادح ان نجعل القيمة الكبرى فى الاستدلال للحقائق الحسية والتجريبية وان نهمل القضايا الذهنية العقلية بعد كل ذلك نستطيع ان نتبين الاسس التى يقوم عليها المنهج الصحيح :

لقد رسم القرآن الكريم منهجا لاكتساب الحقائق العلمية وهذا المنهج لا يمكن الاستغناء عنه لكل باحث عن الحقيقة العلمية ويمكن تلخيص هذا المنهج بما يلى :

أولا — ان أية قضية من القضايا لايمكن اثباتها بمجرد دعواها بل لابد ان تكون مستندة الى دليل يدعمها وبمقدار صحة الدليل وقطعيته تكتسب القضية الصحة والثبوت وهذا ما صرح به القرآن الكريم فى مواضع مختلفة منها قوله تعالى :« وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين (١) » . ولكل قضية من القضايا ولكل نوع من الدعاوى نوع من الادلة العلمية يناسبها ، فالدعاوى المتعلقة بطبائع الاشياء المادية يستدل عليها بالبراهين التجريبية المحسوسة والدعاوى المتعلقة بالمجردات لايقبل معها الا براهينها المسلمة والدعاوى المتعلقة بحقوق الافراد والجماعات لايقبل فيها الا الشهادات المثبتة لها وهكذا لاتصبح القضية حقيقة علمية الا بوجود الدليل المناسب لها .

ثانيا — ان الواجب على الباحث ان يفرق اثناء عملية الاستدلال بين الدليل اليقينى وبين الدليل الظنى ومادون الظنى ، وبين النظرية فى

---

(١) من سورة البقرة آية (١١١) .

العلوم ، والحقيقة العلمية فالدليل اليقينى وحده الذى يصح الاعتماد عليه فى الاصول من العقائد (١) والاحكام وهذا ما جاء به القرآن الكريم فى كثير من الآيات منها: « وما يتبع اكثرهم الاظنا ان الظن لايغنى من الحق شيئا (٢) » . أما العقائد عامة والاحكام العملية فيكفى الاستدلال لها بالادلة الظنية كأخبار الآحاد والقياس .

ثالثا ـ لابد للباحث من طرح التقليد الاعمى وهو أكبر خطر على الوصول الى الحقائق واكتشافها بل هو المعول الهدام لصرح العلم الصحيح ولقد كان بين الاسلام وبين التقاليد العمياء صراع عنيف دام فترة من الزمن حتى استطاع ان يقتلع جذوره من نفوس الجاهلين ويفتح عقولهم لتستضىء بنور الحق ومن ذلك قوله تعالى : « واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لايعقلون شيئا ولا يهتدون (٣) » .

رابعا ـ عدم التناقض بين الحقائق اذ لو جاز التناقض بين الحقائق لانهار صرح العلم ، ولما كان من فائدة لوجود العقل ، وهذا ما جاء موضحا فى الآية الكريمة « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت (٤) » اذ التناقض اشد من التفاوت فاذا انتفى التفاوت كان التناقض منفيا من باب اولى .

خامسا ـ الاعتماد على الحواس فلقد عرفنا ان من القضايا مايمكن اثباته بطريق الذهن وحده ، وان قسما آخر منها يفتقر فى اثباته الى الاعتماد على الحواس ومن هذا القسم العلوم المادية ولولا اعتمادها على الحواس ومن وراء الحواس العقل لما اتسعت هذه العلوم ، ولما تمكن الانسان من كشف شىء جديد والقرآن يطلب من اولى النهى ان يعملوا حواسهم وعقولهم فى مظاهر الحياة والا يهملوها وسيسألون يوم القيامة عن هذا الاهمال ، قال تعالى: « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل » (٥) ومما تقدم تعلم انه لابد للباحث من ان يأخذ بهذه القواعد التى رسمها القرآن الكريم ، وجعلها منهاجا للوصول الى الحقائق بل لابد من التزامها حتى يكون فى حرز عن الخطأ ومجافاة الصواب ، وسواء اكانت هذه الحقائق دينية أم دنيوية ،

---

١ ـ كالايمان بالله والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والايمان بالقدر خيره وشره فانها جميعا فى الواقع ثابتة بأدلة قطعية .

٢ ـ سورة يونس : الآية : ٣٦ .

٣ ـ سورة البقرة : الآية : ١٧٠ .

٤ ـ سورة الملك : الآية : ٣ .

٥ ـ سورة الاعراف : الآية : ١٧٨ .

ومن هنا حكم علماء الاسلام على ان الايمان المعتبر هو الايمان القائم على الدليل والبرهان وان ايمان المقلد غير صحيح اذا كان عنده قدرة على التفكير والاستدلال ، اما اذا لم يكن له قدرة على الاستدلال والنظر فيقبل ايمانه عن طريق التقليد لعجزه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها .

طريقة الوصول الى الاحكام الشرعية : وهكذا فان الايمان اذا لم يكن قائما على البرهان العقلى لايكون صحيحا (١) ما دام صاحبه قادرا على التفكير والنظر .

ومتى استقر الايمانبالله ،والايمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم عن طريق الاستدلال كان المؤمن ملزما بأخذ الحلول التى جاءت فى الاسلام للمشاكل،والاحكام للحوادث، اذ ان هذه فروع عن الاصل وهو الايمان والفرع يبنى على الاصل ، والجزئيات تبع الكليات ، ومعلوم ان مصدر الاحكام الاسلامية القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، ولا بد من الرجوع لهذين المصدرين لاخذ الاحكام منهما من منهج واضح يسهل على الباحث طريق الوصول الى حكم الله فى المسائل التى يتعرض لها ويتجافى به عن الخطأ ويتباعد به عن الخبط والضلال ولذلك وضع علماء المسلمين منهجا دقيقا لاستنباط واضح المعالم بين الخطأ فما على المسلم الا ان يدرس هذا المنهجدراسة واعية ، ثم يطبق خطواته فاذا به يصل الى مقصوده دون خطأ أو التواء أو غموض .

خطوتا المنهج : وهذا المنهج بعد تطبيق الركائز الخمس التى اشار اليها القرآن الكريم ونوهت عنها يتألف من خطوتين ، فلا بد للباحث ان يمر فى مرحلتين هما : مرحلة اثبات النص اولا ، ثم مرحلة فهم النص ثانيا .

المرحلة الاولى :

مرحلة اثبات النص : — النصوص التى يعتمد عليها الاسلام هى كما مر كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما كتاب الله فان نصوصه ثابتة وقد نقله الينا بالتواتر علماء المسلمين وتناقلته الاجيال على كيفية لايمكن ان يتطرق اليها ادنى شك اذ حفظه الله من الايدى العابثة خلال القرون فلا حاجةفيه الى المرحلةالاولى مرحلة اثبات النص ، واما السنة فثبوتها يتوقف على امرين هما : صحة المتن ، وصحة السند .

والمتن هو نص الحديث فاذا اردنا ان نحكم على متن الحديث انه صحيح فلا بد ان يكون خاليا من الامور

---

(١) المراد بالبرهان العقلى الفطرى الذى جاء به القرآن الكريم واتفق العقل والشرع وتلازم الرأى والسمع كما ذكر .

التالية : ركاكة اللفظ والمعنى ، مخالفته للقرآن الكريم ، مخالفته للمنطق السليم ، مخالفته لما ثبت فى التاريخ الصحيح ، والحكم فى ذلك لاهل الاختصاص .

اما صحة السند : السند كما نعلم هو رفع الحديث الى رجاله الذين يرويه بعضهم عن الآخر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكى نحكم على حديث انه صحيح لابد ان ننظر فى كل فرد من افراده فاذا كان كل راو فيه عدلا ضابطا لما حفظ ثم كان سند الحديث متصلا لا انقطاع فيه سالما من الشذوذوالعلة القادحة حكمنا على هذا السند بالصحة والقبول . وان خلا من شىء من ذلك حكمنا عليه بالضعف .

ولقد وضع العلماء المسلمون علما مستقلا دقيقا يتعرف بوساطته الى الحديث الصحيح من غير الصحيح ويسمى هذا العلم بمصطلح الحديث. وتفرع عنه فن آخر هو علم الجرح والتعديل وتفرع عن علم الجرح والتعديل علم تراجم الرجال ، حيث تلتقى هذه العلوم على وضع ميزان بغاية الدقة ، وهكذا احتوت المكتبة الاسلامية التى فى كل بلد منها اثر وفى كل مكتبة من مكتبات العالم منها خبر احتوت على مؤلفات كبرى تستعرض معجم الرجال الذين وردت اسماؤهم فى اى سند من الاسانيد وتستطيع ان تقف على ترجمة من تشاء منهم جرحا اوتعديلا و ان تعرف الزمن الذى عاش فيه لتعلم من ذلك معاصريه .

هذا عرض سريع فيما يتعلق بتحقيق انقل والخبر ولكن على من يرغب الاستزادة ان يعكف علىالفنون التى نوهت عنها ليجد الجهد الغريب وليجد الكثير من علماء الحديث من يقطع مئات الاميال فى زمن لاتوجد فيه الطائرة ولا السيارة متعرضا للمشاق والمهالك لا لشىء الا ليلقى عالما يروى حديثا عن رسول اللهصلى الله عليه وسلم لا ليعلمه ويحفظه فحسب ولكن يريد ان يتلقاه منه ايضا ويستأذنه بروايته عنه لكى تزداد طرق هذا الحديث عنده ، انه يسهل علينا جدا ان نقرأ اسنادا من هذه الاسانيد فى كتاب من كتب الصحاح دون ان نتكلف اى جهد او مشقة ، ولكن المهم ان نتبين صورة ذلك الجهد العجيب الذى بذل وتلك التضحيات

التى قدمت فى سبيل هذين السطرين فقط من الاسناد الذى لانلتفت له اليوم بل قد يضيق البعض منا من قراءته.

أما المرحلة الثانية فى المنهج فهى النص وهى تأتى بعد مرحلة اثبات النص فبعد ان يتأكد الباحث من ثبوت النص وصحته يعود الى النص فيبذل اقصى ما عنده من جهد لفهمه واستنباط الحكم منه ، وفهم النص يتوقف على امور منها : أ ــ معرفة اللغة العربية مفرداتها وتراكيبها ومعرفة النحووالبيانفمن لايكونضليعا **باللغة العربيةفىميادينها المختلفة ليس أهلا لان يستنبط الاحكام ومنلايتطابق فهمه مع اصول اللغة العربية فانما يكون فهمه وسوسة من وساوس الشيطان .**

ب ــ معرفة اسباب النزول واسباب الورود فان معرفة سبب النزول وسبب الورودتلقى ضوءا على النص ، وتكشف للباحث السبيل الى المعنى الحقيقى .

جـ ــ معرفة ما تقدم من النصوص وما تأخر فان من المعلوم ان التشريع الاسلامى جاء متدرجا كما فى تحريم الخمر مثلا فقد يأتى نص منالنصوص فينسخ حكم نص سابق ، ولذلك يتعين على فاهم النص معرفةالسابق من اللاحق من النصوص .

د ــ معرفة طرائق الاستنباط ولقد وضع العلماء المسلمون علما مستقلا دقيقا يعين على طرائق فهم النص ويعرف هذا العلم « بعلم اصول الفقه » وهو العلم بالقواعد التى يتوصل بها الى استنباط الاحكام الشرعية من ادلتها التفصيلية وهكذا وضع علماء المسلمين قواعد محصوها تمحيصا وبنوها على اصول اجمعوا عليها اجماعا ومناهج التزموها فى اجتهادهم ومعايير دقيقة عميقة كانت متحكمة فى اذهانهم وابحاثهم حتى اذا ما رجعنا الى فقه كل واحد منهم تيقنا انهم لم يكتبوا ارضاء لنزعة شخصية ، او انبعاثا عن هوى متبع ، او تحقيقا لمطلب دنيوى ، او مجاراة لتسلط عابث ، ويتخذ من فقههم ومنهجهم فيه نموذجا يحتذى به .

ولقد كان علم اصول الفقه كسابقه علم مصطلح الحديث من العلوم المستحدثة فلقد كان العلماء فى الصدر الاول فى غنية عنه لانهم كانوا على تمام العلم باللغة العربية يعرفون معانى ألفاظها وما تقضى به اساليبها

وصحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقربهم منه ومعرفتهم بالاسباب التى من اجلها كانت الشرائع اكسبتهم معرفة بسر التشريع ذلك اضافة الى ما امتازوا به من صفاء الخاطر وقوة الذكاء وحدة الذهن فلم يكونوا بحاجة الى شيء وراء ذلك فى استنباط الاحكام من مصادرها ، فلما جاءت بعدهم امم اختلطت بغيرها وانقلبت العلوم كلها صناعة **احتاج العلماء الى وضع قواعد هذا العلم لاستفادة الاحكام من الادلة . وليتقيد الفقيه بها فى استنباطه حتى لايخرج عن الجادة دعما للحق وحدا للاهواء . وهكذا لم يعرف التاريخ حتى الان امة من الامم جعلت لبحثها العلمى منهجا واضحا صحيحا لا يأتيه الضلال من بين يديه ولا من خلفه غير الامة المسلمة .**

ومن هذه الخلاصة السريعة جدا عن المنهج العلمى للبحث عند المسلمين اخذتها من واقع ابحاثهم تبين لنا مدى ما يعتمد عليه العلماء فى ابحاثهم من المنهجية والموضوعية المجردة فالعلماء المسلمون يبحثون اول ما يبحثون عن ثبوت النص كما رأينا فان ثبت عندهم صحة النص بتلك الطريقة الدقيقة الواضحة فلا بد بعد ذلك من فهمه فهما دقيقا ضمن شروط قاسية ودقيقة .

وليس لكل من هب ودب ، ولا لانصاف المتعلمين وارباعهم واصفارهم وادعيائهم ، ولا لمن لم تتوفر العدالة فيهم من ملاحدة هدامين ، أو فسقة متحللين ، ولا من استعمرت الثقافات الاجنبية عقولهم ، ولامن يتقربون للزعماء والرؤساء بالتحليل ، او يتملقون العامة بالتحريم ان يتصدر للفتيا والاستنباط واذا كان الطب والهندسة مباحا للجميع مثلا ولكن لايجوز لدجال ان يتعرض لعلاج المرضى ولالمن لم يدرس الهندسة ان يبنى سدا او يصمم حصنا فان الفهم والاستنباط مباح بهذا المعنى .

وهكذا اعطى المنهج المسلمين حقائق علمية ثابتة لا نظريات متبدلة لذا وجدنا ان سلوك هذا المنهج السليم يضمن للمسلمين الوصول الى الحقائق العلمية والشرعية وبالتالى يضمن لهم وحدة فكرية ويقضى على هذا التفرق الذى يعتبر من اهم اسبابه عدم سلوك هذا المنهج العلمى الصحيح .

التخطيط لمباني ومنشآت الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة

طريقته وأهدافه ومستقبله

للمهندس محمد وهبي الحريري

دبلوم دولة فى الهندسة المعمارية من باريس
كبير مهندسى مصلحة الاشغال العامة ، المتفرغ لمبانى الجامعة الاسلامية .

فى عام ١٣٨٥ هجرية ،اعلنت الجامعةالاسلامية بالمدينة المنورة عن رغبتها فى انشاء مبان جديدة تنحصر وظائفهافى الامور التالية :

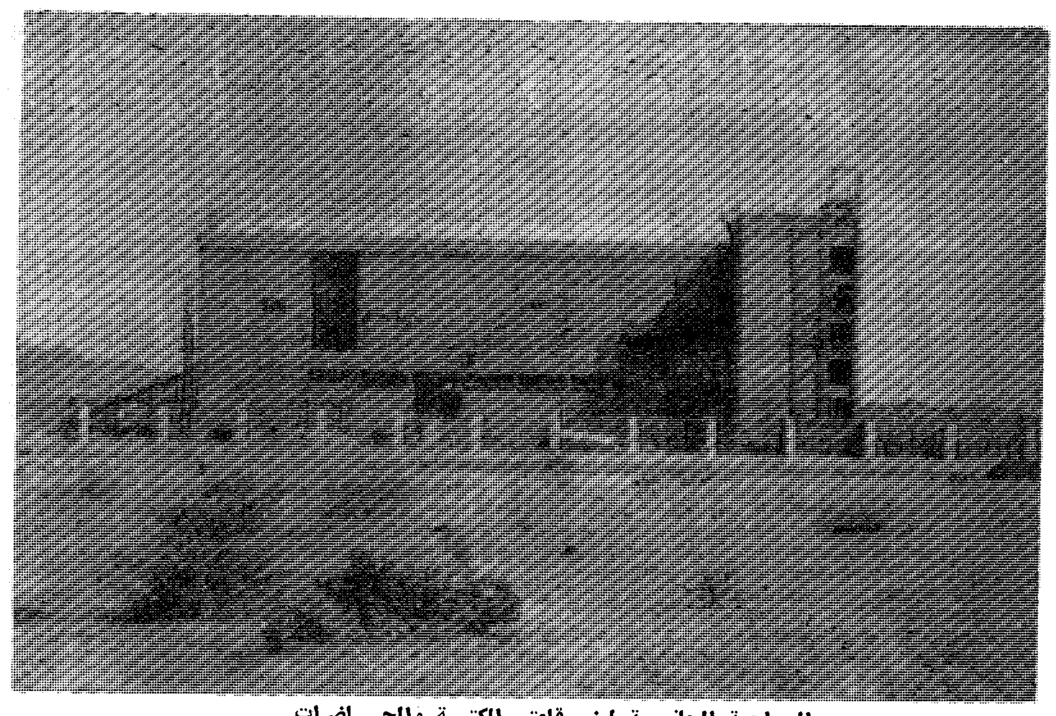
— مبانى للادارة العامة والاداراة المالية وادارة شؤون الطلاب .
— فصول وادارة كليتى الشريعة واصول الدين .
— مكتبة وقاعة للمحاضرات .

وكنت من بين من تقدموا لوضع الدراسات المطلوبة لهذه المبانى .

ولم تمض سوى مدة قصيرة حتى أصبحت مسؤولا عن وضع هذه الدراسات ،واخذت اتصلبالمسؤولين فى الجامعة كى اطلع على وجهات النظر بالنسبة لبرنامج هذه المبانى ووظائفها وملحقاتها ، وبالنسبة للمراحل التنفيذية التى ستتم بموجبها وكنت ولا ازال المس عند المسؤولين فى الجامعة الاسلامية ايمانا صادقا بالرسالة الاسلامية التى كرسوا انفسهم وجهودهم لها ، كما كنت ولا ازال اجد لديهم تفهما كاملا لكل الامور والقضايا الفنية والمعمارية .

وبعد مدة تم وضع الدراسات المطلوبة — ورصدت لها المبالغ والمخصصات اللازمة لاقامتها ، ثم رست عمليات التنفيذ على (مؤسسة بخيت) فى المدينة المنورة التي سبق لها تنفيذ بعض المبانى فى الجامعة .

وحتى ذلك التاريخ كان الموقع المخصص لهذه المبانى منحصرا بين السور الشرقى ، وبين المبانى القائمة فى مسافة لايزيد طولها على مئة متر تقريبا ، وهى مسافة ضيقة جدا . ثم



الـواجهة الجانبيـة لمبنى قاعتي المكتبـة والمحـاضرات

قامت وزارة الداخلية مشكورة بمنح الجامعة الاسلامية مساحات جديدة من الجهة الغربية لهذا الموقع تمتـد حتى الطريق الاسفلتي الجديد الواصل بين آبار علي والمطار .

وعلى هذا الاساس ، اصبحت الدراسات الموضوعة للموقع المذكور غير صالحة للموقع الجديد الواسع ، وفي هذه الاثناء تقدمت مصلحـة الاشغال العامة بشخص سعـادة وكيلها الشيخ عبـد العزيز أبوبطين وكلفتني رسميا بالدراسات وبالاعمال المترتبة على الموقع الجديد . كمـا تقدمت الجامعة ببرنامج مفصل للمباني والمنشآت الواجب احداثها في السنين العشر القادمة .

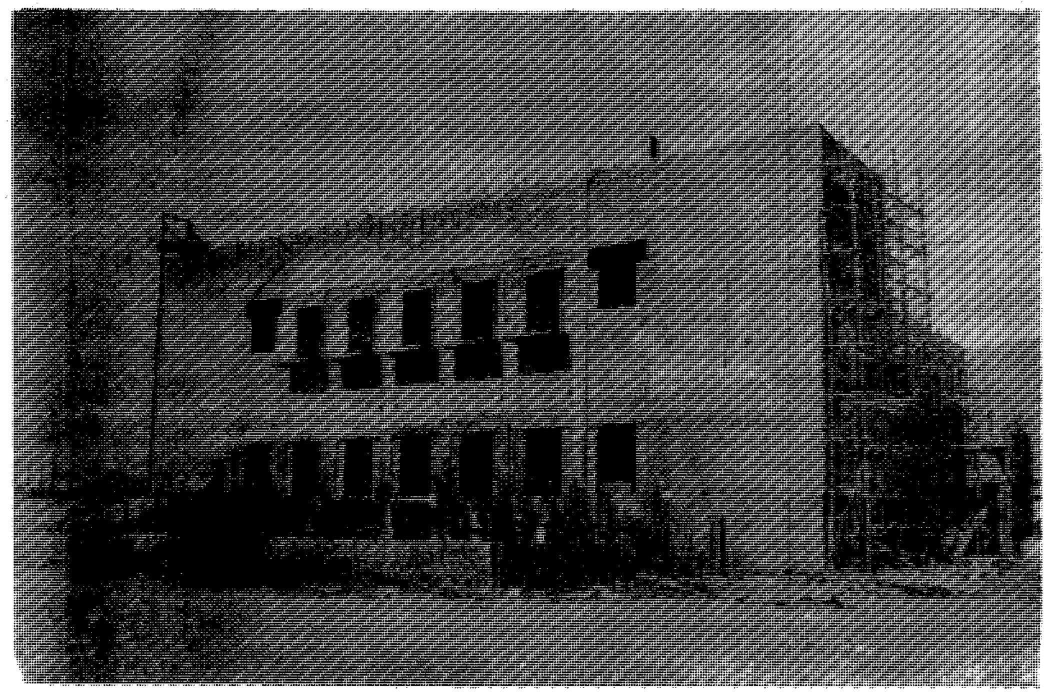
المخطط الجديد للمباني :

وتم وضع مخطط عام يشمل على المباني والمنشآت التالية :

١ ــ مباني الادارة والمكتبـة والمحاضرات والمسجد والكليـات والمعاهد .

٢ ــ مباني مهاجع النوم وهـي مخصصة لاربعة آلاف طالب ، وبالقرب منها يوجد مطعم يضم اربع قاعـات تتسع لالفي طالب مرة واحدة .

٣ ــ ملاعب مختلفة : كرة قدم وكرة مضرب ومسبح وملاعب اخرى مغطاة ومكشوفة .



الواجهة الامامية لمبنى قاعتى المكتبة والمحاضرات ، قبل انجاز الاعمدة والاقواس عند المدخل

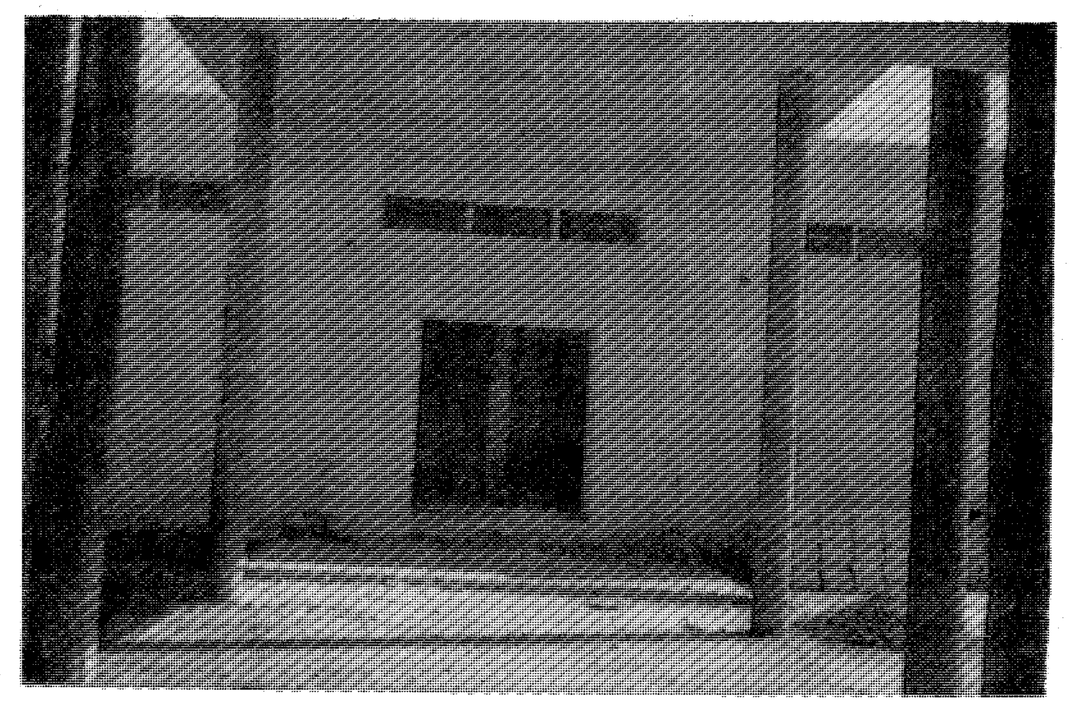
٤ ــ مستشفى يتسع لمئة سرير ، ومبانى سكنية لبعض الموظفين والاطباء .

وقد روعى فى هذا التخطيط ان يكون الطريق الرئيسى بين الاقسام المذكورة مارا من الشرق الى الغرب ويبلغ عرضه ٣٢ مترا مع الارصفة ، وطوله ١٤٠٠ متر تقريبا . وبوشر فى تنفيذ المرحلة من هذا المخطط ، باشراف مصلحة الاشغال العامة .

الاقليم والجو ودرجات الحرارة :

ان جو المدينة المنورة بصورة عامة هو جاف ، والشمس ساطعة فى كل فصول السنة ، واذا كانت درجات الحرارة مرتفعة فى الصيف فتبلغ احيانا ٤٨ درجة مئوية فى بعض ايام شهرى تموز وآب ، الا انها تنخفض فى شهور كانون اول وكانون الثانى وشباط فتبلغ حتى ٥ ــ ٦ درجات مئوية ، وان هذا الانخفاض فى درجات الحرارة يقع بعد هطول الامطار ، وهبوب الرياح الباردة ، ولكنه لايستمر الا اياما معدودة ثم لاتلبث الغيوم ان تنحسر من السماء وتنقشع عن سماء زرقاء أو خضراء صافية .

أما ايام السنة بصورة عامة فجوها لطيف ، والريح تهب باستمرارفتلطف الحرارة ، والشمس اذا كانت شديدة



المظلة المتصلة بين الفصول الدراسية وأماكن دورات المياه والطهارة

لكن الظل لطيف ومقبول جدا . وهنا تظهر عوامل وامكانيات كثيرة تتعلق بالاماكن المغطاة والمظللة .

مواصفات المبانى وتوجيهها :

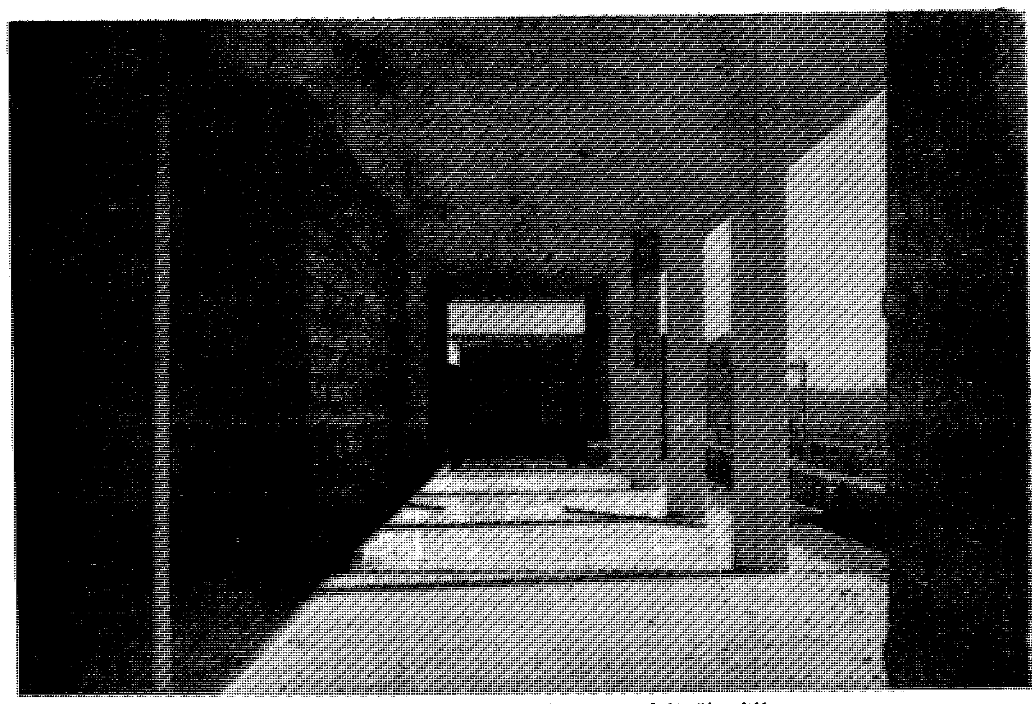
كما يظهر للعيان ضرورة توفر اماكن كثيرة يتمكن الطلاب من الانتقال فى ظلالها طيلة ايام الدراسة . أما المدة المخصصة للدراسة فانها تبتدىء بصورة عامة فى مطلع الخريف ، وتنتهى مع بداية الصيف .

واستنادا لهذه المبادىء يمكن تحديد اشكال المعالم اللازمة لتوجيه مبانى الادارة ، ومبانى الفصول الدراسية . وربط هذه المبانى بمظلات واسعة تتسع مساحاتها لعدد الطلاب المستفيدين منها .

وجعلت نوافذ مبانى الادارة منفتحة نحو الشمال والجنوب ، كما جعلت نوافذ مبانى الفصول الدراسية متجهة نحو الشرق والغرب وغطيت باجزاء معمارية تسمى (عاكسات الشمس) تحول دون مرور الشمس الى داخل الفصول ، ولكنها تسمح للهواءالغربى والشرقى ان يمر من بينها .

مواصفات مواد البناء :

ان المتجول فى المدينة المنورة بين



المظـــلة الرئيسية الواقعـة بين الفصول الدراســية

مبانيها القديمة والحديثة ، وبــين سهولها وتلالها ، وهى تـــلال كثيرة تحيط بها من كل الجهات . تقع عيناه من خلال نور الشمس الصافى الذى لاتعلق بهوائه ذرات من الرطوبة أو الغبار ، على نوعين اثنين من الحجارة والصخور :

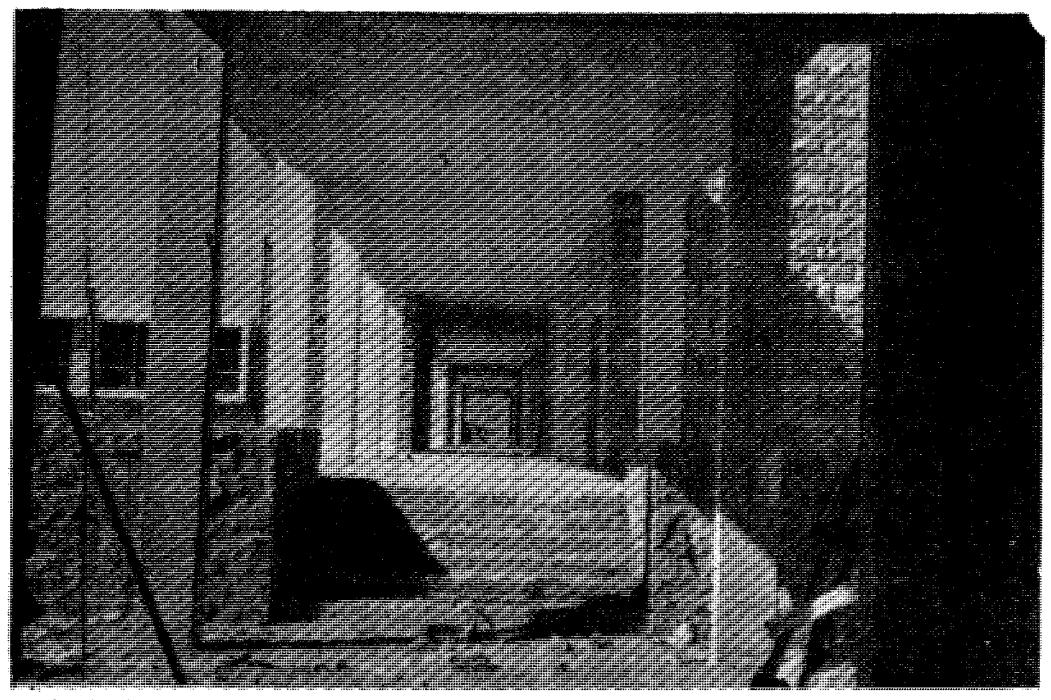
النوع الاول : وهى صخور بركانية سوداء اللون ، يصعب قطعها والبناء بهـــا .

النوع الثانى : وهى صخور بركانية حمراء اللون من الممكن الاستفادة منها فى البناء والعمارة والتزيين .

وقد سبق للانسان القديم ان قام بقطع وتهذيب الحجارة السوداء ولا زالت آثارها باقية حتى الان فى مختلف المبانى ، وبصورة خاصة فى المبانى من العهد العثمانى .

كما تضمنت اعمال توسيع الحرم النبوى الشريف فى المدينـــــة المنورة الاستفادة مـــــن الحجارة السوداء والحمراء فى الاقسام السفلية مـــــن الجدران الخارجية .

وعلى كل حال فان اقامة المبانى بالحجارة الحمراء هى ممكنة وشيقة، اذ تنسجم الوانها مع الوان التلال



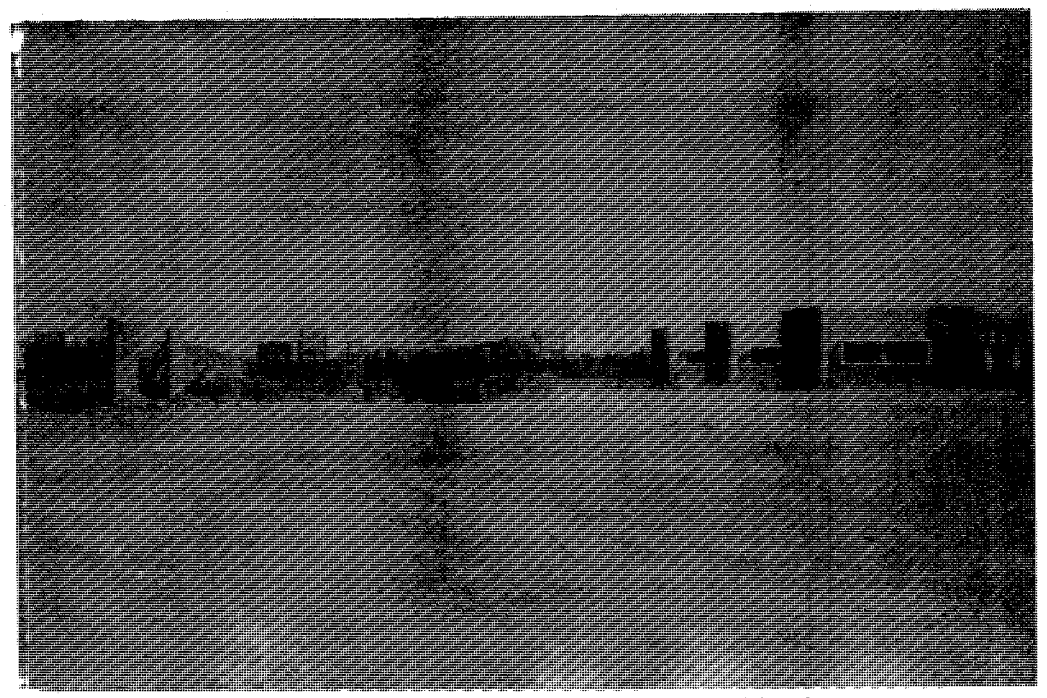
المظلة الرئيسية الواقعة بين الفصول الدراسية والمظلة الكبيرة المتصلة بين دورات المياه وادارة الفصول

والرمال التى تحيط بالمدينة المنورة . وتم تخصيص اقسام كبيرة من بعض الجدران لبنائها بالحجارة الحمراء ، كما تم تخصيص اقسام اخرى من الجدران لتشييدها بالطوب الخرسانى بعد طلائها وتغطيتها بطبقة من (التلييس) والالوان الكاشفة الزاهية.

المبانى ومواصفاتها :

واذا كانت هذه المناسبة لاتتسع الى وصف المبانى بصورة كاملة والى ذكر اقسامها واجزائها ، فانه من المفيد ان نأتى على ذكر بعض أوصافها ووظائفها :

فاذا كان المدخل الرئيسى الشرقى يقع فى الجهة اليمنى من المصور ،فان مبانى الادارات نراها واقعة على الجهة الجنوبية من هذا المدخل ، كما نجد مبنى قاعتى المكتبة والمحاضرات على الجهة الشمالية منه . ونمتد مقابل مبنى قاعتى المكتبة والمحاضرات فسحة كبيرة جدا مستطيلة الشكل يقع ضلعها الشرقى بشكل متواز مع مبانى الادارات ، وسوف ينشأ فى نهاية هذه الفسحةاىفى الجهة المقابلة تماما لمبنى قاعتى المكتبة والمحاضرات مسجد كبير يتسع لالفى شخص .

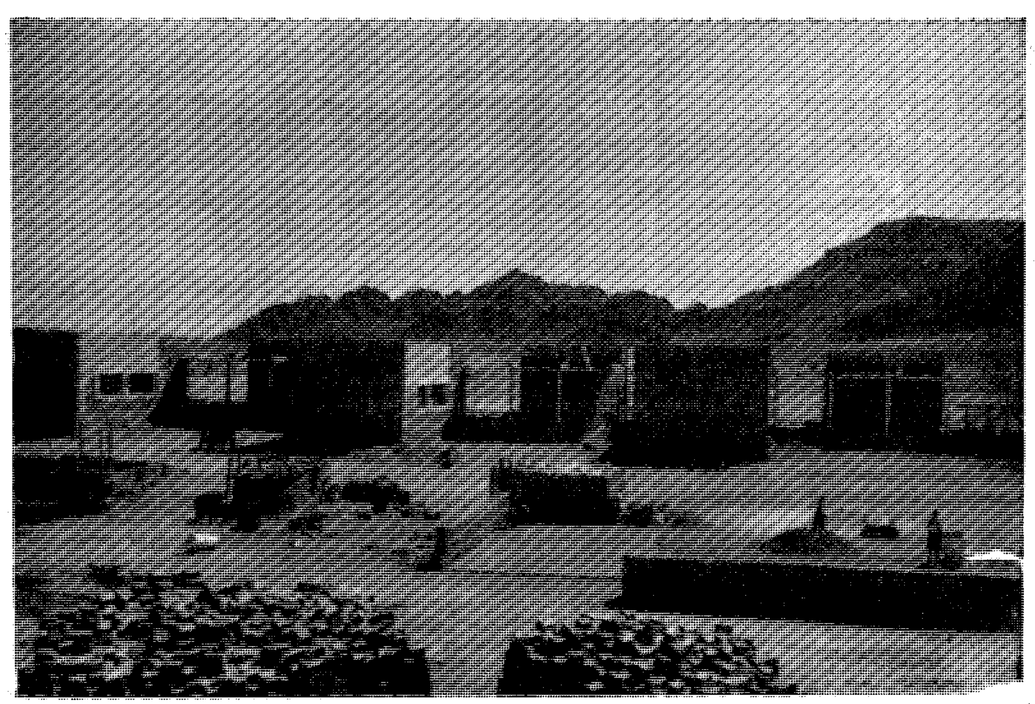


منظـر للفصول الدراسية التابعة لكليتي الشريعة وأصـول الدين

والى الجهة الغربية مـن مبنى قاعتى المكتبة والمحاضرات سيقـام كل منمبنى القسمالاعدادى ، والقسم الثانوى . ويقابل هذه المبانى الـى الجهة الجنوبية كل من المبانـى المخصصة للوظائف التالية : المطبعة والمجلة ، وقسم التخصص ، وقسم الدعوة والبحوثاتالاسلامية ، ومبانى كليتى الشريعة واصول الدين التى تم انشاؤها فىالوقت الحاضر، وسيجرى الاستفادة منها فى مطلع العام الدراسى القادم ، وهناك متسع كبير لاقامـة المبانى الاخرى فى المستقبل .

أما مبانى المهاجع المخصصـة للطلاب فانها تمتد فى الجهة الشمالية وتتألف من ثمانية ابنية ضخمة يتسع كل منها لخمسمئة طالب . وسوف ينشأ فى منتصفها مطعم كبير تتسـع قاعاته الاربعة لالفى طالب . وسوف تكون المطابخ والبرادات والملحقات فى منتصف مبنى المطعم ، وتبلغ قدرة هذه المطابخ حدا تستطيع فيه ان تقدم الفى وجبة طعام فى الساعة الواحدة.

والى الجهة الجنوبية من مبانـى المهاجع تمتد الاماكن المخصصـة للملاعب المختلفة ،ويليها مشفى يتسع لمئة سرير ، والى جانبه المبانـى السكنية وهى على نوعين اثنين :



منظر عام للفصول الدراسية لاحدى الكليتين

الاول : وهي‌مباني سكنية انرادية:
الثاني : وهي مباني سكنية مزدوجة .

وكلها مخصص للاساتذة والاطباء وكبار الموظفين .

وزيادة في الايضاح فانه حققت الارقام التالية :

الرقم ١ : وهي مباني الادارات .

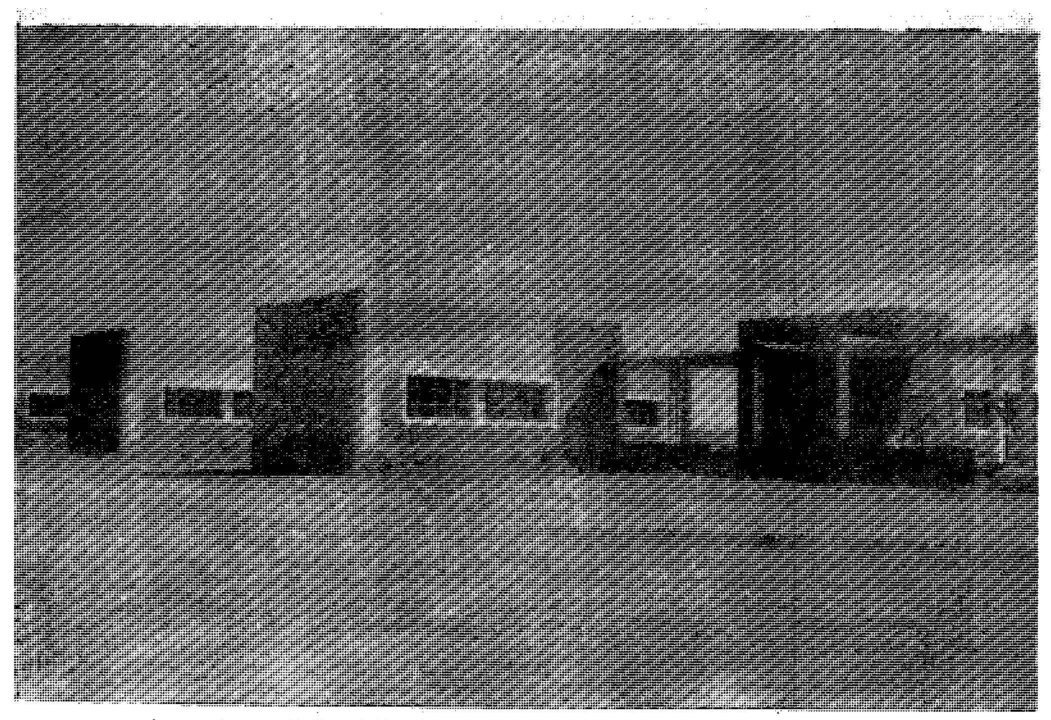
الرقم ٢ : وهي مبنى قاعتي المكتبة والمحاضرات .

الرق م٣ : وهي مباني كليتي الشريعة واصول الدين .

ويجرى في الوقت الحاضر استكمال تنفيذ هذه المباني وسوف تكون‌جاهزة للاستلام في نهاية شهر صفر من عام ١٣٨٩ هـ . وقد بلغت تكاليف هذه المباني حوالي أربعة ملايين وخمسمئة الف ريال .

وتم وضع الدراسات المعمارية الكاملة لاحد مباني المهاجع ، وسوف يشرع في تنفيذه في مطلع السنة المالية الجديدة ان شاء الله ، وتقدر المبالغ المخصصة لانجازه حوالي ستة ملايين ريال .

وهناك خطة موضوعة سيتم بموجبها تنفيذ سائر المباني بشكل منتظم ودقيق خلال مدة معينة ومحدودة .



قسم من مبانى الفصول الدراسية وكيفية اتصالها بالمظلة الرئيسية التى تربط بينهـا

نوع التصميم وطابعه :

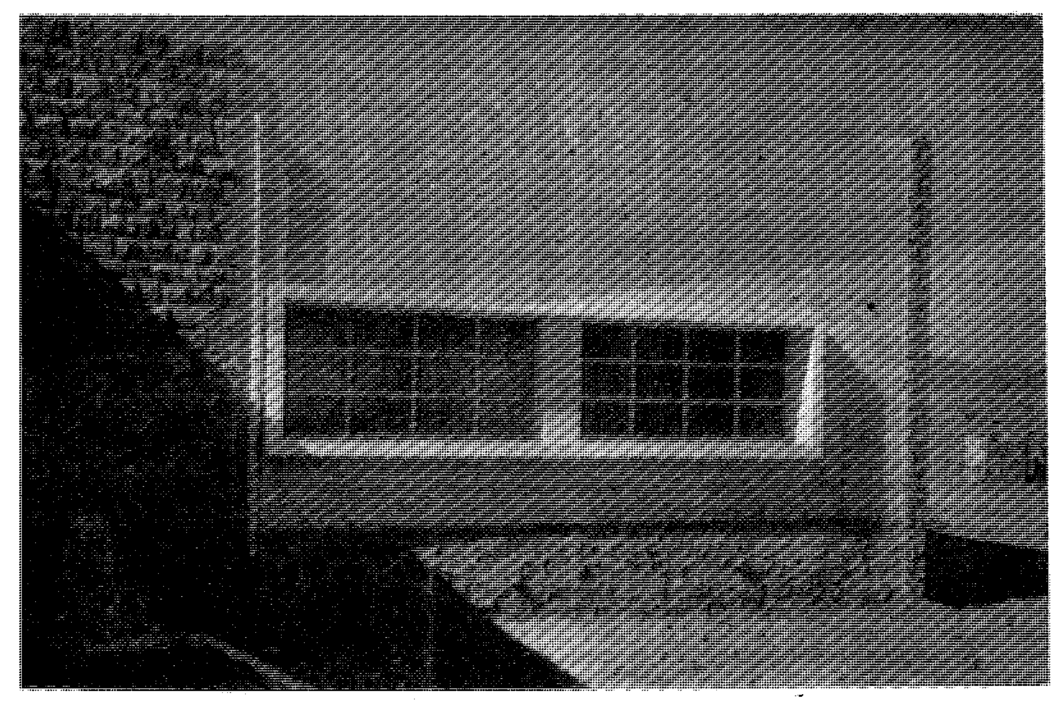
لقد روعى فى تصميم المبانى بصورة عامة ان يكون توجيهها صحيا ومفيدا، وان تكون المواد المستعملة فى اقامتها قادرة على العزل الجدارى بالمقدار المطلوب واللازم ، وغطيت بعض الفتحات بعاكسات الشمس بحيث يدخل من بينها ضوء الشمس دون اشعتها .

اما المظلات فقد اقيم كثير منها بين المبانى . بحيث يتمكن الموظفون والمراجعون والطلاب من السير تحتها والاستفادة من ظلها .

واقيمت بين المبانى بصورة عامة فسحات كى تغرس الاشجار فيها وكى يتمكن ظل هذه الاشجار من تعديل جو الغرف والمكاتب والفصول. وسوف يراعى فى انتقاء الاشجار القادرة على النمو والثبات فى جو المدينة المنورة .

وقد طبع التصميم بطابع الهندسة المعمارية الحديثة تماما ، تلك العمارة المعاصرة الناطقة بكل ما هو بسيط ومفيد وحديث .

ولما كانت الارض الطبيعية مستقيمة فى كل اطراف هذا الموقع ، رغم وجود انحدار بسيط من الجهة الغربية الى الجهة الشرقية ، فان المبانى والمظلات والفسحات جعلت فى مرتفات مختلفة



منظـر جانبي لاحدى مبـاني الفصول الدراسية قبل أن تركب عليهـا كاسرات الشمس

كى تعيش وتحيا فى اجواء ومرتفعات من شأنها ان تظهر للعين باشكال كثيرة تعلو وتهبط وتتداخل وتتباعد تتخللها الخضرة ولـون الحجـر الوردى ، أمـا الوان الواجهـات فانهـا صبغت بالالوان الزاهية الكاشفـة كى تعكس اشعة الشمس عنها .

خاتمـة :

واذا كان طلاب الجامعة الاسلامية فى المدينة المنورة ينتسبون الى بلاد واقطار كثيرة اسلامية وغير اسلامية فان التعليم الذى يتلقونه فيها واحد للجميع .

وان تصميم المبانى بصورة عامة قـد روعى فيه البساطة والجدة ، والانفتاح الى الارض والسماء ، والى كل ما هو كائن بينهما ، وامام الطالب الذى يتلقى العلم والمعرفة فى هـذه الاماكن ان يستشعر الجمال، والنظافة والنظام ، وان يحمد الله سبحانـه وتعالى الذى منحنا الهداية لعبادته والايمان بوجوده ، والذى امرنا ان نخلص له فى العبادة والايمان والعمل، وان نهيأ انفسنا الى لقاء وجهه الكريم بقلوب تطفح بالايمان ، والخير والعمل الصالح . والله ولى التوفيق والهداية واليه المصير .

عقيدة اهل السنة والاثر في المهدي المنتظر

للشيخ عبد المحسن العباد
المدرس في الجامعة

الحمد لله الذى هدانا للاسلام وماكنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ، نحمد الله على نعمه ونسأله المزيد من فضله وكرمه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات اعمالنا . من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ارسل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وقال مخاطبا له : وانك لتهدى الى صراط مستقيم . واشهد ان محمدا عبده ورسوله وخليله وخيرته من خلقه ، بعثه الله الى الناس كافة بين يدى الساعة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، أتم الله به خبرا وأمرا فأحكامه عدل واخباره صدق ، لاينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ..

أخبر أمته عن الامم الماضية بأخبار لابد فى الايمان من التصديق بها وانها وقعت وفق خبره صلى الله وسلم وبذلك كانوا شهداء على الناس كما اخبر عن امور مستقبلة لابد من التصديق بها واعتقاد انها ستقع على وفق ماجاء عنه صلى الله عليه وسلم ، وما من شىء يقرب الى الله الا وقد دل الامة عليه ورغبها فيه ، وما من شر الا حذرها منه ، فصلوات الله وسلامه الاتمان الاكملان عليه وعلى آله واصحابه الذين شرفهم الله بصحبته واكرم ابصارهم فى هذه الحياة الدنيا بالنظر الى طلعته وأتم عليهم النعمة بأن جعلهم حملة سنته وعلى من حذا حذوهم وسار على نهجهم الى يوم الدين .

أما بعد : فلما كان من بين الامور المستقبلة التى تجرى فى آخر الزمان عند نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء خروج رجل من أهل بيت النبوة من ولد الحسن بن على بن ابى طالب رضى الله عنه يوافق اسمه اسم الرسول صلى الله عليه

وسلم واسم ابيه اسم ابيه ويقال له المهدى يتولى امرة المسلمين ويصلى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم خلفه وذلك لدلالة الاحاديث الكثيرة المستفيضة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التى تلقتها الامة بالقبول واعتقدت موجبها الا من شذ رأيت ان يكون الكلام حول هذا الامر موضوع محاضرتى وذلك لامرين :

الاول : — ان الاحاديث الواردة فى المهدى لم ترد فى الصحيحين على وجه التفصيل بل جاءت مجملة . وقد وردت فى غيرهما مفسرة لما فيهما فقد يظن ظان ان ذلك يقلل من شأنها وذلك خطأ واضح فالصحيح بل والحسن فى غير الصحيحين مقبول معتمد عند اهل الحديث .

الثانى : — ان بعض الكتاب فى هذا العصر اقدم على الطعن فى الاحاديث الواردة فى المهدى بغير علم بل بجهل او بالتقليد لاحد لم يكن من اهل العناية بالحديث وقد اطلعت على تعليق لعبد الرحمن محمد عثمان على كتاب تحفة الاحوذى الذى طبع اخيرا فى مصر قال فى الجزء السادس فى باب ماجاء فى الخلفاء ، قال فى تعليقه : يرى الكثيرون من العلماء ان كل ماورد من احاديث عن المهدى انما هى موضع شك وانها لاتصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انها من وضع الشيعة ، انتهى . وقال معاقا بشأن المهدى فى باب ماجاء فى تقارب الزمن وقصر الامل فى الجزء المذكور : ويرى الكثيرون من العلماء الثقاة الاثبات ان ماورد من احاديث خاصة بالمهدى ليست الا من وضع الباطنية والشيعة واضرابهم وانها لاتصح نسبتها الى الرسول صلى الله عليهوسلم ، انتهى . بل لقد تجرأ بعضهم الى ما هو اكثر من ذلك فنجد محى الدين عبد الحميد يقول فى تعايقته على الحاوى للفتاوى للسيوطى،يقول فى آخرجزءفى العرف الوردى فى أخبار المهدى ص ١٦٦ من الجزء الثانى : — يرى بعض الباحثين ان كل ماورد عن المهدى وعن الدجال من الاسرائيليات ، انتهى . واخطر من ذلك واطم تعليق ابو ريةرئيس بعثة الازهر فى لبنان فى العام الماضى على كتاب النهاية لابن كثير بما معناه ان ماجاء من الاحاديث فى شأن المهدى ونزول عيسى بن مريم والدجال انما هو رمز لانتصار الحق على الباطل .

لهذين الامرين ولكون الواجب على كل مسلم ناصح لنفسهانلايتردد فى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يخبر به رأيت ان يكون الكلام حول هذا الامر موضوع محاضرتى كما قلت وقد جعلت عنوانها عقيدة اهل السنة والاثر فى المهدى المنتظر ..

ولكى تكون ايها المستمع على علم مقدما بعناصر المحاضرة أسوقها لك فيما يلى : —

الاول : ذكر اسماء الصحابة الذين رووا احاديث المهدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الثانى : — ذكر اسماء الائمة الذين خرجوا الاحاديث والآثار الواردة فى المهدى فى كتبهم .

الثالث : — ذكر الذين افردوا مسألة المهدى بالتأليف من العلماء .

الرابع : — ذكر الذين حكوا تواتر احاديث المهدى وحكاية كلامهم فى ذلك .

الخامس : — ذكر بعض ماورد فى الصحيحين من الاحاديث التى لها تعلق بشأن المهدى .

السادس : — ذكر بعض الاحاديث فى شأن المهدى الواردة فى غير الصحيحين مع الكلام عن اسانيد بعضها .

السابع : — ذكر بعض العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدى واعتقدوا موجبها وحكاية كلامهم فى ذلك .

الثامن : — ذكر من وقفت عليه ممن حكى عنه انكار احاديث المهدى او التردد فيها مع مناقشة كلامه باختصار .

التاسع : — ذكر بعض مايظن تعارضه مع الاحاديث الواردة فى المهدى والجواب عن ذلك .

العاشر : — كلمة ختامية .

اسماء الصحابة الذين رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احاديث المهدى :

جملة ماوقفت عليه من اسماء الصحابة الذين رووا احاديث المهدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وعشرون هم : —

١ — عثمان بن عفان رضى الله عنه .
٢ — على بن ابى طالب رضى الله عنه
٣ — طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه .
٤ — عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه .
٥ — الحسين بن على رضى الله عنه
٦ — أم سلمة رضى الله عنها .
٧ — أم حبيبة رضى الله عنها .
٨ — عبد الله بن عباس رضى الله عنه .
٩ — عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
١٠ — عبد الله بن عمر رضى الله عنه
١١ — عبد الله بن عمرو رضى الله عنه
١٢ — أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه .
١٣ — جابر بن عبد الله رضى الله عنه
١٤ — ابو هريرة رضى الله عنه .
١٥ — أنس بن مالك رضى الله عنه
١٦ — عمار بن ياسر رضى الله عنه
١٧ — عوف بن مالك رضى الله عنه
١٨ — ثوبان مولى رسول الله رضى الله عنه .
١٩ — قرة بن اياس رضى الله عنه .
٢٠ — على الهلالى رضى الله عنه .
٢١ — حذيفة بن اليمان رضى الله عنه
٢٢ — عبد الله بن الحارث بن حمزة رضى الله عنه .
٢٣ — عوف بن مالك رضى الله عنه
٢٤ — عمران بن حصين رضى الله عنه
٢٥ — ابو الطفيل رضى الله عنه .
٢٦ — جابر الصدفى رضى الله عنه

أسماء الائمة الذين خرجوا الاحاديث والآثار الواردة فى المهدى فى كتبهم :

واحاديث المهدى خرجها جماعة كثيرون من الائمة فى الصحاح والسنن والمعاجم والمسانيد وغيرها قد بلغ عدد الذين وقفت على كتبهم أو اطلعت على ذكر تخريجهم لها ثمانية وثلاثين هم :

١ ــ ابو داود فى سننه

٢ ــ الترمذى فى جامعه .

٣ ــ ابن ماجه فى سننه

٤ ــ النسائي ذكره السفاريني فى لوامع الانوار البهية والمناوي فى فيض القدير وما رأيته فى الصغرى ولعله فى الكبرى .

٥ ــ احمد فى مسنده .

٦ ــ ابن حبان فى صحيحه .

٧ ــ الحاكم فى المستدرك .

٨ ــ أبو بكربن ابي شيبة فى المصنف

٩ ــ نعيم بن حماد فى كتاب الفتن

١٠ ــ الحافظ ابو نعيم فى كتاب المهدى وفى الحلية

١١ ــ الطبرانى فى الكبير والاوسط والصغير .

١٢ ــ الدارقطنى فى الافراد

١٣ ــ البارودي فى معرفة الصحابة

١٤ ــ ابو يعلى الموصلى فى مسنده

١٥ ــ البزار فى مسنده .

١٦ ــ الحارث بن ابى اسامة فى مسنده .

١٧ ــ الخطيب فى تلخيص المتشابه وفى المتفق والمفترق

١٨ ــ ابن عساكر فى تاريخه

١٩ ــ ابن منده فى تاريخ اصبهان

٢٠ ــ ابو الحسن الحربى فى الاول من الحربيات

٢١ ــ تمام الرازى فى فوائده .

٢٢ ــ ابن جرير فى تهذيب الآثار

٢٣ ــ ابو بكر بن المقرى فى معجمه

٢٤ ــ ابو عمرو الدانى فى سننه

٢٥ ــ ابو غنم الكوفى فى كتاب الفتن

٢٦ ــ الديلمى فى مسند الفردوس

٢٧ ــ أبو بكر الاسكاف فى فوائد الاخبار

٢٨ ــ أبو الحسين بن المناوي فى كتاب الملاحم

٢٩ ــ البيهقى فى دلائل النبوة

٣٠ ــ ابو عمرو المقرى فى سننه

٣١ ــ ابن الجوزى فى تاريخه

٣٢ ــ يحى بن عبد الحميد الحمانى فى مسنده

٣٣ ــ الرويانى فى مسنده

٣٤ ــ ابن سعد فى الطبقات

٣٥ ــ ابن خزيمة

٣٦ ــ الحسن بن سفيان

٣٧ ــ عمر بن شبه

٣٨ ــ أبو عوانة

وهؤلاء الاربعة ذكر السيوطى فى العرف الوردى كونهم ممن خرج احاديث المهدى دون عزو التخريج الى كتاب معين .

ذكر لبعض الذين ألفوا كتبا فى شأن المهدى :

وكما اعتنى علماء هذه الامة بجميع الاحاديث الواردة عن نبيهم صلى الله عليه وسلم تأليفا وشرحا كان للاحاديث المتعلقة بأمر المهدى

قسطها الكبير من هذه العناية فمنهم من ادرجها ضمن المؤلفات العامة كما فى السنن والمسانيد وغيرها ومنهم من افردها بالتأليف .. كلذلك حصل منهم ـ رحمهم الله وجزاهم خيرا ـ حماية لهذا الدين وقياما بما يجب من النصح للمسلمين فمن الذين أفردوها بالتأليف :

١ ـ أبو بكر ابن خيثمة زهير بن حرب قال ابن خلدون فى مقدمة تاريخه ولقد توغل ابو بكر ابن ابى خيثمة على ما نقل السهيلى عنه فىجمعهللاحاديث الواردة فى المهدى :

٢ ـ ومنهم الحافظ ابو نعيم ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وذكره فى العرف الوردى بل قد لخص السيوطى الاحاديث التى جمعها ابو نعيم فى المهدى وجعلها ضمن كتابه العرف الوردى وزاد عليهافيهاحاديث وآثارا كثيرة جدا .

٣ ـ ومن الذين افردوا احاديث المهدى بالتأليف السيوطى فقد جمع فيه جزءا سماه العرف الوردى فى اخبار المهدى وهو مطبوع ضمن كتابه الحاوى للفتاوى فى الجزء الثانى منه قال فى اوله الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى هذا جزء جمعت فيه الاحاديث والآثار الواردة فى المهدى لخصت فيه الاربعين التى جمعها الحافظ ابو نعيم وزدت عليه ما فاته ورمزت عليه صورة (ك) . والاحاديث والآثار التي أوردها السيوطى فى شأن المهدى تزيد على المائتين تلك الاحاديث والآثار فيها الصحيح والحسن والضعيف والموضوع واذا أورد الحديث الواحد اضافه الى كل من الذين خرجوه فيقول مثلا فى الحديث الواحد اخرج ابو داوود وابن ماجة والطبراني والحاكم عن أم سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة .

٤ ـ ومنهم الحافظ عمادالدين ابن كثير قال رحمه الله فى كتابه الفتن والملاحم . وقد افردت فى ذكر المهدى جزءا على حدة ولله الحمد والمنة .

٥ ـ ومنهم الفقيه بن حجر المكى وقد سمى مؤلفه « القول المختصر فى علامات المهدي المنتظر » ذكر ذلك البرزنجى فى الاشاعة ونقل منه وكذلك السفارينى فى لوامع الانوار البهية وغيرهما .

٦ ـ ومنهم علي المتقي الهندي صاحب كنز العمال فقد ألف فى شأن المهدي رسالة ذكرها البرزنجى فى الاشاعة وذكر ذلك قبله أيضا ملا علي قاري الحنفى فى المرقاة شرح المشكاة ، وذكره شارح راموز الحديث .

٧ ـ ومن الذين الفوا فى شأن المهدي ملا علي قاري وسمي مؤلفه « المشرب الوردي فى مذهب المهدي » ذكره فى الاشاعة ونقل جملة كبيرة منه

٨ ـ ومنهم مرعي بن يوسف الحنبلي المتوفى سنة ثلاث وثلاثين بعد الالف ، وسمي مؤلفه « فوائد

الفكر فى ظهور المهدي المنتظر » ذكره السفاريني فى لوامع الانوار البهية وذكره صديق حسن فى الاذاعة وغيرها .

٩ ـ ومن الذين ألفوا فى شأن المهدي بالاضافة الى مسألتي نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وخروج المسيح الدجال القاضي محمد بن علي الشوكاني وسمى مؤلفه « التوضيح فى تواتر ماجاء فى المهدي المنتظر والدجال والمسيح » ذكر ذلك صديق حسن فى الاذاعة ونقل جملة منه والشوكاني ممن الف بشأنه ، وحكى تواتر الاحاديث الواردة فيه .

١٠ ـ ومنهم الامير محمد بن اسماعيل الصنعاني صاحب سبل السلام المتوفى سنة ١١٨٢ هـ . قال صديق حسن فى الاذاعة :

وقد جمع السيد العلامة بدر الملة المنير محمد بن اسماعيل الامير اليماني الاحاديث القاضية بخروج المهدي وانه من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، وانه يظهر فى آخر الزمان ثم قال ولم يأت تعيين زمنه الا انه يخرج قبل خروج الدجال انتهى .

« ذكر بعض الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي ونقل كلامهم فى ذلك »

١ ـ من الذين حكوا على أحاديث المهدي بأنها متواترة الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين الآبري السجزي صاحب كتاب مناقب الشافعي المتوفى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة من الهجرة قال رحمه الله فى محمد بن خالد الجندي راوي حديث لا مهدي الا عيسى بن مريم محمد بن خالد هذا غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل وقد تواترت الاخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر المهدي وانه من أهل بيته وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلا وان عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قتل الدجال وانه يؤم هذه الامة ويصلي عيسى خلفه نقل ذلك عنه ابن القيم فى كتابه المنار المنيف وسكت عليه ونقل عنه ايضا الحافظ بن حجر فى تهذيب التهذيب فى ترجمة محمد بن خالد الجندي وسكت عليه ونقل عنه ذلك وسكت عليه أيضا فى فتح الباري فى باب نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام . ونقل ذلك عنه أيضا السيوطي فى آخر جزء العرف الوردي فى أخبار المهدي وسكت عليه ونقل ذلك عنه مرعي بن يوسف فى كتابه فوائد الفكر فى ظهور المهدي المنتظر كما ذكر ذلك صديق حسن فى كتابه الاذاعة لما كان ومايكون بين يدي الساعة » .

٢ ـ ومنهم محمد البرزنجي المتوفى سنة ثلاث بعد المائة والالف فى كتابه الاشاعة لاشراط الساعة قال : الباب الثالث فى الاشراط العظام والامارات القريبة التي تعقبها الساعة وهي ايضا كثيرة فمنها المهدي

وهو اولها واعلم ان الاحاديث الواردة فيه على اختلاف رواياتها لا تكاد تنحصر ـ الى ان قال : ثم ان الذي في الروايات الكثيرة الصحيحة الشهيرة انه من ولد فاطمة ـ الى ان قال : تنبيه ـ قد علمت ان احاديث وجود المهدي وخروجه آخر الزمان وانه من عترة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة بلغت حد التواتر المعنوي فلا معنى لانكارها وقال في ختام كتابه المذكور بعد الاشارة الى بعض امور تجري في آخر الزمان : وغاية ماثبت بالاخبار الصحيحة الكثيرة الشهيرة التي بلغت التواتر المعنوي وجود الآيات العظام التي منها بل أولها خروج المهدي وانه يأتي في آخر الزمان من ولد فاطمة يملأ الارض عدلا كما ملئت ظلما .

٣ ـ ومن الذين حكوا تواتر أحاديث المهدي الشيخ محمد السفاريني المتوفى سنة ثمان وثمانين بعد المائة والالف ، في كتابه « لوامع الانوار البهية » قال : وقد كثرت بخروجه ـ يعني المهدي ـ الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم ثم ذكر بعض الآثار والاحاديث في خروج المهدى واسماء بعض الصحابة الذين رووها ثم قال وقد روى عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم مايفيد مجموعه العلم القطعي فالايمان بخروج المهدى واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد اهل السنة والجماعة .

٤ ـ ومنهم القاضى محمد بن على الشوكاني المتوفى سنة خمسين بعد المائتين والالف وهو صاحب التفسير المشهور ومؤلف نيل الاوطار قال في كتابه « التوضيح في تواتر ماجاء في المهدى المنتظر والدجال والمسيح » والاحاديث الواردة في المهدى التى امكن الوقوف عليها منها خمسون حديثا فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر وهى متواترة بلا شك ولاشبهة بل يصدق وصف المتواتر على ما هو دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الاصول واما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدى فهى كثيرة جدا لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك ، انتهى . وقال في مسألة نزول المسيح صلى الله عليه وسلم فتقرر ان الاحاديث الواردة في المهدى المنتظر متواترة والاحاديث الواردة في الدجال متواترة والاحاديث الواردة في نزول عيسى عليه الصلاة والسلام متواترة » .

٥ ـ ومنهم الشيخ صديق حسن القنوجى المتوفى سنة سبع بعد الثلاثمائة والالف قال في كتابه الاذاعة لما كان ومايكون بين يدى الساعة والاحاديث الواردة في المهدى على اختلاف رواياتها كثيرة جدا تبلغ حد التواتر المعنوى وهى في السنن وغيرها من دواوين الاسلام من المعاجم والمسانيد ـ الى ان قال ـ لاشك

ان المهدى يخرج فى آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام لما تواتر من الاخبار فى الباب واتفق عليه جمهور الامة خلفا عن سلف الا من لا يعتد بخلافه — الى ان قال — فلا معنى للريب فى امر ذلك الفاطمى الموعود المنتظر المدلول عليه بألادلة بل انكار ذلك جرأة عظيمة فى مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة الى حد التواتر .

٦ — وممن حكى تواتر احاديث المهدى من المتأخرين الشيخ محمد بن جعفر الكتانى المتوفى سنة خمس واربعين بعد الثلاثمائة والالف قال فى كتابه « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » وقد ذكروا ان نزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ثابت بالكتاب والسنة والاجماع ثم قال : « والحاصل ان الاحاديث الواردة فى المهدى المنتظر متواترة وكذا الواردة فى الدجال وفى نزول سيدنا عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام » .

٥ — ذكر بعض ما ورد فى الصحيحين من الاحاديث مما له تعلق بشأن المهدى .

١ — روى البخارى فى صحيحه فى باب نزول عيسى بن مريم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم .

٢ — وروى مسلم فى كتاب الايمان من صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه بمثل حديثه عن البخارى ، ورواه أيضاً عن أبي هريرة بلفظ : كيف أنتم اذا نزل بن مريم فيكم فأمكم ورواه أيضا عن ابي هريرة بلفظ : كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم فأمكم منكم وفيه تفسير ابن ابى ذئب راوى الحديث لقوله وأمكم منكم بقوله فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم .

٣ — وروى مسلم فى صحيحه عن جابر رضى الله عنه انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : لاتزال طائفة من امتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول اميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض امراء تكرمة الله هذه الامة .

فهذه الاحاديث التى وردت فى الصحيحين تدل على أمرين :

أحدهما انه عند نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام من السماء يكون المتولى لامرة المسلمين رجل منهم ، والثانى ان حضور اميرهم للصلاة وصلاته بالمسلمين وطلبه من عيسى عليه الصلاة والسلام عند نزوله ان يتقدم ليصلى لهم يدل على صلاح فى هذا الامير وهدى ، وهى وان لم يكن فيها التصريح بلفظ المهدى الا أنها تدل على صفات رجل صالح يؤم المسلمين فى ذلك الوقت وقد جاءت الاحاديث فى السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الاحاديث التى فى الصحيحين ودالة على ان ذلك الرجل الصالح يسمى محمد بن عبد الله من ولد الحسن بن على ويقال له

المهدى والسنة يفسر بعضها بعضا ومن الاحاديث الدالة على ذلك الحديث الذي رواه الحارث ابن ابي أسامة فى مسنده بسنده عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل عيسى بن مريم فيقول اميرهم المهدى تعال صل بنا فيقول لا ان بعضهم امير بعض تكرمة الله لهذه الامة وهذا الحديث قال فيه ابن القيم فى المنار المنيف اسناده جيد . انتهى . وهو دال على ان ذلك الامير المذكور فى صحيح مسلم الذى طلب من عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ان يتقدم للصلاة يقال له

المهدى ، وقد اورد الشيخ صديق حسن فى كتابه الاذاعة جملة كبيرة من احاديث المهدى جعل آخرها حديث جابر المذكور عند مسلم ثم قال عتبة : وليس فيه ذكر المهدى ولكن لا محمل له ولا مثاله من الاحاديث الا المهدي المنتظر كما دلت على ذلك الاخبار المتقدمة والآثار الكثيرة ، ولما كان المقام لايتسع لايراد الكثير من الاحاديث الواردة فى غير الصحيحين فى شأن المهدى والكلام عليها رأيت الاقتصار هنا على ايراد بعضها مع الكلام على بعض اسانيدها :

ذكر بعض الاحاديث فى المهدى الواردة فى غير الصحيحين

١ ــ عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشركم بالمهدى يبعث على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض يقسم المال صحاحا قال له رجل ما صحاحا قال بالسوية ويملأ الله قلوب امة محمد صلى الله عليه وسلم غناء ويسعهم عدله الى آخر الحديث قال الهيثمى فى مجمع الزوائد رواه احمد بأسانيد ابو يعلى باختصار كثير ورجالهما ثقات .

٢ ــ عن ابى هريرة رضى الله عنه قال ذكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي فقال ان قصر فسبع والا فثمان والا فتسع وليملأن الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما قال الهيثمي رواه البزار ورجاله ثقات وفى بعضهم بعض ضعف .

٣ ــ عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يكون فى امتى المهدى ان قصر فسبع والا فثمان والا فتسع تنعم امتى فيها نعمة لم ينعموا مثلها يرسل السماء عليهم مدرارا ولا تدخر الارض شيئا من النبات والمال كدوس يقوم الرجل فيقول يا مهدي اعطني فيقول خذ قال الهيثمي رواه الطبراني فى الاوسط ورجاله ثقات .

٤ ــ عقد أبو داود فى سننه كتابا قال فى اوله : اول كتاب المهدى وقال فى آخره آخر كتاب المهدى جعل تحته بابا واحدا أورد فيه ثلاثة عشر حديثا وصدر هذا الكتاب بحديث جابر ابن سمرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال هذا

الدين قائما حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة . الحديث. قال السيوطى فى آخر جزء العرف الوردى فى اخبار المهدي ان فى ذلك اشارة الى ماقاله العلماء ان المهدى احد الاثنى عشر وقد ذكر ذلك ايضا ابن كثير فى تفسيره لقوله تعالى : ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل . فى سورة المائدة كما يجيء ذكر كلامه ، ويرى جماعة من العلماء ومنهم شارح الطحاوية ان الاثني عشر هم الخلفاء الراشدون وثمانية انتهى .

٥ — ماروا ابو داود فى سننه من طريق عاصم بن ابى النجود عن أبي زرعة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلامني أومن أهل بيتي يواطيء اسمه اسمى واسم ابيه اسم ابى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا . وهذا الحديث سكت عليه ابو داود والمنذرى وكذا ابن القيم فى تهذيب السنن وقد أشار الى صحته فى المنار المنيف وصححه ابن تيمية فى منهاج السنة النبوية وقد أورده فى مصابيح السنة فى فصل الحسان وقال عنه الالبانى فى تخريج احاديث المشكاة واسناده حسن ، انتهى .

والحديث مداره على عاصم بن ابى النجود وقد لخص فى عون المعبود شرح مسند أبي داود الاقوال التي قيلت فيه فقال وعاصم هذا هو ابن ابى النجود واسم ابى النجود بهدلة احد القراء السبعة قال احمد بن حنبل كان رجلا صالحا وانا اختار قراءته وقال احمد وابو زرعة ايضا ثقة وقال ابو حاتم محله عندى محل الصدق صالح الحديث ولم يكن بذلك الحافظ وقال ابو جعفر العقيلى لم يكن فيه الا سوء الحفظ وقال الدار قطني فى حفظه شيء واخرج له البخارى فى صحيحه مقرونا واخرج له مسلم قال الذهبى ثبت فى القراءة وهو فى الحديث دون التثبت صدوق يهم وهو حسن الحديث والحاصل ان عاصم بن بهدلة ثقة على رأى احمد وابى زرعة وحسن الحديث صالح الاحتجاج على رأى غيرهما ولم يكن فيه الا سوء الحفظ فرد الحديث بعاصم ليس من دأب المنصفين على أن الحديث قد جاء من غير طريق عاصم ايضا فارتفعت عن عاصم مظنة الوهم والله اعلم . انتهى .

والحديث ذكره ابن خلدون فى مقدمة تاريخه وقدح فيه من جهة عاصم ابن أبي النجود ملاحظا ماقيل فيه من سوء الحفظ وقال ان الجرح مقدم على التعديل وقد انكر عليه ذلك ، قال الشيخ احمد شاكر فى تخريج احاديث المسند ان ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين ان الجرح مقدم على التعديل ولو اطلع على اقوالهم وفقهها ما قال شيئا مما قال وقال ايضا ان عاصم ابن ابى النجود من أئمة القراء المعروفين ثقة فى

الحديث أخطأ فى بعض حديثه ولم يغلب خطؤه على روايته حتى ترد . قال ابن ابى حاتم فى الجرح والتعديل اخبرنا عبد الله بن احمد بن محمد بن حنبل فيما كتب الى قال سألت ابى عن عاصم بن بهدلة فقال ثقة رجل صالح خير ثقة والاعمش احفظ منه وكان شعبة يختار الاعمش عليه فى تثبيت الحديث وقال ابن ابى حاتم سألت ابى عن عاصم بن بهدلة فقال هو صالح هو اكثر حديثا من ابى قيس

الاودى واشهر منه واحب الى من ابى قيس وقال سئل ابى عن عاصم بن ابى النجود وعبد الملك بن عمير فقال قدم عاصما على عبد الملك عاصم اقل اختلافا عندى من عبد الملك وقال سألت ابا زرعة عن عاصم بن بهدلة فقال ثقة قال فذكرته لابي فقال ليس محله هذا ان يقال ثقة وقد تكلم فيه ابن علية فقال كأن كل من كان اسمه عاصما سيء الحفظ قال الشيخ

احمد شاكر : وهذا اكثر ماقيل فيه من الجرح ، أفمثل هذا يطرح حديثه ويجعل سبيلا لانكار شيء ثبت بالسنة الصحيحة من طرق متعددة من حديث كثير من الصحابة حتى لايكاد يشك فى صحته احد كما ورد فى روايته من عدل وصدق لهجة ولارتفاع احتمال الخطأ فمن كان فى حفظ شيء بما ثبت عن غيره ممن هو مثله فى العدل والصدق وقد يكون أحفظ منه ماهكذا تعلل الاحاديث انتهى .

٦ — وقال ابو داود فى سننه حدثنا سهل بن تمام بن بديع حدثنا عمران القطان عن قتادة عن ابى نضرة عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدى منى اجلى الجبهة أقنى الانف يملأ الارض

قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ويملك سبع سنين . قال ابن القيم فى المنار المنيف رواه ابو داود باسناد جيد واورده فى مصابيح السنة فى فصل الحسان وقال الالبانى فى تخريج احاديث المشكاة واسناده حسن ورمز لصحته السيوطي فى الجامع الصغير .

٧ — وقال ابن ماجه فى سننه : حدثنا محمد بن يحيى واحمد بن يوسف قالا : حدثنا عبد الرزاق عن سفيان

الثورى عن خالد الحذاء عن ابى قلابة عن ابى اسماء الرحبى عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة ثم لايصير الى واحد منهم ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلا لم يقتله قوم — ثم ذكر شيئا لا احفظه — فقال فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدى ، قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى فى تعليقه على سنن ابن ماجه : فى الزوائد : هذا اسناد صحيح رجاله ثقات ،

ورواه الحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ، انتهى . وقد اورد هذا الحديث بسنده الحافظ ابن كثير فى كتاب الفتن والملاحم وقال: وهذا اسناد قوى صحيح ثم اورد

حديثا عن الترمذى فيه ذكر الرايات السود ايضا ثم قال وهذه الرايات ليست هى الرايات التى اقبل بهــا ابو مسلم الخراسانى فاستلب بهــا دولة بنى امية فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة بل رايات سود اخرتأتىبصحبة المهدى وهو محمد بن عبد الله العلوى الفاطمى الحسنى رضى الله عنه ، انتهى .

٨ ــ قال ابو داود فى سننه : حدثنا حمد بن ابراهيم حدثنا عبد الله جعفر الرقى حدثنا ابو المليح الحســـن بن عمر عن زياد بن بيان عن علــى بن نفيل عن سعيد بن المسيب عــن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم :المهدى من عترتي من ولد فاطمة .. وأخرجه ابن ماجه عن سعيد ابن المسيب قال كنا عند ام سلمة فتذاكرنا المهــدى فقالت سمعت رسول الله صلى اله عليه وسلم يقول المهدى من ولدفاطمة وقد اورد هذا الحديث الســيوطى فى الجامع الصغير ورمز لصــحته واورده فى مصابيح السنن فى فصـــل الحسان وقال الالبانى فى تخريـــج احاديث المشكاة واسناده جيد .

٩ ــ قال ابن القيم فى المنار المنيف وقال الحارث بن ابى اسامةفىمسنده: حدثنا اسماعيل بن عبد الكريم حدثنا ابراهيم بن عقيل عن ابيه عن وهب بن منبه عن جابر قال قال رســول الله صلى الله عليه وسلم : ينزل عيسى بن مريم فيقول اميرهم المهدى تعال صل بنا فيقول لا ان بعضهم امير بعض تكرمة الله لهــذه الامة قال ابن القيم وهذا اسناد جيد ، انتهى .

وبالرجوع الى ما قاله اهل هــذا الفن فى سند الحديث وجدت ان السند متصل من اوله الى آخره لا انقطاع فيه اما ماقيل عن كلراو من رواته :

فاسماعيلبن عبد الكريم قال عنه الحافظ فىالتقريب اسماعيل بنعبد الكريم بن معقل بن منبه صدوق من التسعة وذكر فى تهذيب التهذيب انه روى عن ابن عمه ابراهيم بن عقيل وعن غير ابراهيم بن عقيل هذا هو الذى روى عنه اسماعيل هذا الحديث فى المهدى وذكر انه روى عناسماعيل المذكور جماعة منهم احمد بن حنبل والحارث ابن ابى اسامة وقال ابن حجر فى تهذيب التهذيب ايضــا قال النسائى ليس به بأس وذكره ابنحبان فىالثقات وقالابنمعينثقة رجلصدق وقال الحافظ ابن حجر واما قول ابن القطان الفاسى لايعرف فمردود عليه وقال مسلمة بن قاسم جائز الحديث ولم يزد فى خلاصة تذهيب الكمال عن قول ابن معين فيه ثقة صدوق وقال قال ابن سعد توفى سنة عشر ومائتين انتهى . وهو من رجال ابى داود فى سننه وابن ماجه فى التفســـير كما رمز لذلك الحافظ فى تقــــريب التهذيب .

والثانى من رجال سند الا حديث ابراهيم بن عقيل بن معقل الصنعاني ابن عم اسماعيل المتقدم ذكره قــال الحافظ فى التقريب صدوق من الثامنة ورمز لكونه من رجال ابى داود وقال

فى تهذيب التهذيب روى عن ابيه وعنه احمد بن حنبل وابن عمه اسماعيل بن عبد الكريم وغيرهم قال ابن معين لم يكن به بأس وقال المعجلى ثقة وقال الحافظ قلت واخرج له ابن خزيمة فى صحيحه وكذا ابن حبان الحاكم وذكر ابن ابى خيثمة عن يحيى بن معين قال ابراهيم ثقة وابوه ثقة وقال ابن حبان فى الثقات انه يروى عن عم أبيه وهب بن منبه ، انتهى .

الثالث من رجال سندالحديث عقيل بن معقل قال الحافظ فى التقريب هو ابن اخى وهب بن منبه وقال صدوق من السابعة ورمز لكونه من رجال ابى داود ذكر فى تهذيب التهذيب انه روى عن عميه همام ووهب وعنه ابنه ابراهيم واناس آخرون سماهم وذكر انه وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وقال وذكره ابن حبان فىالثقات وعلق له البخارى عن جابر فىتفسير سورة النساء اثرا فى الكهان وقد جاء موصولا من رواية عقيل هذا عن ووهب بن منبه عن جابر انتهى . ولم يزد فى الخلاصة عن قوله عقيل بن معقل بن منبه اليمانى عن عميه همام ووهب وعنهابنهابراهيم وعبدالرزاق قال أحمد ثقة قرأ التوراة والانجيل انتهى .

الرابع من رجال سندالحديثوهب بن منبه بن كامل اليمانى قال فى التقريب ثقة من الثالثة ورمز لكونه من رجال الصحيحين وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة فى التفسير .

وقال فى تهذيب التهذيب روى عن أبى هريرة وابى سعيد وابن عباس وابن عمر وابن عمرو بن العاص وجابر وانس وعمرو بن شعيب وابى خليفة البصرى واخيه همام ابن منبه وغيرهم

وذكر انه روى عنه ابناه عبد الله وعبد الرحمن وابناء اخيه عبد الصمد وعقيل بن معقل بن منبه وقال قال عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه كان من ابناء فارس وقال العجلى تابعى ثقة وكان على قضاء صنعاء وقال ابو زرعة والنسائى ثقة وذكره ابن حبان فى الثقات ، انتهى . وقال احمد بن حنبل وكان يهتم بشىء من

القدر ثم رجع عنه وقال الحافظ فى تهذيب التهذيب ايضا روى لهالبخارى حديثا واحدا من روايته عن اخيه عن ابى هريرة ليس احد اكثر حديثا منى الا عبد الله بن عمرو بن العاص فانه كان يكتب ولا اكتب وقال قلت وقال عمرو بنعلي الغلاس كان ضعيفا انتهى اقول وذكر شارح الطحاوية عن وهب بن منبه انه قال نظرت فى القدر فتحيرت ثم نظرت فيه فتحيرت ووجدت ان أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه واجهل الناس بالقدر انطقهم به.

اما الحارث ابن ابى اسامة صاحب المسند فقد ترجم له الذهبى فى الميزان وقال فيهوكان حافظا عارفا بالحديث عالي الاسناد بالمرة تكلم فيه بلاحجة ، قال الدارقطنى قد اختلف فيه وهو عندى صدوق وقال ابن حزم ضعيف ولينه بعض البغاددة لكونه يأخذ على

الرواية انتهى . وترجم له الذهبي ايضا فى تذكرة الحفاظ وسمى جماعة روى عنهم وجماعة رووا عنه ثم قال وثقة ابراهيم الحربى مع علمه بأنه يأخذ الدراهم وابو حاتم وابن حبان وقال الدارقطنى صدوق واما أخذ الدراهم على الرواية فقد كان

فقيرا كثير البنات وقال ابو الفتح الازدى وابن حزم ضعيف ، انتهى .
وقال ابن العماد فى شذرات الذهب

وفيها أى فى سنة ٢٨٢ هـ توفى الحافظ أبو محمد الحارث ابى اسامة التهمى البغدادى صاحب المسند يوم عرفةوله ٩٦ سنة سمع عنابنعاصم وعبد الرحمن بن عطاء وطبقتهما قال الدارقطنى صدوق وقيل فيه لين كان لفقره يأخذ على الحديث أجرا »

هؤلاء سند الحديث من اوله الى جابر رضى الله عنه وهو متصل ولفظ حديث جابر هذا قريب من لفظ حديثه عند مسلم فى صحيحه حيث قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال طائفة من امتى يقاتلون على الحق ظاهرينالى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم

فيقول اميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض امراء تكرمة الله هذه الامة ، فهذا الحديث الذى اورده ابن القيم من مسند الحارث ابن ابى اسامة بالسند الذى قال عنه انه جيد وقد سمعتم حاصل ماذكر عن رجاله اقول هذا الحديث فيه وصف الامير المذكور بأنه المهدى

فيكونهذاالحديث وغيرهمنالاحاديث الكثيرة الدالة على خروج المهدى آخر الزمان مفسرة للمراد بهذا الحديث الذيأوردهمسلم وللاحاديث الاخرى التي فى معناه عند البخاري ومسلم كما تقدمت الاشارة الىذلك .

٧ — ذكر بعض العلماء الذين احتجوا بأحاديث المهدى واعتقدوا موجبها وحكاية كلامهم فى ذلك .

قال الحافظ ابو جعفر العقيلى المتوفى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة

ان فى المهدى احاديث جياد قال الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب فى ترجمة على بن نفيل بن زارع النهدى قلت ذكره العقيلى فى كتابه وقال لايتابع على حديثه فى المهدى ولايعرف الا به قالوفى المهدى احاديث جياد من غير هذا الوجه انتهى .

ويرى الامام ابن حبان البستى المتوفى سنة ٣٥٤ ان الاحاديث الواردة فى المهدى مخصصة لحديث لايأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه قال الحافظ بن حجر فى فتح البارى فى الكلام على الحديث الذى رواه البخارى فى صحيحه فى كتاب الفتن وهوحديث أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لايأتي عليكم زمان الا والذيبعده شر منه حتىتلقوا ربكم قال واستدل ابن حبان فى صحيحه بأن حديث أنس ليس على عمومه بالاحاديث الواردة فى المهدىو انه يملأ الارض عدلا بعد ان ملئت ظلما انتهى .

وقال الخطابى ٣٨٨ هـ رحمه الله فى الكلام على حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صى الله عيه وسلم لاتقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة الخ .. قال ويكون ذلك فى زمن المهدي أو عيسى عليهما الصلاة والسلام أو كليهما ذكر ذلك ملا علي قاري فى المرقاة شرح المشكاة وقال والاخير هو الاظهر لظهور هذا الامر فى خروج الدجال وهو فى زمنهما وذكر ذلك المباركفورى صاحب تحفة الاحوذى فى الكلام على شرح هذا الحديث .

وقال الامام البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ هـ بعد كلامه على تضعيف حديث لا مهدى الا عيسى بن مريم قال والاحاديث فى التنصيص على خروج المهدى اصح البتة اسنادا نقل ذلك عنه الحافظ بن حجرفىتهذيب التهذيب فى ترجمة محمد بن خالدالجندى راوى حديث لامهدى الا عيسى بن مريم ونقله عنه ايضا ابن القيم فى المنار المنيف فىاحديث الصحيح والضعيف .

وقد عقد القاضى عياض المتوفى ٥٤٤ هـ فى كتابه الشفاء بابا لمعجزاته صلى الله عليه وسلم يشتمل على ثلاثين فصلا قال فى القسم الاول من كتابه المذكور : الباب الرابع فيما اظهره الله على يديه صلى الله عليه وسلم من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات قال فى اوائل الكلام فى هذا الباب : امنيتنا ان نثبت فى هذا الباب امهاتمعجزاتهومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليه بعض ما وقع فى كتب مشاهير الائمة ثم قال فى الفصل الثالث والعشرين فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون .. قال فى اوله والاحاديث فى هذا الباب بحر لايدرك قعره ولاينزف غمره ، اورد فى هذا الفصل جملة كبيرة من الامور المستقبلة التى اخبر بها الذى لاينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم وذكر من بينها خروج المهدي .

وقال الامام محمد ابن احمد بن ابى بكر القرطبى صاحب التفسير المشهور المتوفى سنة ٦٧١ هـ فى كتابه التذكرة فى امور الآخرة بعد ذكر حديث ولا مهدى الا عيسى بن مريم «قال اسناده ضعيف والاحاديث عن انبى صلى الله عليه وسلم فى التنصيص على خروج المهدى من عترته من ولدفاطمة ثابتة اصح من هذا الحديث فالحكم بها دونه وقال يحتمل ان يكون قوله صلى الله عليه وسلم ولامهدي الا عيسى بن مريم » اى لامهدى كاملا معصوما الا عيسى قال وعلى هذا تجتمع الاحاديث ويرتفع التعارض ، نقل ذلك عنه السيوطى فى آخر جزء العرف الوردى فى اخبار المهدى»

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية ٧٢٨ فى كتابه منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية (ج ٤ — ٢١١) .

فصل واما الحديث الذي رواه ـ أي الرافضي الذي ألف كتابه للرد عليه عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ يخرج فى آخر الزمان رجل من ولدى اسمه كاسمى وكنيته كنيتى يملأ الارض عدلا كما ملئت جورا وذلك هو المهدى ، فى الجواب ان الاحاديث التى يحتج بها على خروج المهدى احاديث صحيحة رواها أبو داود والترمذي وأحمد وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره كقوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه بن مسعود لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه رجل منى او من اهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم ابيه اسم ابى يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ورواه الترمذى وابو داود من رواية أم سلمة وفيه المهدى من عترتى من ولد فاطمة ورواه ابو داود من طريق ابى سعيد وفيه يملك الارض سبع سنين ورواه عن على رضى الله عنه انه نظر الى الحسن وقال ان ابنى هذا سيد كما سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم يشبهه فى الخلق ولا يشبهه فى الخلق يملأ الارض قسطا وهذه الاحاديث غلط فيها طوائف طائفة انكروها واحتجوا بحديث ابن ماجه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا مهدى الا عيسى بن مريم وهذا الحديث ضعيف وقد اعتمد ابو محمد بن الوليد البغدادى وغيره عليه وليس مما يعتمد عليه ورواه ابن ماجه عن يونس عن الشافعى والشافعى رواه عن رجل من اهل اليمن يقال له محمد بن خالد الجندى وهو ممن لايحتج به وليس فى مسند الشافعى وقد قيل ان الشافعى لم يسمعه من الجندى وان يونس لم يسمعه من الشافعى، الثانى ان الاثنى عشرية الذين ادعوا ان هذا مهديهم مهديهم اسمه محمد بن الحسن والمهدى المنعوت الذى وصفه النبى صلى الله عليه وسلم اسمه محمد بن عبد الله ولهذا حذفت طائفة لفظ الاب حتى لا يناقض ماكتبت وطائفة حرفته وقالت جده الحسين وكنيته ابو عبد الله فمعناه محمد بن ابى عبد الله وجعلت الكنية اسما وممن سلك هذا ابن طلحة فى كتابه الذي سماه غاية السول فى مناقب الرسول ومن له ادنى نظر يعرف ان هذا تحريف صميم وكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل يفهم احد من قوله يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي إلا ان اسم أبيه عبد الله وهل يدل هذا اللفظ على ان جده كنيته ابو عبد الله ثم اى تمييز يحصل له بهذا فكم من ولد الحسين من اسمه محمد وكل هؤلاء يقال فى أجدادهم محمد بن أبي عبد الله كما قيل فى هذا وكيف يعدل من يريد البيان الى من اسمه محمد بن الحسين فيقول اسمه محمد بن عبد الله ويعنى بذلك ان جده ابو عبد الله وهذا كان تعريفه بأنه محمد بن الحسن اوابن

أبي الحسن لان جده على كنيته أبو الحسن احسن من هذا وابين لمن يريد الهدى والبيان وايضا فان المهدى المنعوت من ولد الحسن بن على لا من ولد الحسين كما تقدم لفظ حديث على رضى الله عنه .

وقد عقد ابن القيم رحمه الله فى آخر كتابه المنار المنيف فى الحديث الصحيح والضعيف فصلا فى الكلام على أحاديث المهدي وخروجه والجمع بينها وبين حديث لا مهدي الا عيسى ابن مريم ، قال فيه :

فأما حديث لا مهدي الا عيسى ابن مريم فرواه ابن ماجة فى سننه عن يوسف بن عبد الاعلى عن الشافعي عن محمد بن خالد الجندي عن إبان بن صالح عن الحسن عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مما تفرد به محمد بن خالد قال أبو الحسين محمد بن الحسين الآبري فى كتاب مناقب الشافعي : محمد بن خالد هذا غير معروف عند اهل الصناعة من أهل العلم والنقل وقد تواترت الاخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر المهدي وانه من اهل بيته وانه يملك سبع سنين وانه يملأ الارض عدلا وان عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال وانه يؤم هذه الامة ويصلي عيسى خلفه ، وقال البيهقي تفرد به محمد بن خالد هذا وقد قال الحاكم أبو عبد الله هو مجهول وقد اختلف عليه فى اسناده فروى عنه عن إبان ابن أبي عياش عن الحسن مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فرجع الحديث الى رواية محمد بن خالد وهو مجهول — عن إبان بن أبي عياش — وهو متروك — عن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم — وهو منقطع — والاحاديث على خروج المهدي أصح اسنادا ، قال ابن القيم قلت كحديث عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجل مني او من اهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا رواه أبو داود والترمذي وقال حديثه حسن صحيح قال — يعني الترمذي — وفى الباب عن علي وابي سعيد وأم سلمة وابي هريرة ثم روى حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح انتهى. ثم قال بن القيم وفى الباب عن حذيفة ابن اليمان وأبي امامة الباهلي وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص وثوبان وانس بن مالك وجابر وابن عباس وغيرهم ثم اورد عدة احاديث رواها بنص أهل السنن والمسانيد وغيرها منها ماهو صحيح ومنها ماهو ضعيف أورده للاستئناس به .

ثم قال : وهذه الاحاديث أربعة أقسام صحاح وحسان وغرائب وموضوعة وقد اختلف الناس فى المهدي على اربعة اقوال أحدها انه المسيح ابن مريم — وهو المهدي على

الحقيقة ـ واحتج أصحاب هــذا بحديث محمد بن خالــد الجنــدي المتقدم وقد بينا حاله وانه لا يصح ولو صح لم يكن به حجة لان عيسى أعظم مهدي بين يــدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الساعة وقد دلت الســنة الصحيحة عــن النبي صلى الله عليه وسلم عــلى نزوله على المنارة البيضاء شــرقي دمشق وحكمه بكتــاب الله وقتــله اليهود والنصارى ووضعه الجزيــة واهلاك أهل الملل فى زمانه فيصــح ان يقال لا مهدي فى الحقيقة سواه وان كان غيره مهديا كما يقال لا علم الا مانفع ولا مال الا ما وقى وجــه صاحبه وكما يصح ان يقال انمــا المهدي عيسى بن مريم يعني المهــدي بالكامل المعصوم ، **القول الثــاني** انه المهدي الذي ولي من بني العباس وقد انتهى زمانه ثم ذكر حديثــين منهما ذكر مجيء الرايات الســود من قبل المشرق من جهة خراسان وأشار الى ضعفهما ثم قال مشــيرا الى أولها وثانيها وهذا والذي قبله لو صح لم يكن فيه دليل على المهدي الذي تولى مــن بني العباس هــو المهدي الذي يخرج فى آخر الزمان بل هو مهدي مــن جملة المهديــين وعمر بن عبد العزيز كان مهديا بل هو أولى باسم المهدي منه وقد قال صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وســنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي » وقد ذهب الامام أحمــد فى احدى الروايتين عنه الى ان عمر بن عبد العزيز منهم ولا ريب انه كان راشدا مهديا ولكن ليس بالمهــدي الذي يخرج فى آخر الزمان فالمهدي فى جانب الخير والرشد كالدجال فى جانب الشر والضلال وكما ان بــين يدي الدجال الاكبر صاحب الخوارق دجالون كذابون فكذلك بين يــدي المهدي الاكبر مهديون راشدون » .

القول الثالث : انه رجل من أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من ولد الحسن بن علي يخرج فى آخر الزمان وقد امتلأت الارض جورا وظلمــا فيملأها قسطا وعدلا وأكثر الاحاديث على هذا تدل وفى كونه من ولد الحسن سر لطيف وهو أن الحسن رضى الله عنه ترك الخلافة لله فجعل الله من ولده من يقوم بالخلافة الحق المتضمن للعدل الذي يملأ الارض وهذه سنة الله فى عباده انه من ترك شــيئا لاجله أعطاه الله وأعطى ذريته أفضل منه وهذا بخلاف الحسين رضــي الله عنه فانه حرص عليها وقاتــل عليها فلم يظفر بها والله أعــلم ثم أورد بعض الاحاديث فى خروج المهدي ثم قال واما الرافضة الامامية فلهم قول رابع وهو ان المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر من ولد الحسين بن عــلي لا مــن ولد الحسن الحاضــر فى الامصار الغائب عن الابصار الــذي يورث العصا ويختم الغضا دخــل سرداب سامرا طفلا صغيرا من أكثر من خمسمائة

سـنة ــ بالنسبة لزمان ابن القيم المتوفى عام ٧٥٢ ــ فلم تره بعد ذلك عين ولم يحس فيه بخبر ولا أمـر وهم ينتظرونه كل يوم يقفون بالخيل على باب السرداب ويصيحون به ان يخرج اليهم أخرج يا مولانا ، ثـم يرجعـون بالخيبة والحرمان فهـذا دأبهم ودأبه ولقد أحسن من قال :

ما آن للسرداب ان يلد الذي

كلمتمـوه بجهلكـم ما آنـا

فعلى عقولكم العفـاء فانـكم

كلمتم العنقـاء والغيـلانا

ولقد أصبح هؤلاء عارا على بني آدم وضحكة ليسخر منهم كل عاقل انتهى كلام ابن القيم رحمه الله .

وقال ابن القيم أيضا فى كتابـه اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : ومن تلاعبه ــ يعني الشيطان بهـم ــ يعني اليهود ــ انهم ينتظرون قائما من ولـد داود النبي اذا حـرك شفتيه بالدعاء مات جميع الامم وان هـذا المنتظر بزعمهم هو المسـيح الذي وعدوا به وهـم فى الحقيقـة انما ينتظرون مسيح الضلالة الدجال فهم اكثر أتباعه والا فمسيح الهدى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتلهم ولا يبقي منهم أحدا ثم قال والمسلمون ينتظرون نزول المسـيح عيسى بن مريم من السماء ، لكسر الصليب وقتل الخنزير وقتل اعدائه من اليهود وعبـاده من النصارى وينتظرون خروج المهدي من أهـل بيت النبوة يملأ الارض عدلا كمـا ملئت جورا . انتهى

وقال أبو الحسن السـمهودي المتوفى سنة ٩١١ هـ ويتحصل ممـا ثبت فى الاخبار عنه ــ أي المهدي ــ انه من ولد فاطمة وفى ابي داود انه من ولد الحسن والسـر فيـه ترك الحسن الخلافة لله شفقة على الامة فجعل القائم بالخلافـة ــ الحق ــ عند شدة الحاجة وامتـلاء الارض ظلما ــ من ولده ، وهذه سنة الله فى عباده انه يعطي لمن ترك شيئا من أجله افضل مما ترك أو ذريته وقـد بالغ الحسن فى ترك الخـلافة ونهى أخاه عنها وتذكر ذلك ليلة مقتـله فترحم على أخيه وما روى من كونه من ولد الحسين فواه جدا ، انتهى بواسطة نقل المناوي فى فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي .

وقال ابن حجر المكي المتوفى سنة ٩٧٤ هـ فى كتابه القول المختصر فى علامات المهدي المنتظر ، الذي يتعين اعتقـاده مادلت عليـه الاحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر الذي يخرج الدجال وعيسى فى زمانه ويصلي عيسى خلفه وانه المراد حيث أطلق المهدي انتهى بواسـطة نقل البرزنجي فى الاشاعـة لاشـراط السـاعـة .

وقال الحافظ عماد الدين ابن كثير رحمه الله فى كتاب الفتن والملاحـم فصل فى ذكر المهدي الذي يـكون فى آخر الزمان وهو أحـد الخلفاء الراشدين الائمة المهديين وليس هو

بالمنتظر الذي تزعم الرافضة وترتجي ظهوره من سرداب سامراء فان ذلك مالا حقيقة لـه ولا عين ولا أثـر ويزعمون انـــه محمد بن الحســن العسكري وانه دخل السرداب وعمره خمس سنين ، وأما ماسنذكره فقد نطقت به الاحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يكون فى آخر الدهر وأظن ظهوره يـكون قبل نزول عيسى بن مريم كما دلت على ذلك الاحاديث ثم ساق عـدة احاديث من السنن وغيرها منهـــا بعض أحاديث الرايات السود وحديث علي رضي الله عنه فى ابنه الحسن وانه يخرج من صلبه رجل يسمى باسم النبي صلى الله عليه وسـلم ثم قال ففي هذا السياق اشارة الى

ملك بني العباس كما تقدم التنبيـه على ذكر ذلك عند ابتداء ذكر ولايتهم فى سنة اثنين وثلاثين ومائة وفيـه دلالة على انه يكونها لمهدي بعد دولة بني العباس وانـه يكون من أهـل البيت من ذرية فاطمة بنت رســول الله صلى الله عليه وسلم من ولد الحسن لا الحسين كما تقدم النص على ذلك فى الحديث المروي عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وانـه أعلم ثم قال وقال ابن ماجة حدثنا محمد بن يحى وأحمد بن يوسف قالا حدثنا عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أبي أسماء الرحبي عن ثـوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وســلم يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابـن خليفة ثم لا يصير الى واحد منهـم ثم تطلع الرايات السود من قبـل المشرق فيقتلونهم قتلا لم يقتله احدا ثم ذكر شيئا لا أحفظه فقـال فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوا على الثلج فانه خليفة الله المهدي تفرد به ابن ماجة وهذا اســـناد قوي صحيح

والمراد به بالكنز المذكور فى هـــذا السياق كنز الكعبة يقتتل عنـــده ليأخذوه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهـــدي ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراء كما يزعمه جهـلة الرافضة من أنه موجود فيــه الان وهم ينتظرون خروجه فى آخر الزمان فان هذا نوع من الهذيان وقسـط كبير من الخذلان شديد من الشيطان إذ لا دليل على ذلك ولا برهان لامن كتاب ولا سنة ولا معقول صحيح ولا استحسان ، وقال الترمذي حدثنا قتيبة حدثنا رشيد بن سعد عـن يونس عن ابن شهاب الـزهري عن قتيبة بن ذؤيب عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من خراسان رايات سود فلا يردها شـىء حتى تنصب بايليا » هذا الحديث غريب ، وهذه الرايات ليست هي التي أقبل بهـا أبو مسلم الخراساني فاستلب بهـا دولة بني أمية فى سنة اثنين وثلاثين ومائة بل رايات سود أخر تأتي صحبة المهـــدي وهو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني رضي الله عنه يصلحه الله فى ليلة واحدة أي

يتوب عليه ويوفقه ويلهمه ويرشده بعد ان لم يكن كذلك ويؤيده بناس من أهل الشرق ينصرونه ويقيمون سلطانه وتكون راياتهم سودا أيضا وهو زين عليه انوقار لانراية الرسول صلى الله عليه وسلم سوداء يقال لها العقاب وقد ركزها خالد بن الوليد رضى الله عنه على الثنية التي شرقي دمشق حتى أقبل من العراق فعرفت بها الثنية فهي الى الآن يقال لها ثنية العقاب . وقد كانت عقابا على الكفار من نصارى الروم ولمن كان معهم وبعدهم الى يوم الدين ولله الحمد ، وكذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح الى مكة وعلى رأسه المغفر وكان أسود وجاء فى الحديث انه كان متعمما بعمامة سوداء فوق البياض صلوات الله وسلامه عليه ، والمقصود ان المهدي الممدوح الموعود بوجوده فى آخر الزمان يكون أصل ظهوره وخروجه من ناحية المشرق ويبايع له عند البيت كما دل على ذلك بعض الاحاديث وقد افردت فى ذكر المهدي جزءا على حدة ولله الحمد والمنة ، وقال ابن ماجة ايضا حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا محمد بن مروان العقيلي حدثنا عمارة ابن أبي حفصة عن زيد العمى عن ابى الصديق الناجي عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون فى أمتي المهدي ان قصر فسبع والا فتسع تنعم فيه أمتي نعمة لم يسمعوا مثلها تؤتي الارض أكلها ولا تدخر منه شيئا والمال يومئذ كدوس يقوم الرجل فيقول يا مهدي أعطني فيقول خذ ،

وقال الترمذي حدثنا محمد جعفر حدثنا شعبة سمعت زيدا العمى سمعت الصديق الناجي يحدث عن ابي سعيد الخدري قال خشينا ان يكون بعد نبينا حدث فسألنا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال ان فى أمتي المهدي يخرج فيعيش خمسا او سبعا أو تسعا ـ زيد الشاك ـ قال قلنا وما ذاك قال سنين قال يجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني قال فيجيء له فى ثوبه مااستطاع ان يحمله هذا حديث حسن ، وقد روي من غير وجه عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو ويقال بكر بن قيس وهذا دليل على ان أكثر مدته تسع واقلها خمس أو سبع ولعله هو الخليفة الذي يحثى المال حثياً والله أعلم . وفى زمانه تكون الثمار كثيرة والزروع غزيرة والمال وافر والسلطان قاهر والدين قائم والعدو راغم والخير فى أيامه دائم ثم اورد حديثين أحدهما عن الامام محمد الثاني عن ابن ماجة ثم قال فأما الحديث الذي رواه ابن ماجة فى سننه حيث قال رحمه الله تعالى حدثنا يونس بن عبد الاعلى حدثنا محمد ابن ادريس الشافعي حدثني محمد بن خالد الجندي عن ابان بن

صالح عن الحسن عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولاتقوم الساعة الا على شرار الناس ولاالمهدي الا عيسى بن مريم فانه حديث مشهور عن بن خالد الجندي الصنعاني المؤذن شيخ الشافعي وروى عنه غير واحد ايضا وليس هو بمجهول كما زعمه الحاكم بل قدروى عن ابن معين انه وثقه ولكن من الرواة من حدث به عنه عن إبان بن أبي عياش عن الحسن البصري مرسلا وذكر ذلك شيخنا فى انتهذيب عن بعضهم انه رأى الشافعي فى المنام وهو يقول كذب علي يونس بن عبد الاعلى ليس هذا من حديثي قلت : يونس بن عبد الاعلى انصدفى من الثقات لا يطعن فيه بمجرد منام ، وهذا الحديث فيما يظهر بادي الرأي مخالف للاحاديث التي أوردناها فى اثبات مهدي غير عيسى بن مريم أما قبل نزوله كما هو الاظهر والله أعلم وأما بعده وعند انتأمل لاينافيها بل يكون المراد من ذلك ان المهدي حق المهدي هو عيسى بن مريم ولا ينفي ذلك ان يكون غيره مهديا ايضا والله أعلم انتهى مانقلته من كتاب الفتن والملاحم لابن كثير رحمه الله .

وقال فى تفسيره عند تفسير قوله تعالى فى سورة المائدة ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا » بعد ذكره الكلام عن هؤلاء النقباء قال وهكذا لما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار ليلة العقبة كان منهم اثنا عشر نقيبا ثلاثة من الاوس وهم أسيد بن الخضير وسعد بن خيثمه ورفاعة بن عبد المنذر ويقال بدله أبو الهيثم بن التيهان رضي الله عنه وتسعة من الخزرج وهم أمامة اسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبادة بن الصامت وسعد بن عبادة وعبد الله بن عمرو بن حرام والمنذر بن عمر بن حنيش رضي الله عنهم وقد ذكرهم كعب بن مالك فى شعر له كما اورد ابن اسحاق رحمه الله والمقصود ان هؤلاء كانوا عرفاء على قومهم ليلتئذ عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم لهم بذلك وهم الذين ولوا المعاقدة والمبايعة عن قومهم للنبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة . قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو يقرئنا القرآن فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وسلم كم يملك هذه الامة من خليفة قال عبد الله ما سألني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك ثم قال نعم ولقد سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اثنا عشر كعدة نقباء بني اسرائيل » هذا حديث غريب

من هذا الوجه وأصل الحديث ثابت فى الصحيحين من حديث جابر بن سمرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال أمر الناس ماضياً ماوليهم اثنا عشر رجلا ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت علي فسألت أبي ما ذا قال النبي صلى الله عليه وسلم

قال كلهم من قريش وهذا لفظ مسلم ومعنى هذا الحديث البشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحا يقيم الحق ويعدل فيهم ولا يلزم من هذا

توانيهم وتتابع أيامهم بل قد وجد منهم أربعة على نسق وهم الخلفاء الاربعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم ومنهم عمر بن عبد العزيز بلا شك عند الائمة وبعض بني العباس ولا تقوم الساعة حتى تكون ولايتهم لا محالة . والظاهر ان منهم المهدي المبشر به فى الاحاديث الواردة بذكره فذكر انه يواطىء اسمه اسم

النبي صلى الله عليه وسلم واسم أبيه اسم أبيه فيملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما وليس هذا بالمنتظر الذي تتوهم الرافضة وجوده ثم ظهوره من سرداب سامرا فان ذلك ليس له حقيقة ولا وجود بالكلية بل هو من هوس العقول السخيفة وتوهم الخيالات الضعيفة

وليس المراد بهؤلاء الخلفاء الاثني عشر الائمة الاثني عشر الذين يعتقد فيهم الاثنا عشرية من الروافض لجهلهم وقلة عقلهم وفى التوراة

البشارة باسماعيل عليه الصلاة والسلام وان يقيم من صلبه اثني عشر عظيما وهم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر المذكورون فى حديث ابن مسعود وجابر بن سمرة وبعض الجهلة ممن أسلم من اليهود اذا اقترن بهم بعض الشيعة يوهمونهم انهم الائمة الاثنا عشر فيتشيع كثير منهم جهلا وسفها لقلة علمهم وعلم من لقنهم ذلك بالسنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى .

وقال الشيخ ملا علي قاري الحسيني المتوفى سنة ١٠١٤ فى شرحه للفقه الاكبر .. للامام أبي حنيفة عند قول أبي حنيفة رحمه الله . وخروج الدجال وياجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام قال : وفى نسخة قدم طلوع الشمس على البقية وعلى كل تقرير فالواو لمطلق الجمع والا فترتيب القضية ان

المهدي عليه السلام يظهر أولا فى أرض الحرمين ثم يأتي بيت المقدس فيأتي الدجال ويحصره فى ذلك الحال فينزل عيسى عليه الصلاة والسلام من المنارة الشرقية فى دمشق الشام ويجيء الى قتال الدجال فيقتله بضربة فى الحال فانه يذوب كالملح عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من السماء فيجتمع عيسى عليه الصلاة والسلام بالمهدي رضي الله عنه وقد أقيمت الصلاة فيشير المهدي لعيسى بالتقدم فيمتنع معللا

بأن هـذه الصلاة اتيحت لك فأنت أولى بأن تكون الامام فى هذا المقـام ويقتدي بـه ليظهـر متابعته لنبينا صلى الله عليه وسلم ــ الى أن قال وفى شرح العقائد الاصح ان عيسى عليه الصلاة والسلام يصلي بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهدي لانه أفضل وامامته أولى انتهى قال علي قاري ولا ينافى ما قدمناه كما لا يخفى ثم ذكر الامور الاخرى مرتبة وهي خروج ياجوج وماجوج وموت المؤمنين وطلوع الشمس من مغربها ورفع القرآن .

وقال الشيخ عبد الرؤوف المناوي صاحب فيض القدير شرح الجامع الصغير المتوفى سنة ١٠٣٢ هـ قال فى كتابه المذكور واخبار المهـــدي كثيرة شـــهيرة أفردها غير واحـد فى التأليف ــ الى أن قال ــ تنبيه :

أخبار المهدي لا يعارضها خبر « لا مهدي الا عيسى ابن مريم » لان المراد به كما قال القرطبي لا مهدي كاملا معصوما الا عيسى بن مريم . وقال المناوي عند حديث : لن تهلك أمة أنا فى أولها وعيسى بن مريم فى آخرها

والمهدي فى وسطها » أراد بالوسط ما قبل الآخر لان نزوله عليه السلام لقتل الدجال يـكون فى زمـن المهدي ويصلي عيسى خلفه كما جاءت

به الاخبار ، وجزم به جمع من الاخيار وذكر عند حديث « منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه » انه بعد نزوله يجيء فيجد الامام المهدي يريد الصلاة فيتأخر ليتقدم فيقدمه عيسى عليـه الصلاة والسلام ويصلي خلفه قال فاعظم به فضلا وشرفا لهذه الامـة ثم قال ولا ينافى ماذكر فى هذا الحديث ماا اقتضاه بعض الآثار من أن عيسى هو الامام بالمهدي وجزم به السـعد التفتازاني وعلله بأفضليته لإمـكان الجمع بأن عيسى يقتدي بالمهدي أولا ليظهر انه نزل تابعا لنبينا حاكمـا بشرعه ثم بعد ذلك يقتدي المهدي به على أصل القـاعدة « من اقتداء » المفضول بالفـاضل انتهى . وقال الشيخ محمد السفاريني فى كتـابه : لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية الذي شـرح فيه نظمه فى العقيدة المسمى « الدرة المعنية فى عقد الفرقة المرضية » : ــ

وما أتى بالنص من أشراط
فـكله حق بلا شـطاط

منها الامام الخاتم النصيح
محمد المهـدي والمسيح

منها أي من أشراط الساعة التي وردت بها الاخبار وتواترت فى مضمونها الآثار أي من العلامات العظمى وهي أولها ان يظهر الامام المقتدى بأقواله وأفعاله الخاتم للائمة فلا امام بعده كما ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الخاتم للنبوة والرسالة فلا نبي ولا رسول بعده الفصيح اللسان لانه من صحيح العـرب أهل الفصاحة والبلاغة . ــ ثم قال ــ وقوله ، محمد المهدي ، هذا اسمه وأشهر أوصافه فأما اسمه فمحمد جاء ذلك فى عدة أخبار وفى بعضها ان اسمه واسـم

أبيه عبد الله فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي رواه أبو نعيم من حديث أبي هريرة ولفظه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو لم يبق من النهار الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم ابيه اسم أبي يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا » وروى نحوه الترمذي وأبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم من حديث ابن مسعود رضى الله عنه وفى رواية من حديث ابن مسعود أيضا لا تذهب الدنيا حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما .. اخرجهالطبراني فى معجمهالصغير وأخرجه الترمذي ولفظه : حتىيملك العرب رجل من أهل بيتي وقال حديثحسنصحيح ، وكذلك أخرجه أبو داود فى سننه وروى ابنمسعود أيضا رضي الله عنه رفعهاسم المهدي محمد ، وفى مرفوع حذيفة محمد بن عبد الله ويكنى أبا عبد الله ومن أسمائه أحمد بن عبد الله كما فى بعض الروايات — الى أن قال : واما تسميته ووصفه بالمهدي فقد ثبت له هذه الصفة فى عدة أخبار — الى أن قال — وأما كنيته فأبو عبد الله وأما نسبه فانه من أهل بيت رسول الله صى الله عليه وسلم ثم إن الروايات الكثيرة والاخبار الغزيرة ناطقة انه من ولد فاطمة البتول ابنة النبي الرسول صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وعن أولادها الطاهرين وجاء فى بعض الاحاديث انه من ولد العباس والاول أصح قال ابن حجر فى كتابه القول المختصر وأما ماروي « ان المهدي من ولد العباس عمي » فقال الدار قطني حديث غريب تفرد به محمد ابن الوليد مولى بني هاشم قال ولا ينافيه خبر الرافعي عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا ألا ابشرك يا عم ان من ذريتك الاصفياء ومن عترتك الخلفاء ومنك المهدي فى آخر الزمان .

به ينشر الله الهدى ويطفي نيران الضلالة ان الله فتح بنا هذا الامر وبذريتك يختم — ثم أورد ابن حجر عدة أخبار فى هذا المعنى — ثم قال فهذه الاخبار كلها لا تنافى ان المهدي من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة الزهراء لان الاحاديث التي فيها ان المهدي من ولدها أكثر وأصح بل قال بعض حفاظ الامة وأعيان الائمة أن كون المهدي من ذريته صلى الله عليه وسلم مما تواتر عنه ذلك فلا يسوغ العدول ولا الالتفات الى غيره وقال ابن حجر يمكن الجمع بأن يكون من ذريته صلى الله عليه وسلم وللعباس فيه ولادة من جهة ان فى أمهاتها عباسية .

والحاصل ان للحسن فى المهدي الولادة العظمى لان أحاديث كونه من ذريته أكثر وللحسين فيه ولادة ايضا وللعباس فيه ولادة أيضا ولا مانع من اجتماع ولادات وتعددات فى شخص واحد من جهات مختلفة وبالله التوفيق . ثم ذكر الشيخ السفاريني رحمه الله انخمس فوائد تكلم على كل واحدة منها الاولى فى حليته وصفته والثانية فى سيرته والثالثة فى علامات ظهوره والرابعة فى الاشارة الى بعض الفتن الواقعة قبل خروجه والخامسة فى مولده وبيعته ومدة ملكه ومتعلقات ذلك ثم قال بعد الانتهاء منالكلام على الفوائد الخمس : تنبيه قد كثرت الاقوال فى المهدي حتى قيل لا مهدي الا عيسى والصواب الذي عليه أهل الحق ان المهدي غير عيسى وانه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم ثم ذكر بعض الآثار والاحاديث فىخروج المهدي وأسماء بعض الصحابة الذين رووها ثم قال وقد روى عما ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضي اللهعنهم روايات متعددة وعنالتابعين من بعدهم ما يفيد مجموعة العلم القطعي فالايمانبخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون فى عقائد أهل السنة والجماعة .

وقالالشيخ محمدبشيرالسهسواني الهندى المتوفى سنة ست وعشرين وثلاثمائة والف فى كتابه صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان قال وبعد انقراض قرن الصحابة اتى امته ما يوعدون من الحوادث والبدع وكلما أحدثت بدعة رفع مثلها من السنة ولكن فى قرن التابعين وأتباع التابعين لم تظهرالبدع ظهورا فاشيا وأما بعد قرن أتباع التابعين فقد تغيرت الاحوال تغيرا فاحشا وغلبت البدع وصارت السنة غريبة واتخذ الناس البدعة سنة والسنة بدعة ولا تزال السنة فى المستقبل غريبة الا ما استثنى من زمان المهدى رضى الله عنه وعيسى عليه السلام الى ان تقوم الساعة على شرار الناس انتهى .

وقال الشيخ شمس الحق العظيم أبادي المتوفى سنة ١٣٢٩ فى حاشيته المسماة عون المعبود على سنن أبي داود قال :

وخرج احاديث المهدى جماعة من الائمة منهم أبو داود والترمذي وابن ماجه والبزار والحاكم والطبرانى وابو يعلي الموصلي واسندوها الى جماعة من الصحابة مثل على وابن عباس وابن عمر وطلحة وعبد الله بنمسعود وابى هريرة وانس وابى سعيد الخدري وأم حبيبة وأم سلمة وثوبان وقرة ابن اياس وعلى الهلالى وعبد الله ابن الحارث بن جزء ، رضى الله عنهم واسناد احاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف وقد بالغ

الامام المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون المغربي فى تاريخه فى تضعيف أحاديث المهدى كلها ولم يصب بل اخطأ انتهى .

وقال الشيخ محمد انور شاه الكشميري ١٣٥٢ هـ فى كتابه عقيدة الاسلام « فائدة» أخرج مسلم فى نزول عيسى عليه السلام عن جابر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاتزال طائفة من امتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم فيقول اميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الامة » قال الكشميرى المراد به انه لايؤم فى تلك الصلاة حتى لايتوهم ان الامة المحمدية سلبت الولاية فبعد تقرير ذلك فى أول مرة يكون الامام هو عيسى عليه الصلاة والسلام لكونه افضل من المهدى فالجواب الاصلى لامير المسلمين هو قوله لا فانها لك أقيمت كما عند ابن ماجة وغيره عن أبي أمامة وبعد ان كانت اقيمت له لو تقدم عيسى صلى الله عليه وسلم أوهم عزل الامير بخلاف ما بعد ذلك وهذا كاشارة نبينا صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه بعد ما كان شرع فى الصلاة ان لا يتأخر يعني أؤم فى هذه الصلاة لانها لك اقيمت ثم ذكر قوله تكرمة الله هذه الامة لفائدة زائدة وهى ان الامة على ولايتها وعيسى عليه السلام أيضا حينئذ منهم لا التعليل لعدم امامته حتى يتوهم استمرار عدمها انتهى .

وقال الشيخ عبد الرحمن المباركفورى ١٣٥٣ فى تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى فى باب ما جاء فى المهدى :

قلت الاحاديث الواردة فى خروج المهدى كثيرة جدا ولكن أكثرها ضعاف ولا شك فى ان حديث عبد الله بن مسعود الذي فى هذا الباب لا ينحط عن درجة الحسن وله شواهد كثيرة من بين حسان وضعاف فحديث عبدالله بن مسعود هذا مع شواهده وتوابعه صالح الاحتجاج بلا مرية فالقول بخروج المهدى وظهوره هو الحق والصواب والله اعلم .

هذه بعض الكلمات التي وقفت عليها لبعض أهل السنة والاثر فى شأن المهدى والاحتجاج بالاحاديث الواردة فيه ، وأعني بأهل السنة والاثر أهل الحديث ومن سار على منوالهم ممن جعل مستنده فى الاعتقاد كتاب الله وما ثبت عن رسوله صلى الله عليه وسلم دون الاعتراض على ذلك بخيال يسميه صاحبه معقولا ، وليس كل الذين نقلت كلامهم فيما تقدم بهذه المثابة بل منهم من هو على المعتقد الذي رجع عنه أبو الحسن الاشعرى رحمه الله وبعض هؤلاء ممن له عناية بالآثار وتمييز صحيحها من ضعيفها وذلك ان الحق يقبل من كل من جاء به وليعلم ان الاحاديث فى المهدى قد تلقتها الامة من اهل السنة والاشاعرة بالقبول الا من شذ

٨ ــ ذكر من وقفت عليه ممن حكى عنه انكار أحاديث المهدي أو التردد فىشأنه مع مناقشة كلامهباختصار .

فان قال قائل : قد اكثرت من النقل عن أهل العلم فى اثبات خروج المهدى فى آخر الزمان فلماذا ؟ وهل وقفت على ذكر انكار أحد لخروج المهـدي أو التردد فى شأنه عـلى الاقل ؟.

والجواب عن السؤال الاول هو : اننى اوردت بعض ما وقفت عليه من كلام اهل العلم بشأن خروج المهدى فى آخر الزمان لتزداد ايها المستمع ثباتا ويقينا بأن اعتقاد خروجه آخر الزمان هو الجادة المسلوكة ولتعلم انه الحق الذى لايسوغ العدول عنه والالتفات الى غيره وعمدة اهل العلم فى ذلك الاحاديث الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فىذلك اذ لامجال للراى فى مثل هذا الامر بل سبيلـه الوحيد هو الوحى لانه مـن الامور الغيبية .

أما الجواب عن السؤال الثانى فهو انى لم اقف على تسمية احد فى الماضين انكر أحاديث المهدي او تردد فيها سوى رجلين اثنين أما احدهما فهو ابو محمد بن الوليد البغدادى الذى ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاج السنة وقد مضى حكايـة كلام شيخ الاسلام عنه وانه قد اعتمد علىحديث لا مهدي الا عيسى بنمريم وقال ابن تيمية وليس مما يعتمد عليه لضـعفه انتهى وسبق فى أثناء كلام الذين نقلت عنهم انه لو صح هـذا الحديث فالجمع بينه وبـين احاديث المهدى ممكن . ولم أقف على ترجمة لابي محمد المذكور .

واما الثانى فهو عبد الرحمن بـن خلدون المغربى المؤرخ المشهور وهو الذي اشتهر بين الناس عنه تضعيف لاحاديث المهدى وقد رجعت الـى كلامه فى مقدمة تاريخـه فظهـر لي منه التردد لا الجزم بالانكار ، وعلى كل حالفانكارها أوالتردد فى التصديق بما دلت عليه شذوذ عن الحق ونكوب عن الجادة المطروقة وقد تعقبه الشيخ صديق حسن فى كتابه الاذاعة حيث قال : لاشك ان المهدي يخرج فى آخر الزمان من غير تعيين لشهر وعام لما تواتر من الاخبار فىالباب واتفق عليه جمهور الامة خلفا عن سلف الا من لايعتد بخلافه ــ وقـال : لا معنى للريب فى امر ذلك الفاطمى الموعود والمنتظر المدلول عليه بالادلة بل انكار ذلك جراة عظيمة فى مقابلة النصوص المستفيضة المشهورة البالغة الى حد التواتر انتهى .

ولى ملاحظات علىكلام ابن خلدون أرى ان اشير اليها هنا :

الاولى : انه لو حصل التردد فى أمر المهدى من رجل له خبرة بالحديث لاعتبرذلك زللاً منه فكيف اذا كانمن الاخباريين الذين هم ليسوا من اهل الاختصاص وقد احسن الشيخ أحمد شاكر فى تخريجه لاحاديث المسنـد حيث قال : ــ اما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علم واقتحم قحما لم يكن من رجالها وقال انه تهافت فى الفصل الذى عقده فى مقدمته للمهدى تهافتا

عجيبا وغلط اغلاطا واضحة وقال ان ابن خلدون لم يحسن قول المحدثين « الجرح مقدم على التعديل » ولو اطلع على اقوالهم وفقهها ما قال شيئا مما قال :

الثانية : صدر ابن خلدون الفصل الذى عقده فى مقدمته للمهدى بقوله : اعلم ان فى المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الاعصار انه لابد فى آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الاسلامية ويسمى بالمهدى ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة فى الصحيح على اثره وان عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله ويأتم بالمهدي فى صلاته ويحتجون فى الشأن بأحاديث خرجها الائمة وتكلم فيها المنكرون لذلك وربما عارضوها ببعض الاخبار .

أقول هذه الشهادة التى شهدها ابن خلدون وهى ان اعتقاد خروج المهدى هو المشهور بين الكافة من أهل الاسلام على ممر الاعصار ، الا يسعه فى ذلك ما وسع الناس على ممر الاعصار كما ذكر ابن خلدون نفسه ، وهل ذلك الا شذوذ بعد معرفة ان الكافة على خلافه وهل هؤلاء الكافة اتفقوا على الخطأ والامر ليس اجتهاديا وانما هو غيبى لايسوغ لاحد اثباته الا بدليل من كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والدليل **معهم وهم أهل الاختصاص .**

الثالثة : انه قال قبل أيراد الاحاديث : ونحن الان نذكر هنا الاحاديث الواردة فى هذا الشأن وقال فى نهايتها : فهذه جملة الاحاديث التى خرجها الأئمة فى شأن المهدى وخروجه آخر الزمان وقال فى موضع آخر بعد ذلك وما اورده اهل الحديث من اخبار المهدى قد استوفينا جميعه بمبلغ طاقتنا .

واقول انه قد خانه الشيء الكثير كما يتضح ذلك بالرجوع الى ما اثبته السيوطى فى العرف الوردى فى اخبار المهدى عن الأئمة ، بل ان مما فاته الحديث الذى ذكره ابن القيم فى المنار المنيف عن الحارث ابن ابى اسامة وقال اسناده جيد وتقدم ذكره بسنده وحاصل ما قيل فى رجاله .

الرابعة : وقال ان جماعة من الأئمة خرجوا احاديث المهدى فذكرهم وذكر الصحابة الذين اسندوها اليهم ثم قال ربما يعرض لاسانيدها المنكرون كما نذكره الا ان المعروف عند اهل الحديث ان الجرح مقدم على التعديل فاذا وجدنا طعنا ببعض رجال الاسانيد بغفلة أو سوء حفظ أو ضعف أوسوء رأي تطرق ذلك الى صحة الحديث وأوهن منها ولا تقولن مثل ذلك ربما يتطرق الى رجال الصحيحين . فان الاجماع قد اتصل فى الامة على تلقيهما بالقبول والعمل بما فيهما وفى الاجماع اعظم حماية واحسن دفعا وليس غير الصحيحين بمثابتهما فى ذلك فقد نجد مجالا للكلام فى اسانيدها بما نقل عن أئمة الحديث فى ذلك انتهى . اقول : **ان ابن خلدون أورد بعض الاحاديث**

وقدح فيها برجال فى اسانيدها هم من رجال الصحيحين أو احدهما وذلك تناقض يخالف المبدأ الذى رسمه لنفسه وهو قوله : ولا تقولن مثل ذلك ربمايتطرق لرجال الصحيحين ، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على صحة ما ذكره عنه الشيخ أحمد شاكر حيث قال : أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس به علم واقتحم قحما لم يكن من رجالها ، ومما اورده من الاحاديث وقدح فيه برجال هم من رجال الصحيحين أو احدهما قوله : وخرج الحاكم فى المستدرك عن على رضى الله عنه من رواية أبي الطفيل عن محمد بن الحنفية قال كنا عند على رضى الله عنه فسأله رجل عن المهدى فقال لههيهات ثم عقدبيده سبقا فقال ذلك يخرج فى آخر الزمان اذا قال الرجل الله الله قتل الى آخر الحديث قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، انتهى ثم قال ابن خلدون وانماهوعلىشرط مسلم فقط فان فيه عمارا الدهني ويونسابن أبي اسحاق لم يخرج لهما البخارى وفيه عمرو بن محمد العنقرى ولم يخرج له البخارى احتجاجا بل استشهادا مع ما ينضم الى ذلك من تشيع عمار الدهني وهو وان وثقه أحمد وابن معين وابو حاتم والنسائى وغيرهم فقد قال على ابن المدينى عن سفيان ان بشر بن مروان قطع عرقوبية قلت فى أي شيء قال فىانتشيع انتهى وهؤلاء الثلاثة الذين قدح فى الحديث من اجلهم هم من رجال مسلم ، وذلك مناقض للخطة التى رسمها أولا كما هو واضح .

الخامسة : ان ابن خلدون نفسه قد اعترف بسلامة بعض احاديث المهدى من النقد حيث قال بعد ايراد الاحاديث فى المهدى : فهذه جملة الاحاديث التى خرجها الأئمة فى شأن المهدى وخروجه آخر الزمان وهى كما رأيت لم يخلص منها من النقد الا القليل والاقل منه انتهى واقول ان القليل الذى يسلم من النقد يكفى للاحتجاج به ويكونالكثير الذى لم يسلم عاضدا له ومقويا على انه قد سلم الشيء الكثير كما تقدم ذلك فى حكاية كلام القاضى محمد بن على الشوكانى الذي حكى تواترها وقال ان فيها خمسينحديثا فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر ، ثم انه فى آخر البحث ذكر ما يفيد تردده فى أمر المهدى وذلك يفيد عدمثبات رأيه لكونه تكلم فيه بما ليس باختصاصه .

هذه بعض الملاحظات على كلام ابن خلدون فى شأن المهدي سأستوفى الكلام فيها مع ملاحظات أخرى عليه فى الرسالة التي أنا بصدد تأليفها فى هذا الموضوع ان شاء الله تعالى :

وقد اطلعت على رسالة لابى الاعلى المودودي اسمها « البيانات » تكلم فيها عن ظهور المهدى لاحظت فيها امورا لايتسع الوقت لاستيفائها جميعها ولكنى اشير الى ثلاثة منها .

الاول فى قوله : والاحاديث فىهذه المسألة على نوعين احاديث فيها

الصراحة بكلمة المهدى واحاديث انما اخبر فيها بخليفة يولد فى آخر الزمان ويعلي كلمة الاسلام وليس سنداي رواية من هذين النوعين من القوة حيث يثبت امام مقياس الامام البخارى لنقد الروايات فهو لم يذكر منها أي رواية فى صحيحه وكذلك ما ذكر منها الامام مسلم الا رواية واحدة فى صحيحه ولكن ما جاءت فيها ايضا الصراحة بكلمة المهدي انتهى ، أقول : ان احاديث المهدى وان لم ترد فى الصحيحين بالتفصيل الذى جاء فى غيرهما فعدم ورودها فيهما لا يقدح فيها لما كانت قد ثبتت فى غيرهما ومعلوم ان غير الصحيح من السنن والمسانيد والاجزاء فيها الصحاح والحسان والضعاف وعلماء الحديث قد قبلوها واحتجوا بها واعتقدوا موجبها . وكتب الاصول والفروع مملوءة من الاحاديث الصحيحة فى غير الصحيحين يوردونها للاستدلال بها . وبهذه المناسبة أرى أن أذكر بعض الاحاديث التى وردت فى السنن والمسانيد وغيرهما والتى يستدل بها فى كتب العقائد وذلك على سبيل التمثيل :

١ ــ الحديث المشتمل على العشرة المبشرين فى الجنة رضي الله عنهم فانه فى السنن ومسند الامام أحمد وغيره وليس فى الصحيحين ومع ذلك اعتقدت الامة موجبه وقل ان يوجد مؤلف فى العقائد ولو كان مختصرا إلا وهو متضمن التنصيص على ذكرهم والشهادة لهم بالجنة بناء على الاحاديث الواردة فى ذلك فى غير الصحيحين كما ان هناك أناسا آخرين من الصحابة شهد لهم بالجنة لكن اختص هؤلاء بلفظ العشرة لان النبى صلى الله عليه وسلم جمعهم فى حديث فقال ابو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة. والزبير بن العوام فى الجنة وعبدالرحمن بن عوف فى الجنة وسعد بن أبي وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فى الجنة وابو عبيدة ابن الجراح فى الجنة وقد وردت الشهادة لبعضهم فى الجنة فى الصحيحين لكن الجمع بينهم جميعهم انما جاء فى غير الصحيحين رضى الله عنهم وارضاهم وحشرنا فى زمرتهم وثبتنا على السنة حتى نلحق بهم .

٢ ــ الحديث الدال على ان نسمة المؤمن طائر يعلق فى الجنة لم يرد فى الصحيحين وقد اعتقد الناس موجبه واستدلوا به وأورده شارح الطحاوية وغيره وقد اورده ابن كثير فى تفسيره لقوله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا فقال : وقد روينا فى مسند الامام أحمد بن حنبل حديثا فيه البشارة لكل مؤمن بان روحه تكون فى الجنة تسرح فيها وتأكل من ثمارها وترى مافيها من النضرة والسرور وتشاهد ما اعد الله لها من الكرامة وهو باسناد صحيح عزيز عظيم اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الاربعة اصحاب المذاهب المتبعة فان الامام احمد رحمه الله رواه عن محمد بن ادريس الشافعى

رحمه الله عن مالك بن انس الاصبحى رحمه اللهعن الزهرىعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه ونسأل الله الذي جمعهم فى سندهذا الحديث ان يجمع أرواحهم فيما يقتضيه متنه وايانا بمنه وكرمه . وهذا انما هو بالنسبة لغير الشهداء أما الشهداء فقد جاء فى صحيح مسلم وغيره أن أرواحهم فى أجواف طير خضر .

٣ ــ حديث البراء بن عازب رضى الله عنه الطويل فى نعيم القبر الذي وصف فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ما يجرى عند الموت حتى البعث وهو فى مسند الامام احمد وغيره ولبعضه شواهد فى الصحيح وقد أورده شارحالطحاوية وقال عقب ايراده وذهب الى موجب هذا الحديث جميع اهل السنة والحديث . وكذا الحديث الذي فيه تسمية الملكين السائلين فى القبر بالمنكر والنكير لم يرد فى الصحيحين وقد اعتقد موجبه أهل السنة واورده شارح الطحاوية مستدلا به .

٤ ــ الحديث الذى رواه الامام أحمد وغيره الدال على وزن الاعمال وهو حديث البطاقة والسجلات لم يرد فى الصحيحين واعتقد اهل السنة موجبه واورده شارح الطحاوية للاستدلال به على ان ميزان الاعمال له كفتان وعلى وزن صحائف الاعمال،

ولا يتسع المقام لايراد الكثير من الامثلة فى ذلك فاكتفى بهذا القدر .

والحاصل ان الاحاديث اذا كانت صحيحة يجب العمل بموجبها سواء كانت فى الصحيحين أو فى غيرهما ومن ذلك احاديث المهدى .

الثانى من الامور التى لاحظتها فى كلمة أبي الاعلى المودودي عن المهدي فى كتابه البيانات فى قوله « ولا يمكن بتأويل مستبعد ان فى الاسلام يأتي تأويل مستبعد ان فى الاسلام منصبا دينيا يعرف بالمهدوية يجب على كل مسلم ان يؤمن بهويترتب على عدم الايمان به طائفة من النتائج الاعتقادية والاجتماعية فى الدنيا والاخرة . اقول بل الذى لا شك فيه انه يستنبط من الاحاديث الصحيحة فى شأن المهدى حصول الاخبار من الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم بوجود امام للمسلمين عند نزول عيسى بن مريم يوافق اسمه اسم النبى صلى الله عليه وسلم واسم ابيه اسم ابى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أهل بيته ويقال له المهدي والواجب على كل مسلم ان يصدق أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم التي يخبر بها عن امور مغيبة مطلقا بما فى ذلك أخبار المستقبل كاخباره عن المهدى وعن الدجال وما الى ذلك من الاخبار .

الثالث : فى قوله « ومما يناسب ذكره بهذا الصدد انه ليس من عقائد الاسلام عقيدة عن المهدى ولم يذكرها كتاب من كتب أهل السنة للعقائد » .

أقول من عقائد أهل السنة التصديق

بكل ما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاخبار ومن ذلك اخباره بشأن المهدى ، وكتب العقائد عند اهل السنة قد أوضحت ذلك فقد قال الشيخ محمد السفارينى المتوفى سنة ١١٨٨ هـ فى نظمه لعقيدة السلف المسمى « الدرة المعنية فى عقد الفرقة المرضية » .

وما أتى بالنص من أشراط
فكله حق بلا شطاط
منها الامام الخاتم الفصيح
محمد المهدى والمسيح

ثم انه أوضح ذلكفى شرحه المسمى بلوامع الانوار البهية فقال تنبيه : قد كثرت الاقوال فى المهدى حتى قيل لا مهدى الا عيسى بن مريم والصواب الذى عليه أهل الحق ان المهدى غير عيسى وانه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوى وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم ثم ذكر بعض الآثار والاحاديث فى خروج المهدى واسماء بعض الصحابة الذين رووها ثم قال وقد روى عمنذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم رضى الله عنهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم ما يفيد مجموعه العلم القطعى فالايمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون فى عقائد أهل السنة والجماعة انتهى .

وكما انه مدون فى كتب العقائد عند اهل السنة والجماعة فهو أيضا مدون فى كتب العقائد التي تمسك أربابها بمذهب ابى الحسن الاشعرى قبل رجوعه الى عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقد تقدم نص كلام الشيخ ملا على قارى الحنفى الذى هو على مذهب الاشاعرة والذى نقلته من شرحه على الفقه الاكبر وفيه ترتيبه لاشراط الساعة القريبة من قيامها وجعله خروج المهدى أولها وان عيسى عليه الصلاةوالسلاميصلي خلفه وفيه قوله : وفى شرح العقائد : الاصح ان عيسى عليه الصلاة والسلام يصلى بالناس ويؤمهم ويقتدى به المهدى لانه افضل وامامته أولى انتهى .

وكذا تقدم فى كلام الشيخ عبد الرؤوف المناوى قوله بعد ذكر ائتمام عيسى بالمهدى : ولا ينافى ما ذكر فى هذا الحديث ما اقتضاه بعض الآثار من ان عيسى هو الامام بالمهدى وجزم به السعد التفتازاني بأفضليته وعلله لإمكان الجمع بأن عيسى يقتدي بالمهدى أولا ليظهر انه نزل تابعا لنبينا حاكما بشرعه ثم بعد ذلك يقتدى المهدى به على اصل القاعدة من اقتداء المفضول بالفاضل انتهى .

ذكر بعض ما قد يظن تعارضه مع الاحاديث الواردةفى المهدىمع الجواب عن ذلك :

١ ــ تقدم فى اثناء كلام الائمة الذين حكيت كلامهم ان حديث لا مهدى الا عيسى بن مريملايتعارض مع الاحاديث الصحيحة الواردة فى المهدى لضعفه ولامكان الجمع بينها لو صح بأن يكون معناه لا مهدى كاملا معصوما الا عيسى بن مريم صلى الله عليه

وسلم وذلك ينفي ان يكون غيره مهديا غير معصوم كالمهدى الذى دلت عليه الاحاديث .

٢ ــ ان ما دلت عليه أحاديث المهدى من قيام المهدى بنصرة الدين وامتلاء الارض فى زمانه من العدل لا ينافيه وجود الدجال واتباعه فى زمانه ومعاداتهم للمسلمين وكذا الادلة الدالة على بقاء الاشرار مع الاخيار حتى تخرج الريح اللية التى تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة ولا يبقى بعد ذلك الاشرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة ، لان المراد مما جاء فى احاديث المهدى كثرة الخير وقوة اهل الاسلام وحصول الغلبة لهم وقهرهم لغيرهم وهذا لا ينفي وجود اشرار مغمورين فى زمانه كما اننا نعتقد ان الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاءه الراشدين رضى الله عنهم قد ملأوا الارض عدلا ومع ذلك فى الارض فى زمانهم من أعدائهم الكثير قل فللّه الحجة البالغة فلوشاء لهداكم اجمعين

٣ ــ ان ما دلت عليه احاديث المهدي من امتلاء الارض ظلما وجورا قبل خروجه لايدل على خلو الارض من اهل الخير قبل زمانه فالرسول صلى الله عليه وسلم اخبر فى احاديث صحيحة بأنه لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين حتى يأتي أمر الله ومنها الحديث الذى رواه مسلم عن جابر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاتزال طائفة من امتى يقاتلون على الحق ظاهرين الى يوم القيامة قال فينزل عيسى بن مريم فيقول اميرهم تعال صل لنا فيقول لا ان بعضكم على بعض امراء تكرمة الله هذه الامة ، وهذه الاحاديث وأحاديث المهدى تدل على ان الحق مستمر لا ينقطع لكنه فى بعض الازمان يكون لاهله الغلبة ويحصل له الانتشار كما فى زمن الرسول صلى الله علبه وسلم وخلفائه الراشدين وكما فى زمن المهدى وعيسى بن مريم وفى بعض الازمان يتضاءل هذا الانتشار ويضعف أهله أما ان الحق يتلاشى ويضمحل فهذا ما لم يكن فيما مضى منذ زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يكون فى المستقبل حتى خروج الريح التى تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة كما اخبر بذلك الذى لاينطق عن الهوى صلوات وسلامه عليه فما من زمن فى الماضى الا وقد هيأ الله لهذا الدين من يقوم به وفى هذا الزمن الذى تكالب اعداء الاسلام عليه وغزى بابنائه المنتسبين اليه أعظم من غزوه بأعدائه لم تخل الارض من اقامة شعائر الدين الاسلامى ومن ذلك ما امتن به على حكومة البلاد المقدسة من التوفيق لتحكيم الشريعة وتعميم المحاكم الشرعية فى مدن المملكة وقراها يتحاكم الناس فيها الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم على وجه لانظير له فى سائر أنحاء الارض فيما نعلم فيرجم الزانى المحصن ويجلد البكر ويحد شارب الخمر وتقطع يد السارق ويقتل القاتل وغير ذلك وما حصل فى هذه

البلاد من الامن والاستقرار ورغد العيش انما هو من الثواب المعجل على القيام بالدين زادها الله من كل خير وحماها من كل شر ووفق المسلمين جميعا فى سائر انحاء الارض لما فيه عزهم وسعادتهم فى دنياهم واخراهم.

كلمة ختامية :

ان احاديث المهدى الكثيرة التى ألف فيها مؤلفون وحكى تواترها جماعة واعتقد موجبها اهل السنة والجماعة وغيرهم من الاشاعرة تدل على حقيقة ثابتة بلا شك هى حصول مقتضاها فى آخر الزمان ولا صلة البتة لهذه الحقيقة الثابتة عند اهل السنة بالعقيدة الشيعية فان مايعتقده الشيعة من خروج مهدي منتظر يسمى محمد بن الحسن العسكرى من نسل الحسين رضى الله عنه لا حقيقة له ولا اصل وعقيدتهم بالنسبة لمهديهم فى الحقيقة عقيدة موهومة كما ان أمامة الائمة الماضين عندهم فى الحقيقة امامة موهومة لا حقيقة لها ولا وجود الا امامة على ابن ابى طالب وابنه الحسن رضى الله عنهما وهما بريئان منهم ومن اعتقادهم بلا شك اما اهل السنة فمعتقدهم فى الماضي حقيقة موجودة وسادات الأئمة عندهم هم الخلفاء الراشدون رضى الله عنهم وقد تولوا الامامة حقا وكانوا احق بها وأهلها ومعتقدهم فى المستقبل عند نزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم حقيقة ثابتة بلا شك أيضا فلا عبرة بقول من قفا ماليس له به علم وقال ان الاحاديث فى المهدى لاتصح نسبتها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها من وضع الشيعة كما تقدمت الاشارة الى هذا فى اول المحاضرة .

واذا فان احاديث المهدى على كثرتها وتعدد طرقها واثباتها فى دواوين أهل السنة يصعب كثيرا القول بأنه لا حقيقة لمقتضاها الا على جاهل أو مكابر أو من لم يمعن النظر فى طرقها وأسانيدها ولم يقف على كلام أهل العلم المعتد بهم فيها ، والتصديق بها داخل فى الايمان بأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لان من الايمان به صلى الله عليه وسلم تصديقه فيما أخبر به وداخل فى الايمان بالغيب الذي امتدح الله المؤمنين به بقوله : الم ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب وداخل فى الايمان بالقدر فان سبيل علم الخلق بما قدره الله امران :

أحدهما وقوع الشيء فكل ما كان ووقع علمنا ان الله قد شاءه لانه لا يكون ولا يقع الا ما شاءه الله وماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

الثاني : الاخبار بالشيء الماضي الذي وقع وبالشـيء المستقبل قبل وقوعه من الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم فكـل ماثبت اخباره به من الاخبار فى الماضى علمنا بأنه كان على وفق خبره صلى الله عليه وسلم وكل ما ثبت اخباره عنـه مما يقع فى المستقبل نعلم بأن الله قد شاءه وانه لابد وان يقع على وفـق خبره صلى الله عليه وسلم كاخباره صلى الله عليه وسلم بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام فى آخر الزمان واخباره بخروج المهـدى وبخروج الدجال وغير ذلك من الاخبار فانكار احاديث المهدى أو التردد فى شأنه أمر خطير نسأل ألله السلامة والعافية والثبات على الحق حتى الممات ، اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هـداة مهتدين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . ؟

●———●

وبعد انتهاء المحاضر من القاء هذه المحاضرة قام فضيلة نائب رئيس الجامعة الاسلامية الشيخ عبدالعزيز بن عبد الله بن بازفعلق على المحاضرة بالكلمة التالية نقلت مـن شريط التسجيل وعرضت على فضيلته بعد نقلها فاذن بنشرها .

الحمد لله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله واصحابه ومن سلك سبيله واهتدى بهداه الى يوم الدين . أما بعد : فانا نشكر محاضرنا الاستاذ الفاضل الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد على هـذه المحاضرة القيمة الواسعة فلقد اجاد فيها وافاد واستوفى المقام حقا فيما يتعلق بالمهدى المنتظر مهدى الحق ، ولا مزيد علـى ما بسطه من الكلام فقد بسط واعتنى وذكر الاحاديث ، وذكر كلام اهل العلم فى هذا الباب وقد وفقللصواب وهدى الى الحق ، فجزاه الله عن محاضرته خـيرا وجزاه الله عن جهوده خيرا وضاعف لـه المثوبة وأعانه عـلى التكميل والاتمام لرسالته فى هـذا الموضوع ، وسوف نقوم — از شاء الله — بطبعها بعد انتهائه منهـا لعظم فائدتها ومسيس الحاجة اليها والخلاصة التى أعلقها على هـذه المحاضرة القيمة ان أقول :

ان الحق والصواب هو ما ابداه فضيلته فى هـذه المحاضرة ، كمـا بينه أهل العلم فأمر المهدى أمر معلوم والاحاديث فيه مستفيضة بل متواترة متعاضدة ، وقد حكى غير واحد من أهل العلم : تواترها ، كما حكـاه الاستاذ فى هذهالمحاضرة وهى متواترة تواترا معنويا لكثرة طرقها ، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها

فهى بحق تدل على ان هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق وهو (محمد بن عبد الله العلوى الحسني من ذرية الحسن بن علي بن ابى طالب رضى الله عنه وهذا الامام من رحمة الله عز وجل بالامة فى آخر الزمان يخرج فيقيم العدل والحق ويمنع الظلم والجور ، وينشر الله به لواء الخير على الامة عدلا وهداية وتوفيقا وارشادا للناس .

وقد اطلعت على كثير من احاديثه فرأيتها كما قال الشوكانى وغيره ، وكما قال ابن القيم وغيره : فيها الصحيح وفيها الحسن ، وفيها الضعيف المنجبر ، وفيها اخبار موضوعة ، ويكفينا من ذلك ما استقام سنده سواء كان صحيحا لذاته أولغيره وسواء كان حسنا لذاته أو لغيره ، وهكذا الاحاديث الضعيفة اذا انجبرت وشد بعضها بعضا فانها حجة عند اهل العلم .

فان المقبول عندهم اربعة أقسام : صحيح لذاته ، وصحيح لغيره ، وحسن لذاته وحسن لغيره . هذا ما عدا المتواتر ، أما المتواتر فكله مقبول سواء كان تواتره لفظيا أو معنويا فأحاديث المهدى من هذا الباب متواترة تواترا معنويا، فتقبل بتواترها من جهة اختلاف الفاظها ومعانيها وكثرة طرقها وتعدد مخارجها . ونص اهل العلم الموثوق بهم على ثبوتها وتواترها . وقد رأينا أهل العلم اثبتوا أشياء كثيرة بأقل من ذلك ، والحق ان جمهور اهل العلم بل هو الاتفاق على ثبوت امر المهدى ، وانه حق ، وانه سيخرج فى آخر الزمان اما من شذ عن اهل العلم فى هذا الباب فلا يلتفت الى كلامه فى ذلك واما ما قاله الحافظ اسماعيل بن كثير رحمه الله عليه فى كتابه التفسير فى سورة المائدة عند ذكر النقباء ، وان المهدى : يمكن ان يكون احد الأئمة الاثنى عشر فهذا : محل نظر ، فان الرسول عليه الصلاة والسلام قال : لايزال أمر هذه الامة قائما ما ولى عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش فقوله : لا يزال أمرهذه الامة قائما . يدل على ان الدين فى زمانهم قائم ، والامر نافذ ، والحق ظاهر . ومعلوم ان هذا انما كان قبل انقراض دولة بني أمية ، وقدجرى فى آخرها اختلاف تفرق بسببه الناس ، وجعل نكبة على المسلمين وانقسم امر المسلمين الى خلافتين : خلافة فى الاندلس وخلافة فى العراق ، وجرى من الخطوب والشرور ما هو معلوم .

والرسول عليه الصلاة والسلام قال : لايزال أمر هذه الامة قائما : ثم جرى بعد ذلك أمور عظيمة حتى اختل نظام الخلافة وصار على كل جهة من جهات المسلمين أمير وحاكم وصارت دويلات كثيرة . وفى زماننا هذا اعظم واكثر .

والمهدى حتى الآن لم يخرج ،فكيف يصح ان يقال ان الامر قائم الى خروج المهدى هذا لا يمكن ان يقوله من تأمل ونظر . ؟

والاقرب فى هذا كما قاله جماعة من أهل العلم : ان مراد النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث " لايزال أمر هذه الامة قائما ما ولي عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش ان مراده من ذلك : الخلفاء الاربعة ، ومعاوية رضي الله عنه وابنه يزيد ، ثم عبد الملك بن مروان واولاده الاربعة وعمر بن عبد العزيز هؤلاء اثنا عشر خليفة والمقصود ان الأئمة الاثنى عشر فى الاقرب والاصوب ينتهى عددهم بهشام بن عبد الملك ، فان الدين فى زمانهم قائم والاسلام منتشر والحق ظاهر والجهاد قائم ، وما وقع بعد موت يزيد من الاختلاف والانشقاق فى الخلافة وتولى مروان فى الشام وابن الزبير فى الحجاز لم يضر المسلمين فى ظهور دينهم ، فدينهم ظاهر وأمرهم قائم وعدوهم مقهور مع وجود هذا الخلاف الذي جرى ثم زال بحمد الله بتمام البيعة لعبد الملك واجتماع الناس بعد ما جرى من الخطوب على يد الحجاج وغيره وبهذا يتبين ان هذا الامر الذى اخبر به صلى الله عليه وسلم قد وقع ومضى وانتهى ، وامر المهدى يكون فى آخر الزمان وليس له تعلق بحديث جابر بن سمرة . أما كون المهدى يكون عند نزول عيسى فقد قال ابن كثير فى الفتن والملاحم : أظنه يكون عند نزول المسيح ، والحديث الذى رواه الحارث بن ابى اسامة يرشد الى هذا ويدل على هذا لانه قال اميرهم المهدى فهو يرشد الى انه يكون عند نزول عيسى ابن مريم كما يرشد اليه بعض روايات مسلم وبعض الروايات الاخرى لكن ليست بالصريحة فهذا هو الاقوم والاظهر ولكنه ليس بالامر القطعى . اما كونه سيخرج أو ويوجد فى آخر الزمان كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فهذا أمر معلوم . والاحاديث ظاهرة فى ذلك ، والحق كما قاله الأئمة والعلماء فى ذلك انه لابد من خروجه وظهوره .

وأما امر المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام ، وأمر المسيح الدجال فأمرهما أظهر وأظهر فالامر فيها قطعى وقد اجمع على ذلك علماء

الامة وبينوا للناس ان المسيح نازل فى آخر الزمان كما ان الدجال خارج فى آخر الزمان وقد تواترت بذلك الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم وكلها صحيحة متواترة بنزول عيسى عليه الصلاة والسلام فى آخر الزمان وحكمه بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام وقتله الدجال مسيح الضلالة .

هذا حق وهكذا خروج الدجال حق أما من انكر ذلك وزعم ان نزول المسيح بن مريم ووجود المهدى اشارة الى ظهور الخير ، وان وجود الدجال ويأجوج ومأجوج وما اشبه ذلك اشارة الى ظهور الشر فهذه اقوال فاسدة بل باطلة فى الحقيقة لاينبغى ان تذكر فأهلها قدحادوا عن الصواب وقالوا امرا منكرا ، وامرا خطيرا لا وجه له فى الشرع ولا وجه له فى الاثر ولا فى النظر والواجب تلقى ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبول والايمان به والتسليم ، فمتى صح الخبر عن رسول الله فلا يجوز لاحد ان يعارضه برأيه واجتهاده ، بل يجب التسليم كما قال الله عز وجل (فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) . **وقد اخبر صلى الله عليه وسلم بهذا الامر عن الدجال وعن المهدى وعن عيسى المسيح بن مريم ووجب تلقى ما قاله بالقبول والايمان بذلك والحذر من تحكيم الرأى والتقليد الاعمى الذى يضر صاحبه ولا ينفعه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .**

وأسأل الله عز وجل أن يوفق الجميع لما فيه رضاهوان يمنحنا جميعا الفقه فى دينه والثبات على الحق حتى نلقى ربنا سبحانه وتعالى واعود ايضا فاشكر فضيلة الاستاد على محاضرته القيمة الواسعة واسأل الله له المعونة على الاتمام والاكمال حتى تطبع وتنشر فينتفع بها الناس وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه .

نظرات في دعوة المبشرين

للشيخ ممدوح فخري المدرس في الجامعة الاسلامية

تميز عصر النهضة فى اوربا بالنسبة للمسيحية بظاهرتين متناقضتين ، ظاهرة الانكماش فى الداخل وظاهرة الانطلاق فى الخارج ، وذلك حينما انجلى الصراع المرير بين الدين والعلم أو بتعبير أدق بين رجال الدين وتيار التطور العلمى الهائل الذى بدأ فى اوروبا ، انجلى ذلك الصراع بهزيمة مروعة لرجال الدين ووضع بذلك حد لذلك الطغيان الذى مارسه أولئك الرجال باسم الدين عبر القرون وكانوا سدا منيعا أمام كل حركة فكرية حرة تحاول اخراج الناس من حكم هذا الكابوس الرهيب الذى يفرض سلطانه باسم الله ، ويعتبر كل خروج عليه خروجا على الله ، ويبطش البطشة الكبرى مستهدفا الرؤوس المفكرة والعقول الكبيرة ورواد العلم والمعرفة الذين يهددونه فى وجوده وكيانه .

ولكن سنن الله الكونية لاتغالب والظلم لايدوم ولا يستطيع أحد ان يحول بين العقل وبين استخدام حقه الطبيعى فى التفكير والانطلاق ، ولا يستطيع الطغيان ان يكون حاجزا أبديا امام العلم والمعرفة والحرية لذلك سرعان ما انهارت السدود « المقدسة » أمام زحف التيار العلمى والتقدم الفكرى وازيحت الكنيسة ورجالها كعقبة رئيسية فى طريق التطور وفقدوابذلك كلسلطان لهم فى المجتمع فاقصوا عن مراكز الحكم وطردوا من المدارس وانتزعت منهم اداة التوجيه والتربية وانزوت المسيحية فىالكنائس والاديرة وسجنت هناك ولم يعد يسمح لها بأن تدس بأنفها باسم رجالها فى شؤون الناس.

أمام هذا الانهزام بحث رجال الدين المسيحى عن ميدان آخر يمارسون فيه نشاطهم ويعرضون فيه بضاعتهم وقد نبذتهم أرضهم ولفظهم اهلهم وابناؤهم .

وكان المجال الطبيعى لهم هو البلاد المتخلفة دينيا وحضاريا ، وكان العالم الاسلامى فى مقدمة هذه البلاد المتخلفة لذلك كان الهدف الرئيسى للمبشرين الذين انطلقوا فى الارض يبشرون لا بالديانة المسيحية ولكن بالاستعمار الجديد الذى كانوايمثلون طلائعه فى كل بلد ، وكانت مراكزهم ومدارسهم القواعد الفكرية التى مهدت للاستعمار وروجت للغزو الفكرى والحضارى .

وأوجدت القابلية للاحتلال وقدمت المبررات والمسوغات لهذا الغزو باسم العلم والمدنية وعلى انه الطريق الوحيد للتقدم والرقى واللحاق بركب الحضارة ، وقد خدمت حركة التبشير هذه جهتين مختلفتين : الجهة الاولى: هم المبشرون الذين وجدوا مصدرا جديدا للارتزاق بعد ان سدت فى وجوههم ابواب الرزق فى بلادهم ، والجهة الثانية هى الدول الاستعمارية « اللادينية » التى تولت طرد هؤلاء من بلادهم ثم امدتهم بعد ذلك بالمال الوفير لا ايمانا منها بدعوتهم ولكن لان المبشرين كانوا ولم يزالوا طلائع الغزو الاستعمارى والممهدين له بغزو فكرى مسبق . وعلى هذا الاساس كان هذا التلاقى الغريب بين الاضداد فى حركة التبشير .

ولقد حمل المبشرون أوزارهم وجاؤوا يدعون اليها فى بلاد المسلمين، جاؤوا ببضاعتهم المزجاة وتجارتهم البائرة التى لم تجد لها سوقا رائجة بين ابناء جلدتهم جاؤوا الى بلاد المسلمين آملين ان يجدوا سوقا نافقة لبضاعة اعرض عنها اهلها وذووها جاؤوا ليجدوا أمة غنية فى العقيدة غنية فى الشريعة غنية فى الاخلاق غنية فى التراث العلمى العريق ، ذات ماض مجيد وحضارة مشرقة تتلألأ فى بطون التاريخ ، ووجدوا معذلك كله تخلفا مريعا فى ميدان العلم والاخذ باسباب الحياة الجديدة ومسايرة ركب الحضارة ، مع جهل فاضح بالدين الذى ينتمون اليه وبالتراث الذى ينسب اليهم .

أضف الى ذلك فقرا مدقعا يعم امة تتحكم فى مصادر الثروة فى العالم تقريبا . ومن هذه النوافذ الكبرى والفجوات الواسعة فى حياة المسلمين تسرب المبشرون الى بلادهم ثم الى قلوبهم وافكارهم وكان ذلك الانقلاب الهائل فى حياة المسلمين على ايدى المثقفين من ابنائهم الذين ربوا فى محاضن التبشير وغذوا بألبانهم الفاسدة المصبوغة بصبغة العلم والمعرفة ، ذلك الانقلاب الذى يتجسد فى جماهير المثقفين المرتدين من ابناء المسلمين ، المتنكرين لدينهم ولتاريخهم ولتراثهم الفكرى والعلمى والقابلين ان يتنازلوا عن مكانتهم فى التاريخ ومركزهم فى العالم وان يسيروا فى ذنب القافلة يقلدون غيرهم ويحكون اقوالهم واعمالهم بعد ان كانوا ممسكين بقيادة الانسانية يوجهونها وجهة الخير باذن الله .

ولكن المبشرين لم يحملوا الى بلاد المسلمين شيئا يفتقرون اليه ولايجدونه عندهم . فما هو المعنى الجديد الذى جاء به المبشرون ولم يجدوا لدى المسلمين ما هو افضل منه ؟

ما هو المثل الاعلى الذى اتوا به ولم يجدوا عند المسلمين أكرم منه وامثل ؟ ما هى القيم الدينية والخلقية التى اتوا بها ووجدوا المسلمين أفقر واحوج اليها منهم . اجل لقد أتوا بالوسائل العلمية الجديدة واتوا بمبتكرات حديثة : الميدان المادى

الخالص ، وببعض انواع العلوم العصرية التى كانوا يستخدمونها فى الحقيقة كستار وحجاب يستر غرضهم الاساسى وهدفهم الحقيقى وهو التمكين لانفسهم ولافكارهم فى بلاد المسلمين وذلك بمحاربة الاسلام فى نفوس ابنائه بأساليبهم الملتوية الماكرة .

وهنا لابد من الاشارة الى بعض الحقائق البارزة فى دعوة المبشرين والقاء الاضواء العابرة على ما فيها من عيوب بادية تصدم العقل السليم والفطرة النظيفة ، للمسلمين عقيدتهم وشريعتهم ومنجهم الكامل فى الحياة ونظرتهم المتكاملة فى الكون والحياة والانسان وكل ذلك منبثق من كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام فما هى عقيدة المبشرين وما هى شريعتهم وما هو منجهم الكامل وما هو كتابهم ومن هو رسولهم ، وما هو تاريخهم ؟ .

وأما عقيدتهم : ففيها الطامات الكبرى وأولى هذه الطامات عقيدة التثليث : تلك العقيدة المستعصية على العقول ، وذلك اللغزا المعقد الذى عجز عن حله اساطين المسيحية عبر القرون لان كون الواحد ثلاثة والثلاثة واحدا وكون كل واحد من الثلاثة هو عين الاخرين شىء تأباه مسلمات العقول ، وشىء يصطدم مع البديهيات بل هو مما يستحيل فهمه على الانسان ولهذا تشعبت آراء النصارى فى تفسيره فجمهورهم يقولون هذه عقيدة وردت هكذا فى الكتاب المقدس، فينبغى قبولها كما هى لانها ثبتت بالنص ، وبعضهم يقول : هذه الاقانيم الثلاثة هى كالصفات للموجود الواحد ومن هؤلاء الفيلسوف الالمانى الشهير كانت حيث يقول : ان الاب والابن ورح القدس انما تدل على ثلاث صفات اساسية فى اللاهوت وهى القدرة والمحبة والحكمة أو على ثلاثة فواعل عليا وهى الخلق والحفظ والضبط .

وكل كلام فى الحقيقةفى هذا الثالوث عبث وذلك لان العقول لم تعط القدرة على فهم المستحيلات ، هذه هى العقيدة التى يريد المبشرون من المسلمين ان يقبلوهاويتخلوا فى سبيلها عن عقيدتهم الواضحة التى تغزو القلوب والارواح ببساطتها وملاءمتها للفطر السليمة والعقول المستقيمة ، إله واحد متصف بكلكمال منزه عن كل نقص ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، ارسل الرسل وانزل الكتب وكلف الناس بتعاليم وتكاليف هى فى مقدورهم وجعل لهم يوما لاريب فيه يحاسب فيه كل انسان على ما قدم بالعدل والقسطاس المستقيم . هذه هى العقيدة التى تجتذب اليها القلوب اجتذابا والتى يريد المبشرون ان يتخلى عنها المسلمون ليؤمنوا بدلا منها بعقيدة لاتجد لها مكانا اصلا لا فى العقل ولا فى القلب . مع العلم بأن عقيدة الثالوث عقيدة وثنية معروفة فى التاريخ عند المصريين والهنود وغيرهم . ومن عقائدهم أيضا : الصلب والفداء : ومعنى هذه العقيدة

باختصار شديد ان الناس جميعا يولدون عصاة آثمين وذلك لانهم يرثون معصية أبيهم آدم . وقد جاء المسيح وهو الاله وابن الاله ليصلب ويفتدى خطايا اتباعه الذين يولدون وهم موصومون بها . والاسلام يحل هذه المشكلة ببساطة متناهية : فيقول القرآن الكريم : وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى . وعند هذا انتهت هذه القصة التى جعلها النصارى معضلة مبنية على أساس التعارض بين عدل الله ورحمته بين عدل الله الذى يصر على معاقبة آدم العاصى ورحمته التى تصر على مغفرة ذنبه ، ثم لايكون المخرج من هذا النزاع الا بالفداء وصلب المسيح الاله وابن الاله ، وكأن التوبة لم تخطر لهم على بال . وعلى هذا فالانسان فى ظل الاسلام يولد نظيفا بريئا وعلى الفطرة ولا يتحمل آثام غيره التى لم يتسبب فيها . وهو يتحمل تبعة التكليف ويحاسب على ما كلف به فقط . ومن عقائدهم : عصمة الكنيسة وعلى رأسها البابا فى فهم الكتاب المقدس وفيما يجتمع عليه الرأي وهذا فى الحقيقة الزام بالخطأ من انسان يشهد العقل والحس بعدم عصمته ، وجعل الكنيسة مصدرا دائما من مصادر التشريع ، وهذا لايعدو عبادة الرأى والعقل والهوى ، وفرق بين عصمة الكنيسة واجماع المجتهدين من أئمة الاسلام وذلك لان اجماع المجتهدين لايكون الا على دليل ومستند من كتاب أو سنة ومن عقائدهم : توسط رجال الدين بين الله وعباده وانهم يمنحون البركة والمغفرة باذنه ويقسمون رحمة الله بين خلقه فيمنعونها عمن يشاؤون ويعطونها لمن يشاؤون .

وقد استغل رجال الدين هذه المكانة اشنع استغلال واصبحوا يتصرفون بجنة الله وهم فى الارض وكأنهم يمارسون سلطة الاله، وحادثة بيع صكوك الغفران فى اوروبا كلها أمر شائع فى التاريخ ، حيث طبع احد الباباوات بطاقات يبيع بموجبها مساحات من الجنة وذلك لقاء مبلغ من المال . وكراسى الاعتراف تشهد كل حين اعترافات المذنبين أمام رجال الدين بجميع الذنوب التى اقترفوها وذلك ليغفرها هؤلاء أو ليتوسطوا لمغفرتها — وقد حرر الاسلام الانسان من هذه الوساطة وفتح امامه ابواب السماء واطلقه من هذه الوصاية وقد أونس منه الرشد ، وربطه مباشرة بربه يتصل به متى شاء واين شاء : واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان .

أضف الى ما سبق تقييد أماكن العبادة فى الكنائس فقط مع ما فى هذا من الحجر على عباد الله وتضييق الارض الواسعة ، مع عبادة مريم عليها السلام عند بعضهم وعبادة القديسيين الذين لايعلم عددهم الا الله ، وعبادة هؤلاء غالبا ما تكون بالتوسل بهم والاستعانة وتعظيم صورهم التى قلما تخلو منها كنيسة . ونحن نعلم ان الفرق المسيحية ليست

مجمعة على جميع ما ذكرنا ، ولكن الفرقة التى لاتوافق على شىء مما ذكرناه ، فانها تقترف شيئا آخر هو أعظم بكثير مما استنكرته .

هذه لمحات عن عقائد المبشرين ولم نقصد الاستقصاء وفيما ذكر عبرة لمعتبر . وأما شريعة هؤلاء ، فلا وجود لها فى الحقيقة والواقع وذلك لان الانجيل حال عن كل تشريع وهو مجموعة مواعظ وارشادات اخلاقية وهو العهد الجديد واما العهد القديم وهو التوراة ففيها شريعة ورغم انها شريعة محدودة وشريعة شعب خاص وتفرق بين اليهودى وغيره فى المعاملة ومع ذلك فان المنسوبين الى المسيح عليه السلام كتلاميذ فقد نسخوا شيئا كثيرا منها وفى بعض الروايات نسخوا جميعها وذلك لما منحوه لانفسهم من حق التشريع وهو نقلهم عن المسيح عليه السلام انه قال لهم قبل وفاته بزعمهم : ما حللتموه فى الارض محلول فى السماء وما ربطتموه فى الارض مربوط فى السماء .

وقد استعملوا هذا الحق فى نسخ ما شاؤوا من شريعة التوراة رغم اقرار المسيح لها : واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد . فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين . ومن قول المسيح المروى فى الانجيل ما جئت لانقض الناموس (وهو التوراة)ولكن لاتمم .

ونظرا لهذا الافتقار الى الشريعة التى تنظم سائر احوال الامة كانت الامم المسيحية عالة على غيرها واحيانا على غير المؤمنين فى التشريع وما قيمة دعوة لا تملك تشريعا ينظم احوال المؤمنين بها . واما الشريعة الاسلامية فهى تحمل شهادات دولية من مجامع قانونية عالمية على اصالتها وشمولها لجميع احوال الانسان وقابليتها للتطبيق فى كل زمان ومكان وهذه كتب التراث الاسلامى تشهد بكل ذلك . ومع هذا فالمبشرون يريدون من المسلمين العدول عن هذا الصراط المستقيم الذى تولى الله سبحانه رسمه واقامة معالمه واناط سعادة الانسان به ، الى لاشىء . فاعجبوا ايها الناس .

ان المتأمل فى كتب المبشرين واسفارهم المقدسة يخرج بنتيجة حتمية واحدة وهى ان هذه الدعوة لا تملك لا عقيدة ولا شريعة وخلاصة ما تدعو اليه بعض مكارم الاخلاق كالزهد والحلم والتواضع ولين الجانب والاقبال على العبادة والتنسك وهذا لاشك جانب من الدعوة ولكن لابد مع هذا من عقيدة تقنع العقل وتشبع القلب ومن شريعة تنظيم سلوك الانسان وترشده فى متاهات الحياة ونظرة متكاملة تعطى الانسان تفسيرا عن هذا الكون . وكل هذه الامور تفتقر اليها دعوة المبشرين .

بل نقول أكثر من هذا وما نحن بمبالغين وهو ان هذه الدعوة تفتقر الى الاصول والمنابع الاولى التى

تستمد منها افكارها وآراءها ومبادئها وذلك لان ما تعتمد عليه من كتب مقدسة ومن سيرة صاحبها الاول وهو المسيح عليه السلام لايصلح أن يكون أساسا لدعوة متكاملة لا من حيث النقل والثبوت ولا من حيث المضمون والمحتوى .

وأما من حيث النقل والثبوت فمن المتفق عليه عند المؤرخين والمنصفين من الناس ان اية أمة من امم الارض لاتستطيع ان تروى عن نبيها خبرا واحدا من كتاب أو سنة يرقى الى مرتبة اخبار الآحاد عند المسلمين وان بين هذه الكتب ومن انزلت اليهم مفاوز من الانقطاع والمجاهيل التي لايدرى عنها احد شيئا وكذلك الاقوال المروية عنهم لايعرف لها سند اصلا ، وانما وجدت هكذا وولدت كما هى وقبلت كما وجدت وكما ولدت .

واما العهد القديم الذى هو التوراة فقد ضاعت باجماع المؤرخين من اليهود والنصارى وذلك حينما غزا البابليون بيت المقدس وأحرقوا هيكل اليهود وان التوراة الماثلة بين أيديهم فهي التوراة التي أعاد كتابتها عزيز بخارقة تمت على يديه فاليهود والنصارى عالة على عزيز هذا فى اصل دينهم ، وهذا كما ترون شىء لايستسيغه العلم ولا يقره وذلك ان يعيد رجل كتابة كتاب مفقود بواسطة وحى جديد أو بواسطة حلم أو تجلى ملك أو بقذف نور فى قلبه ، أو بشر به من ماء مبارك أو أكلة من شجرة مباركة ، ولابد من اثبات الكيفية التى تمت بها اعادة كتابة التوراة بشكل يرتضيه العلم ولاسبيل الى ذلك ، وتوراة اليهود تخالف توراة النصارى ، وتوراة السامرة من اليهود تخالف التوراتين السابقين . وأما الاناجيل الاربعة المعترف بها فهى من جملة اناجيل تبلغ العشرات كتبت جميعها بعد رفع المسيح عليه السلام.

ولم تعتمد رسميا الا ى القرن الرابع المسيحىوذلك ان اليهود قاتلهم الله حينما حرضوا الرومان على قتل المسيح ووشوابهاليهم وسعوا للقضاء عليه وعلى دعوته شدد الرومان الحملة على المسيح واتباعه فرفع المسيح عليه السلام وشرد اتباعه فى الارض وتخفوا بدينهم وفى هذه الاثناء دخل بولص اليهودى فى المسيحية لافسادها ، وزعم ان المسيح تجلى له وانه يتلقى الانجيل من المسيح مباشرة وانه لايجوز اخذ الانجيل من غيره اى من غير بولص فكتب انجيله ودس فيه ما دس من تعاليم الوثنية الباطلة وروج لهذا الانجيل وجمع حولهاناسا يقولون بقوله فانتشرتآراؤهى الناس ووضعت فى المقابل اناجيل اخرى ووقع التعارض فيما بينها وثار النزاع حول المسيح وحقيقة شخصيته وعم الجدل فعقد مجمع نيقية عام (٣٢٥) لوضع حد لهذه المنازعات فى عهد الملك قسطنطين الذى كان قد تنصر بتأثير امه وعرض فى هذا المجمع سبعون انجيلا وبعد اخذ ورد وقع اختيار الملك ومن معه على الاناجيل الاربعة

ورفض غيرها واعتبرت غير قانونية ، والزم الناس رسميا بهذه الاناجيل على ما فيها .وهذه الاناجيل متعارضة فيما بينها وكل واحد منها يخالف الآخر ولا نكون مبالغين ابدا ان قلنا ان كل صفحة منها يوجد فيهاما يخالف غيرها من سائر الاناجيل ، وهى مختلفة فى الحادثة الواحدة والشخص الواحد والقصة الواحدة ، وهى فى الحقيقة عبارة عن تواريخ ومذكرات كتبها اناس وضعت اسماؤهم عليها أو نسبت اليهم وهى خليط من كلام المسيح وكلام الانجيل وسيرو وقائع جرت مع المسيح عليه السلام ، وهى مليئة بالخرافات والكفريات والضلال ويتخلل ذلك شىء من الزهديات التى تعتبر كل شىء فى الاناجيل . والنزاع قائم فى كل ما يتعلق بهذه الاناجيل فهى غير مسلمة شكلا وموضوعا ولا نعرف تماما اللغة التي كتبت بها هذه الاناجيل ولاتاريخ كتابتهاولا الاشخاص الذين كتبوها .

ولو كانت هذه الكتب مسلمة الثبوت من حيث السند لكان كافيا لفقدان الثقة بها الترجمات التى تعرضت لها اذ انه من الثابت ان الترجمة تقتل النص وتفقده جوهره ، والترجمة الحقيقية المطابقة للاصل لا يمكن ان توجد اصلا . ومع ما فى هذه الاناجيل من الاباطيل والتحريفات فان الله سبحانه حفظ فيها ما يقيم به الحجة عليهم من التبشير بمحمد عليه الصلاة والسلام ففى انجيل يوحنا : (٧ : لكنى أقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لانى ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط فاما ان انطلقت ارسلته اليكم . (١٢ : وان لى كلاما كثيرا اقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الان . ١٣ واذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتى . فهذا الكلام لا يمكن حمله : إلا على محمد عليه الصلاة والسلام مع وجود انجيل برنابا الذي يوافق القرآن فى كثير مما قاله عن المسيحية ويقيم الحجة على النصارى ويخالف الاناجيل الاخرى المعتبرة فىأسسهاوعقائدها الكبرى ، وهذا الانجيل اكتشف فى الغرب ولم يعرف فى الشرق بل قالوا انه وجد فى مكتبة احد البابوات وكان سببا فى اسلا مالقيم على تلك المكتبة .

هذه هى كتب المبشرين التى يريدون من المسلمين ان يتخلوا عن قرآنهم لاجلها يريدون ان نتخلى عن قرآننا الذى تعرف كل سورة منه بل كل آية متى نزلت وأين نزلت ولماذا نزلت وتعرف اللغة التى نزلت بها ودون منذ اللحظة التى نزل فيها واستظهره الناس لفورهم وتلوه فى صلواتهم ليل نهار وتعلمه طلاب العلم فى المساجد والمدارس وتدارسته الصبية فى الكتاتيب والنساء فى البيوت وانطلق به المجاهدون فى ارجاءالارض والذى لم يتعرض لترجمة اصلا فهو يحتفظ وسيبقى بحفظ الله محتفظا بطابعه الذى نزل فيه ، مع خلوه من التناقض والتضارب واحتوائه لمنهج

متكامل فى العقيدة والشريعة والعبادة والاخلاق ، واعطائه تفسيرا سليما سديدا عن الكون والحياة والانسان، مع ثبوته بجدارة واعتزاز أمام النظر العلمى المتجرد فى كل ما ذكر . مع شهادة الواقع والتاريخ على تلك الجدارة : قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ان هذا القرآن يهدى هى أقوم ــ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .

أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون. فهذا هو القرآن وهذه هى الاناجيل فياحسرة على عباد يعطلون عقولهم ويكابرون الواقع ويستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وأما الرسول الذى يزعم المبشرون اتباعه فهو المسيح عليه السلام ، وهو نبى كريم وهو عبد الله ورسوله وقد ادى رسالة ربه ومهد لظهور أخيه محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكن المعروف من حياة المسيح عليه السلام وهديه فى شؤونه الخاصة والعامة لايكفى بشكل من الاشكال لجعل تلك السيرة قدوة ومنهاجا لانسان يؤمن بالمسيح ويريد ان يتبعه ورغم قصر المدة التى قضاها المسيح عليه السلام فى التبليغ ورغم رفع الله له الى السماء فى سن مبكرة فان شطرا كبيرا من تلك المدة القصيرة مجهول غير محفوظ ، فبعض المواعظ والرقائق مع بعض التعديلات فى التوراة لايكفى لامة تحتاج فى كل ناحية من نواحى حياتها لمرشد يهديها سبيل الرشاد ، وهل هذا المرشد الا هذا النبى . واذا لم تحفظ الايام حياة النبى وسيرته بشكل مفصل ووافٍ ومقبول ، ومنقول نقلا صحيحا فكيف نتبعه . وأمام هذا نستطيع أن نقول بدون تردد فى النبي العظيم محمد عليه الصلاة والسلام : ان أمته لم تفقد منه فعلا الا جسده الشريف وأما أقواله وأعماله وشؤون حياته كلها فى مجالاته الخاصة والعامة بل حتى شؤونه الشخصية البحت من أكله وشربه ونومه واستيقاظه وضحكه وتبسمه وملابسه واوانيه ودوابه واسماء هذه الدواب وجلوسه ومشيه واتكائه والتفاته وشكله ولونه وطوله وعرضه ولون شعره وبشره وغير ذلك من جميع شمائله وخصائصه وشؤون حياته وكل ما يتصل به من قريب أو بعيد كل ذلك قد دون وأحصى ودرس وسجل فى كتب السير والشمائل والتاريخ بشكل لا مزيد عليه ونقل كل ذلك الينا بطريق علمية تبهر علماء التاريخ من الاوروبيين ، مع حفظ اسماء النقلة واحوالهم وكتبهم . ومن اراد ان يتتبع حياة الرسول عليه الصلاة والسلام من قبل ولادته الى انتقاله الى الرفيق الاعلى ويعيش معه حياته المباركة بكل تفاصيلها الجليلة والدقيقة من شؤون الحكم والملك والسياسة الى شؤون البيت ومداعبة الاطفال وملاطفة النساء الى خصف النعل

وغير ذلك من كل ما يخطر ببالك من شأنه ما عليه الا ان يقرأ كتب السيرة والشمائل وحسبه منذلك علىسبيل المثال ، كتاب زاد المعاد لابن القيم رحمه الله وكتابالشفا للقاضي عياض رحمه الله وكتاب الشمائل للامـــام الترمذي رحمه الله ، وكتاب السيرة النبوية لابن هشام وامتاع الاسماع للمقريزى وعيون الاثر لابن سيـــد الناس ، مع كتب التاريخالتى لاسبيل الى حصرها ، وهذه الكتب زيادة على المعروف المشهور من كتب السنـــة المتداولة كالصحاح والسنن والمسانيد فى هذه الحياة الكريمةوالسيرة العطرة يجد المسلم كل ما يحتاج اليه فى حياته الخاصة والعامة . وليقل بعد هـــذا كل عاقل هل من تكريم العقل والعدل والعلم والانصاف ان يعدل الانسان عن هذه السيرة الكاملة والمحفوظة والمضبوطة والمنقولة نقلا صحيحـــا لاشك فيه الى سيرة مجهولة ناقصة المحفوظ منها لايفى بحاجة الانسان فى أية ناحية يستفتيها ومع جهالتها ونقصها لم تنقل نقلا صحيحا . وكما أن القرآن الكريم هو الكتب السماوى الوحيد الذى حفظهالله وصانه ووضع فيه اسس السعادة والصلاح لكل زمان ومكان ويمثل بين دفتيه حكـــم الله خالصا وقادرا على تنظيم حياة الانسان فى كل مجالاتها ، فكذلك سيرة الرسول عليه الصلاة ، هى السيرة المحفوظة المتكاملة الوحيدة والقادرة على مد الانسان بكل ما يحتاج اليه فى دقائق حياته كلها .

وبعد هذا كله فما الذى قدمتـــه النصرانية للانسان عبر التاريخ ، أى حل قدمتـــه للانســـــان فى مشاكله العقائدية والاخلاقية والتشريعية، وما هى القيم التى قدمتها وما هى المثـــل التى صدرتها ، وما هى الامجاد التى حققتها وما هى الحضارة التى نشأت فى ظلها ورعايتها ؟

ان الذى يحفظه التاريخ للمسيحية من كل ذلك باختصار شديد هو ما يلى جماعة من رجال الدين فى كل عصر تستطيل على الناس بسلطانها الدينى وتتطاول على كراسى الحكم بغير حق وتدعى لنفسها انها ظل الله فى الارض فتتحكم فى رقاب البشر باسم الله والله من كل ذلك الظلم برىء ، وتخدر الناس بالرضا بالواقع لانه حكم الله . وتعتبر كل خروج على آرائها خروجا على الله ، وتقمع جميع الحركـــات التحررية والعلمية ، وتخنق الثورات والنهضات بهذه الحجة ونجعلحصيلة كل ذلك وسيلة لشهوات حفنة قليلة من رجال الدين برآسة البابا ، وقـــد كان لموقف رجال الدين من النهضـــة العلمية فى أوروبا ضرره البالغ على الديانات كلها فى العالم وعلى الاسلام بوجه اخص ، وذلك حينمـــا وقفت العقول المتحجرة سدامنيعا أمام التيار العلمى المتدفق وحرمت على الناس استخدام حقهـــم الطبيعى فى التفكير والابداع وبررت ذلكالتحجير والتحريم باسم الدين .

كفر العلماء بذلك الدين المتحجر الـــذى يقاوم وجودهم ويهددهم فى

حياتهم وفى مبتكراتهم العلمية ويكرههم على البقاء فى ظلمة الجهل والتخلف ، وكنتيجة طبيعية لهذا الموقف نشأت الحركة العلمية فى ظل الالحاد ثم غزت العالم كله وهى تحمل هذا الطابع ، وتنفر بالتالى من كل دين ومن كل ما يمت الى الله بصلة ، وقد نسيت أن تميز فى حركة اندفاعها وشرودها عن الكنيسة وعن دينها ورجالها ان تميز بين دين ودين وحكمت على الديانات كلها بالاعدام واعتبرتها منافية للعقل والعلم واخرجتها بذلك من ميدان الحقائق العلمية المسلمة الى عالم الخرافات والاحلام والشعوذة ففقدت الديانات بذلك قدسيتها وتأثيرها على الناس ، واصبح الدين كالمجرم الذى ادين ووضع فى قفص الاتهام ، وعلى اثر انزواء الدين من المجتمعات طغت فيها مردة الابالسة من الملاحدة وخرج الامر كله بذلك من يد أهل الخير والصلاح .

هذا ما جنته الكنيسة على الانسانية فى الماضى والحاضر ، وهذا ما قدمته لها ، واما قيم الاسلام ومثله العليا ورسالته التى انقذ بها العالم والحضارة الانسانية الشاملة التى شيد صروحها والحركات العلمية التى أنبتها نباتا حسنا فى ظل رعايته عبر التاريخ شىء يغنينا اشتهاره عن الاطالة فيه ، ولا تزال آثاره ماثلة على مرأى من الاوروبيين فى بلادهم وفى التراث العلمى العريق الذى خلفه المسلمون فى مكتبتهم الزاخرة العامرة .

والسؤال الذى يهجم على الانسان الان بعد ما تقدم هو ما يلى : اذا كانت للمسلمين هذه الحصانة فى العقيدة والشريعة والكتاب والرسول وهذه الامجاد التاريخية فكيف يتسرب الى صفوفهم المبشرون وهم من وصفت فى العقيدة والشريعة والرسول والكتاب والتاريخ ؟ والجواب عن هذا السؤال هو ان المبشرين لم يأتوا الى المسلمين بشىء أفضل مما عندهم فيما ذكر ولكنهم وجدوا فى المسلمين ثغرتين كبيرتين تسربوا منهما الى بيوت المسلمين وقلوبهم . هاتان الثغرتان هما تخلف المسلمين الاقتصادي وتخلفهم العملي وأما التخلف الاقتصادى فأمر ينتظم العالم الاسلامى كله والفقر المدقع عامل مشترك بين ابناء الامة الاسلامية التى تتربع على منابع الثروات العالمية والتخلف الاقتصادى فى الحقيقة نتيجة طبيعية للتخلف العلمى الذى يعانى منه المسلمون فى كل ميدان من ميادين الحياة .

ان المسلمين بحاجة الى الكثير من فقه المادة ان صح هذا التعبير ليعرفوا كيف يستغلون هذه الثروات الطبيعية الهائلة التى يجثمون فوقها والتى يسرقها اعداؤهم على مرأى منهم ومسمع . والانعاش الاقتصادى ليس فى الحقيقة الا جزءا من انعاش عام يشمل جميع جوانب الحياة فى الامة ، فما لم يعرف المسلمون كيف يحسنون الاستفادة من الكنوز التى يملكون مفاتيحها سيبقون فى حاجة دائمة لعدوهم الذى يجود عليهم بمالهم

مقابل الخروج عن دينهم والتنكر لتراثهم . وقد قيل قديما : اذا ذهب الفقر الى بلد قال له الكفر خذني معك وهذا يبين السبب الذى يبيع به بعض ضعاف الايمان من المسلمين دينهم برغيف يبقى لهم حياتهم ، والسبب هو جهلهم بدينهم وبأساليب الحياة الحديثة وبمبتكرات الحركة العلمية التي وضع أسلافهم أصولها باعتراف أعدائهم .

وأما جهلهم بدينهم فقد سمع للمبشرين بان يدسوا على الاسلام ما شاؤوا من مفتريات واباطيل وبأن يشوهوا جمال الاسلام فى نفوس اهله ويزعزعوا مكانة ذلك الدين فى قلوب ابنائه مما يضعف روح المقاومة عندهم ويوجد لديهم قابلية الانهزام والتبعية والذوبان مما يمهد الطريق امام المبشرين لسلخهم عن دينهم .

واما عدم الاخذ باسباب الحياة العلمية الحديثة فقد جعل المسلمين يعجبون بما لدى اعدائهم من تقدم علمى هائل يتصاغر امامه الانسان الجاهل ، ويفتن بما يرى ويكبر فى نفسه وفى عينه من تحققت تلك المعجزات على يديه ومن جلبها الى بلاده وبالتالى وكنتيجة طبيعية يزدرى ما عنده وهنايصل المبشرون الى الغاية المنشودة حيث تسقط عزة المسلم الجاهل اما بريق الحضارة الخداع فيزداد تضاؤلا فى نفسه وتعظيما لغيره حريصا كل الحرص على تقليد من شاد هذه الحضارة ورفع منارتها مستعدا لبذل مالديه من دين وخلق فى سبيل التشبه بهم .

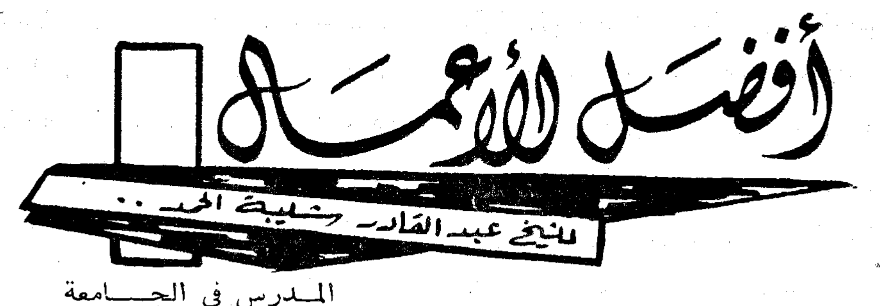
هاتان هما الثغرتان الكبيرتان فى واقع المسلمين نفذ منهما المبشرون واسيادهم المستعمرون الى نفوس المسلمين وبلدانهم ، واستطاعوا ان يوقعوا فى شباكهم فريقين من الناس: فريق جائع محتاج ساوموه على حياته واشتروه ، وفريق جاهل غرروا به وضللوه واما ان يكسبوا لدينهم مسلما واحدا عن ايمان وقناعة فلا سبيل اليه ابدا ، لان دينا لايفهمه الداعون اليه اجدر ان لايفهمه المدعون وهذان الفريقان من ضحايا المبشرين لايؤبه لهما فى الحقيقة ازاء مااستطاع هؤلاء ان يحققوه فى مجال آخر بقى على ولائه الاسمى للاسلام ولكن جوهره قد تدنس بكل اباطيل المبشرين وخبائثهم ، هذا المجال هو مجال المثقفين المسلمين . ان كان المبشرون قد استطاعوا ان يشتروا بعض المعوزين ويضللوا بعض الجاهلين فانهم قداستطاعوا انيشككواالجمهور الاعظم من المثقفين ويزعزعوا ايمانهم ويهزوا يقينهم ويخدروا شعورهم الدينى بحيث يكون الباقى منهم على دينه ، مشلولا مخدرا قلقا نهبا للصراع النفسى العنيف بين عقيدته والشبهات التى القيت حول هذه العقيدة ، وكثيرا ما انتهى هذا الامر بهذا الصنف من المثقفين الى الارتداد العملى عن الاسلام وان لم يصحب ذلك تصريح باعلان الارتداد . وما هذه الموجة

العارمة من الارتداد والتى تجتاح المثقفين المسلمين الا حصاد طبيعى لما زرعه المبشرون من بذور التشكيك فى قلوبهم ، ومجال التشكيك والتضليل هو أهم ما يستهدفه المبشرون ويقنعون بذلك امام صلابة العقيدة الاسلامية وقوتها . وقد خطط المبشرون وأولياء امورهم من المستعمرين لمن وقع فى حبائلهم من المثقفين ووضعوا مقدرات الامة الاسلامية فى ايديهم وجعلوا الكثيرين منهم فى مراكز الحكم والتوجيه وذلك اما ليستمروا فى اداء مهمتهم التخريبية فى ظل هذا النوع من المسؤولين الذين ربوهم على اعينهم ونشؤوهم فى حضانتهم ورعايتهمواما لكى ينوب هذا النوع من المسؤولين فى القيام بمهمة المبشرين فى بلاد المسلمين من حرب لدينهم وصرف لهم عن تراثهم وتاريخهم وحمل لهم على الانسلاخ عن قيمهم فى القلب والقالب .

وقد استطاع هذا النوع الجديد من المبشرين المحليين ان يخربوا بشكل اعظم من المبشرين الاباعد ، وذلك مستترين بالغلالة الرقيقة من الاسماء الاسلامية التى تنم عما تحتها من المخازى والفضائح .

ان المسلمين يجابهون بقوى لاطاقة لهم بها وهم على وضعهم الحالى ، فهناك المبشرون المفسدون فى المجال الفكرى ، ومن خلفهم المستعمرون المفسدون فى جميع المجالات ومعهم عملاؤهم فى الداخل من ابناء المسلمين المخدوعين بهم ، ووراء كل ذلك اليهودية العالميةباساليبها الماكرة التى توجه السياسة العالمية ، ومع هذا الجيش الهائل من الاعداء فان عزيمة الشباب المؤمن (ذخيرة هذه الامة) لاتلين ولا تضعف وهى تثق بنصر الله وتأييده ولن يزيدها تكالب الاعداء وتألبهم على دينه وامته الا مضاعفة النشاط والجهاد والتصميم على النصر حتى النهاية .

وبعد فهذه معلومات أولية واساسية فى هذا الموضوع وكل فقرة منه تصلح ان تكون مقالة مستقلة والفكرة ككل لايتسع لهاكتاب ولكن ان هى الا محاولة عاجلة وعابرة . مع علمى بأن المسيحية اضعف عدو يمكن ان يجابه الاسلام ، وان التيارات الملحدة التى تكتسح الشباب فى العالم الاسلامى هى الخطر الحقيقى والاكيد على الاسلام ولكن نظرا لان دعوات التبشير وارسالياته تمد تلك التيارات الملحدة بهذا الشباب المرتد بما تتسبب به من تشكيك فى الاسلام وصرف عنه وحرب له ، فتكون بذلك بمثابة المورد بالخامات لتلك التيارات اقتضى التنويه على أصل الخطر مع عدم الغفلة عن الفرع .



المدرس فى الجامعة

روى الشيخان واللفظ لمسلم من طريق ابى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله أى الاعمال أفضل ؟ قال : الايمان بالله والجهاد فى سبيله . قال : قلت : أى الرقاب افضل ؟ قال : انفسها عنداهلها واكثرها ثمنا . قال : قلت : فان لم افعل ؟ قال تعين صانعا أو تصنع لاخرق . قال : قلت : يارسول الله أرأيت ان ضعفت عن بعض العمل ؟
قال : تكف شرك عن الناس فانها صدقة منك على نفسك .

لقد قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اجاب به الصحابى الجليل ابا ذر رضى الله عنه قرر اسس التوجيهات التى تصل بالمجتمع الانسانى الى اسمى درجات الكمال وقد بين صلى الله عليه وسلم ان الآخذ بهذه التوجيهات النبوية الكريمة قائم بأفضل الاعمال . واولى هذه المبادىء الاسلامية التى تضمنها هذا التوجيه النبوى الكريم هو الايمان بالله ولاشك ان الايمان بالله هو أول قاعدة من قواعد العدل ، وهو الباب الرئيسى الذى لابد من ولوجه لمن اراد السلوك الى الله تبارك وتعالى ، وهو كذلك الاساس المتين الذى تقوم عليه الوحدة الانسانية بين الانسان واخيه الانسان ، ففى بوتقة الايمان بالله تنصهر جميع الفروق اللونية والجنسية والوطنية والاخوية وتموت فى ظله جميع الحزازات العنصرية وبها ولا شك تقوم الدعامة الحقيقية لحقوق الانسان .

اما التوجيه الثانى من هذه التوجيهات الرشيدة التى اشار اليها

رسول الله صلى الله عليه وسلم فانها تفرض على من انعم الله عليه بهذه النعمة العظيمةنعمة الايمان بالله تفرض عليه ان يدعو الناس الى مشاركته فى هذه النعمة وان يبذل كل جهد وانيستفرغكل وسع فى دعوة الناس اليها وحملهم عليها وان يسلك فى ذلك كل طريق معتدل . يوصل الى هذه الغاية ويشيع فى الامم هذا الخير حتى يسعدوابالله وحتىيسلموا من عذاب الله ، وحتى يهتدوا الى طريق مستقيم أما التوجيه الثالث من التوجيهات النبوية الكريمة التى تضمنها هذا الحديث الجليل فهو لفت نظر الانسان فى كافة انحاء الارض الىان الاسلام يقرر ان من اقرب ما يقرب العبد من ربه تحرير العبيد وفك الرقاب وبذل نفيس المال فى سبيل هذا التحرير وقد اكثرت الشريعة الاسلامية من الحضعلى منحالحريات وفك الرقاب وساقت فى ذلك نصوصا كثيرة . بل جعلت ان المسلم لايقتحم العقبة الحقيقية التى تحول بين العبد وبين مرضاة الله اذا كان من اهل القدرة على تحرير الرقاب الا اذا منح هذه الحرية لهذه الرقاب واعان اليتامى والضعفاء ولو بلقمة عيش تشد اصلابهم وتقيم اودهم وفى ذلك

يقول الرب تبارك وتعالى : فلا اقتحم العقبة وما ادرك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة ثم كان من الذين آمنواوتواصوابالصبر وتواصوا بالمرحمة آولئك أصحاب الميمنة :

بل جعل الرب تبارك وتعالى تحرير العبيد احد المصارف الثمانية التى تنفق فيها اموال المسلمين الزكوية مع كثرتها وفى ذلك يقول الرب تبارك وتعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم) بل وعد الله تبارك وتعالى من يعتق رقبة بان يعتق منه بكل عضو اعتق عضوا منه من النار لذلك روى البخارى من حديث سعيد بن مرجانة صاحب على بن الحسين رضى الله عنهما قال سعيد : قال لى أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول صلى الله عليه وسلم (ايما رجل اعتق امرءا مسلما استنقذ الله بكل عضو منه عضوا منه من النار . قال سعيد بن مرجانة رحمه الله فانطلقت به اى بهذا الحديث الى على بن الحسين فعمد على رضى الله الى عبد له قد اعطاه به عبد الله بن جعفر

عشرة آلاف درهم أو الف دينار فاعتقه وقد اقامت الشريعة الاسلامية اسبابا شتى تهدف الى تحرير الارقاء واعتاق العبيد . فقد جعل الاسلام من انواع الكفارات تحرير الرقاب ففى كفارة اليمين يقول تبارك وتعالى (فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة) وفى كفارة القتل يقول ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة) ثم يقول (فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة) ثم يقول (وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة) وفى كفارة الظهار يقول (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير) . بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر اصحابه بالعتاقة عند حدوث بعض الابلايا أو وقوع بعض المخوفات فلقد روى البخارى رحمه الله من طريق اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما قالت : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعتاقة فى كسوف الشمس .. وفى لفظ لها رضى الله عنها : كنا نؤمر عند الكسوف بالعتاقة ، وكلما كانت الرقبة ذات نفع متعد كأنيكون المملوك مجيدا لبعض انواع الصناعات أو الفنون فان الشريعة الاسلامية تجعل عتقة افضل انواع العتق .

ولذلك اجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا ذر رضى الله عنه حينما سأله أى الرقاب أفضل فقال صلى الله عليه وسلم اغلاها ثمنا وفى لفظ البخارى اعلاها ثمنا وانفسها عند أهلها . وهذا من المقررات فى الشريعة الاسلامية فان احسن ما يتصدق به ما كان محبوبا طيبا ولذلك يقول الله تبارك وتعالى : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) ويقول ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه واعلموا أن الله غنى حميد .

اما التوجيه الرابع من هذه التوجيهات النبوية الكريمة المرشدة لافضل الاعمال واحسن الخصال فهو التعاون العملى ولا سيما ممن لايستطيع أن يمد يدالمساعدة بالتعاون

المالى وقد قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النوع من التعاون الى قسمين وجعل الاول منهما اعانة الصانعين وجعل الثانى منهما الصناعة للضائعين وفى هذا الارشاد النبوى اشارة واضحة الى ما يجب ان يكون عليه المجتمع الاسلامى وانه المجتمع المثالى فى الحقل التعاونى وفى قوله صلى الله عليه وسلم تعين صانعا ما يدل على ان الشريعة الاسلامية تستحب اشاعة الصناعة وبذل المعونة لذوى الصناعات من الافراد أو الشركات فرب صانع لايجد المواد الاولية التى لابد منها فى صناعته ورب صانع لايجد اليد العاملة التى تحقق غايته .

فقد حض رسول الله صلى الله عليه وسلم من يريد اعلى الدرجات ومن يبتغى افضل الاعمال ان يسارع بمد يد المساعدة على قدر جهده وطاقته لمعاونة الصناع وتقوية الصناعات كما اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان من اعظم ما يقرب العبد من ربه كذلك مساعدة الاخرق الضائع الذى لايستطيع الصناعة اما بتدريبه على الصناعة أو بالصناعة له . وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو تصنع لاخرق :

وفى هذا كذلك تكثير لليد الصانعة وبهذا تستغنى الامة الاسلامية فى صناعاتها وتستقل استقلالا ذاتيا فى هذا السبيل . ولما قال ابو ذر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيت ان ضعفت عن ذلك ؟ أى ماذا افعل ان عجزت عن اعانة الصانع أو الصناعة لضائع فأجيب من مشكاة النبوة بقوله : تكف شرك عن الناس أى فهذا صدقتك . ولذلك روى البخارى من حديث ابى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : على كل مسلم صدقة قالوا فان لم يجد قال فيعمل بيديه فينفع نفسه ويتصدق قالوا فان لم يستطع قال فيعين ذا الحاجة الملهوف قالوا فان لم يفعل قال فليأمر بالخير قالوا فان لم يفعل قال : فليمسك عن الشر فانه له صدقة .

هذه اسلاميتنا ..

للشيخ ابي بكر جابر الجزائري

المدرس في الجامعة

وهذه مبادئها :

١ ـ الايمان الصادق .

٢ ـ العمل الصالح .

٣ ـ التضامن الحق .

وهذا هدفها :

سعادة المسلم فى حياته الاولى ، والآخرة .

وهذه غايتها :

رضوان اللهتعالى ، ومرافقة الصالحين،فى الملكوت الاعلى فىالجنة دارالسلام.

قال الله تعالى :

« والعصر ، ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وبعد : فهذا اصل اسلاميتنا . ومن هنا استوحينا مبادئها ، واستقينا هدفها ، وغايتها .

من هنا من كتاب الله تعالى ، لامن الرأسمالية الغربية ، ولا من الشيوعية الماركسية ، وانما من كتاب الله عز وجل ، كتاب محمد نبى الرحمة ورسول الهدى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

وفى الاسطر التالية عرض سريع لمبادئها ، وهدفها ، وغايتها ، لمن أراد ان يعرف ذلك منها :

١ ـ الايمان الصادق :

من مبادىء اسلاميتنا : الايمان الصادق ، فلا مكان بيننا لشيوعى ملحد ، ولا لاشتراكى منافق ، ولا لماسونى زنديق ، اذ اننا واياهم على طرفى نقيض .

نحن نؤمن بالله تعالى الخالق ربا والها فنعبده ونطيعه راجين رحمته ، خائفين

من عذابه ، وهم يكفرون به ، ولا يعترفون بربوبيته كيلا يعبدوه ويطيعوه ، فهم غير راجين ولا خائفين .

نحن نؤمن بلقاء الله تعالى ، وصدق وعده ووعيده فنكيف حياتنا كلها بحسب ذلك . وهم يكذبون بلقاء الله تعالى ، ويجحدونه ليعيشوا اباحيين مستهترين لا يتقيدون بخلق فاضل ، ولا بمروءة شريفة أو دين .

نحن نؤمن برسل الله تعالى ، ورسالاتهم الى البشر ، ونؤمن ان سعادة الانسانية فى اتباع أولئك الرسل ، والعمل بتلك الرسالات ، فلذا نحن نجل الرسل ونعظمهم ، ونقدس تلك الرسالات ، ونقدرها ، ولا يرون رسالاتهم الامادة تخدير للانسان ، وايقاف لنشاطه العقلى ، ونمائه الفكرى !!

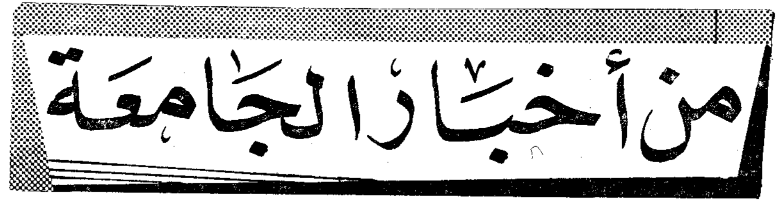
نحن نؤمن بقانون الاخلاق ، والقيم الروحية ، ونزن الافراد باخلاقهم ، وقيمهم الروحية ، وكمالاتهم النفسية ، ونرى الحياة بدون خلق ودين لاقيمة لها ، ولا معنى لوجودها وهم لايعترفون بذلك ، ولا يرون الاخلاق الفاضلة من حياء وعفة الا عجزا وضعفا ، ولا الخوف من الله تعالى ، ومراقبته ، والشوق الى الملكوت الاعلى ، ومرافقة الصالحين اليه ، ومجاورتهم فيه الا ضربا من المرض النفسى ، والجنون العقلى .

نحن نؤمن بحتمية القضاء والقدر ، وان التخطيط الكامل للحياة بأسرها قد سبقها بأزمان ، ووضع لها قبل ان تكون الاكوان ، وان شيئا ما ، وكائنا ما كان لايمكن أن يكون على غير وفق ما رسم ازلا ، وخطط قديما فى كتاب المقادير ، واننا لذلك لانتبرم من الحياة مهما كانت قاسية ، ولا نجزع منها أو نسخط ، كما لانيأس أو نقنط ، أو ننزع عند العجز الى الانتقام والبطش .

فحياتنا دائما تتسم بالرضا والطمأنينة والعدل والرحمة ، وهم لايؤمنون بذلك ولا يرونه امرا كائنا فى نظام الحياة ، فهم لذلك يكثر فى حياتهم القلق والاضطراب ويعم جوانب كثيرة منها اليأس والقنوط ، وتتسم فى غالبها بسمة الشدة والقسوة وتطبع بطابع الظلم والعنف ، ولا سيما عند الشعور بالعجز امام تصاريف القدر، ومجارى القضاء ، فينزعون الى البطش والانتقام ، والى التنكيل بالابرياء والتعذيب كما يشهد بذلك تاريخ حياتهم ، وتنطق به اعمالهم فى أى مكان حلوا به أو واد نزلوا فيه . وعياذا بالله تعالى منهم .

والى اللقاء مع مبدأ العمل الصالح

فى العدد القادم ان شاء الله تعالى



أرقام تتحدث عن طلاب الجامعة وجنسياتهم والمتخرجين منهـا فى أعـوامها السبعة الماضية :

بيـان بجنسيات المتخرجين من كلية الشريعة فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فى أفواجها الاربعة الماضية

التسلسل	اسم القطر	المتخرجون فى عام ٨٤/٨٥هـ	المتخرجون فى عام ٨٥/٨٦هـ	المتخرجون فى عام ٨٦/٨٧هـ	المتخرجون فى عام ٨٧/٨٨هـ	مجموع المتخرجين فى الافواج الاربعة
١	المملكة العربية السعودية	١٨	١١	٨	٢٩	٦٦
٢	المملكة الاردنية الهاشمية	٠٤	٠١	٢	٠٣	١٠
٣	أندونيسيا	٠٣	٠٠	٧	٠٦	١٦
٤	تركستان	٠١	٠٠	٠	٠١	٠٢
٥	تونس	٠١	٠٠	٠	٠٠	٠١
٦	الجزائر	٠١	٠٠	٠	٠٠	٠١
٧	السودان	٠٤	٠٦	٦	٠٤	٢٠
٨	سوريا	٠١	٠٣	١	٠٣	٠٨
٩	الصومال	٠١	٠٢	١	٠٦	١٠
١٠	فلسطين	١٠	٠٠	١	٠٢	٠٤
١١	جمهورية مالي	١٠	٠٠	٠	٠١	٠٢
١٢	الهند	٠٥	٠٣	٤	٠٥	١٧
١٣	اليمن	٠٢	٠٣	٩	٠٧	١٣
١٤	الباكستان	٠٠	٠٨	٣	٠٧	٠٧
١٥	أثيوبيا	٠٠	٠٢	٢	٠٣	١٨
١٦	نيجيريا	٠٠	٠٢	٠	٠٠	٠٢
١٧	تايلند	٠٠	٠٢	٠	٠٣	٠٥
١٨	لبنان	٠٠	٠١	٠	٠٠	٠١
١٩	النيجر	٠٠	٠١	٠	٠٠	٠١
٢٠	موريتانيا	٠٠	٠١	٠	٠٩	١٠
٢١	الفلبين	٠٠	٠٠	٢	٠٠	٠٢
٢٢	ارتريا	٠٠	٠٠	١	٠١	٠٢
٢٣	ماليزيا	٠٠	٠٠	٠	٠٩	٠٩
٢٤	المغرب	٠٠	٠٠	٠	٠٢	٠٢
٢٥	أوغندا	٠٠	٠٠	٠	٠٢	٠٢
٢٦	عجمان	٠٠	٠٠	٠	٠١	٠١
٢٧	ايران	٠٠	٠٠	٠	٠١	٠١
٢٨	السنغال	٠٠	٠٠	٠	٠١	٠١
٢٩	غانا	٠٠	٠٠	٠	٠١	٠١
٣٠	الجنوب العربي	٠٠	٠٠	٠	٠١	٠١
	المجموع	**٤٣**	**٤٦**	**٣٩**	**١٠٨**	**٢٣٦**

بيان بعدد جنسيات الطلبة الحاصلين على الشهادة الثانوية فى الأعـوام الدراسية ٨٣،٨٤،٨٥،٨٦،٨٧

التسلسل	الجنسية	العام الدراسي ٨٤/٨٣	العام الدراسي ٨٥/٨٤	العام الدراسي ٨٦/٨٥	العام الدراسي ٨٧/٨٦	العام الدراسي ٨٨/٨٧	المجموع الكلي للمتخرجين فى الاعوام الخمسة
١	ارتريا	٠٠	٠١	٠١	٠١	٠١	٠٤
٢	المملكة الاردنية الهاشمية	٠١	٠٦	٠١	٠٤	٠١	١٣
٣	اندونيسيا	٠٩	٠٩	٠٥	٠١	٠٣	٢٧
٤	أوغنـــدا	٠٢	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٢
٥	ايــران	٠٢	٠١	٠١	٠٠	٠٠	٠٤
٦	باكستان	٠٨	١٢	٠٨	٠٣	٠٥	٣٦
٧	موزمبيق	٠٠	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
٨	بــورما	٠٠	٠١	٠٠	٠٢	٠٠	٠٣
٩	بيحـــان	٠٠	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
١٠	تايلند	٠٣	٠٢	٠٢	٠٣	٠٣	١٣
١١	تركستان	٠١	٠٠	٠١	٠٠	٠٠	٠٢
١٢	تركيــا	٠٠	٠١	٠٢	١٠	٠١	٠٥
١٣	تشـــاد	٠٠	٠٢	٠٠	٠٠	٠١	٠٣
١٤	الجزائر	٠٠	٠٢	٠٢	٠١	٠٣	٠٨
١٥	الحبشـــة	٠٥	١٠	٠٨	١٣	٠٦	٤٢
١٦	حضرموت	٠١	٠١	٠٢	٠٣	٠١	٠٨
١٧	زنجبار	٠٠	٠٢	٠٠	٠٠	٠٠	٠٢
١٨	المملكة العربية السعودية	٢٧	١٥	١٧	١٥	١٠	٨٤
١٩	السودان	٠٠	٠٠	٠٢	٠٠	٠٠	٠٢
٢٠	ســوريا	٠٠	٠١	٠١	٠٠	٠١	٠٣
٢١	سنغافوره	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠٠	٠١
٢٢	ســنغال	٠١	٠٠	٠١	٠٠	٠٠	٠٢
٢٣	الصومال	٠٧	٠٦	٠٢	٠٨	٠١	٢٤
٢٤	عجمــان	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٢
٢٥	العــراق	٠٠	٠٠	٠١	٠١	٠١	٠٣
٢٦	عمـــان	٠١	٠٠	٠٢	٠١	٠٠	٠٤
٢٧	غــانــا	٠١	٠٠	٠١	٠١	٠١	٠٤
٢٨	فلسطين	٠٣	٠٣	٠٣	٠٠	٠٠	٠٩
٢٩	الكمرون	٠٠	٠٣	٠١	٠١	٠٣	٠٨
٣٠	كينيــا	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠٠	٠١
٣١	لبنـــان	٠٠	٠١	٠٠	٠١	٠١	٠٣
٣٢	ماليــزيا	١٢	١٢	٠٤	٠٠	٠١	٢٩
٣٣	مالي	٠٠	٠٨	٠٢	٠٣	٠٢	١٥

تابـع لجنسيات المتخرجين من المعهد الثـانوي

٣٤	المغـرب	٠٠	٠١	٠١	٠١	٠٣	٠٦
٣٥	موريتانيا	١١	٠٢	٠١	٠٢	٠٠	١٦
٣٦	نيبـال	٠١	٠٠	٠١	٠٠	٠٠	٠٢
٣٧	النيجر	٠١	٠٠	٠٢	٠٠	٠٣	٠٦
٣٨	نيجيريا	٠٠	٠١	٠١	٠٠	٠١	٠٣
٣٩	الهنـــد	٠٣	٠٥	٠٢	٠٣	٠٤	١٧
٤٠	يافـع	٠٠	٠١	٠٠	٠٠	٠٠	٠١
٤١	المملكة المتوكلية اليمنيـــة	٠٩	١٣	٢٢	٢١	٠٣	٦٨
٤٢	اليونان	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠٠	٠١
٤٣	رأس الخيمة	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠١
٤٤	مصـــر	٠٠	٠٠	٠٠	٠٢	٠٠	٠٢
٤٥	فلتا العليا	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠١
٤٦	ساحل العاج	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠١
٤٧	الصين الوطنية	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٢	٠٣
٤٨	الفلبين	٠٠	٠٠	٠٠	٠٣	٠٣	٠٦
٤٩	قطـــر	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠١
٥٠	مدغشقر	٠٠	٠٠	٠٠	٠١	٠٠	٠١
٥١	سيراليون	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٢	٠٢
	المجموع	**١١٠**	**١٢٤**	**١٠٣**	**١٠٢**	**٦٨**	**٥٠٧**

ثِبْ للصلاةِ إذا المؤذن نادى وحذارِ تسـلم لِلخمولِ قيادا
إن الصلاةَ هي الحياةُ لمؤمنٍ يرجو إلى باري الحياةِ مَعـادا

● ○ ●

يا من يُريدُ دمار صحته ويهو ى الموتَ منتحراً بلا سِـكينِ
لا تيأسنَّ .. فان مثلك واجد كل الـذي يبغيه فى التدخينِ

محمد المجذوب

بيـان اجمالي بعدد الطلبة المتخرجين من كلية الشريعة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وذلك فى الأعـوام الدراسية ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ وعدد الأقطار التي ينتمون اليهـــا

١ ـ المتخرجون فى عام ٨٥/٨٤ عددهم ٤٣ جامعياً ينتمون الى ١٣ قطر عالمي
٢ ـ المتخرجون فى عام ٨٦/٨٥ عددهم ٤٦ جامعياً ينتمون الى ١٤ قطر عالمي
٣ ـ المتخرجون فى عام ٨٧/٨٦ عددهم ٣٩ جامعياً ينتمون الى ١٣ قطر عالمي
٤ ـ المتخرجون فى عام ٨٨/٨٧ عددهم ١٠٨ جامعياً ينتمون الى ٢٤ قطر عالمي
٥ ـ مجموع المتخرجين فى الأفواج الاربعة ٢٣٦ جامعياً ينتمون الى ٣٠ قطر عالمي

بيـان بالمتخرجين من الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة حسب تقديراتهم فى السنوات الأربع الماضية من عـــام ٨٥/٨٤ حتى عـــام ٨٨/٨٧

المتخرجون عام	بدرجة ممتاز	جيد جدا	جيد	مقبول	الجميع
المتخرجون عام ٨٥/٨٤	٢	١٥	٢٠	٦	٤٣
المتخرجون عام ٨٦/٨٥	٨	١٢	١٨	٨	٤٦
المتخرجون عام ٨٧/٨٦	١	٩	٢٧	٢	٣٩
المتخرجون عام ٨٨/٨٧	١١	٤٢	٤٤	١١	١٠٨
المجموع	٢٢	٧٨	١٠٨	٢٧	٢٣٦

بيان اجمالي بعدد الطلبة الحاصـلين على الشـهادة الثانوية من المعهد الثانوي التابع للجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فى الأعوام الدراسية ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ وعدد الأقطـار التي ينتمون اليهـــا

١ ـ المتخرجون من المعهد الثانوي فى عام ٨٤/٨٣ عددهم ١١٠ من الطلاب ينتمون الى ٢٢ دولة
٢ ـ المتخرجون من المعهد الثانوي فى عام ٨٥/٨٤ عددهم ١٢٤ طالباً ينتمون الى ٢٩ دولة
٣ ـ المتخرجون من المعهد الثانوي فى عام ٨٦/٨٥ عددهم ١٠٣ من الطلاب ينتمون الى ٣٣ دولة
٤ ـ المتخرجون من المعهد الثانوي فى عام ٨٧/٨٦ عددهم ١٠٢ من الطلاب ينتمون الى ٣٠ دولة
٥ ـ المتخرجون من المعهد الثانوي فى عام ٨٨/٨٧ عددهم ٦٨ طالباً ينتمون الى ٢٨ دولة
٦ ـ مجموع المتخرجين فى الافواج الخمسة الماضية عددهم ٥٠٧ من الطلاب ينتمون الى ٥١ دولة

بيان اجمالي بالمجموع الكلي لطلاب الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة والأقسام التابعة لها فى أعوامها السبعة الماضية من عام ٨٢/٨١ حتى عام ٨٨/٨٧ وذلك وقت اجراء اختبار الدور الأول فى كل عام

١ ــ فى عام ٨٢/٨١ المجموع الكلي للطلبة ٢٥٦ طالباً
٢ ــ فى عام ٨٣/٨٢ المجموع الكلي للطلبة ٤٣٤ طالباً
٣ ــ فى عام ٨٤/٨٣ المجموع الكلي للطلبة ٥٢٩ طالباً
٤ ــ فى عام ٨٥/٨٤ المجموع الكلي للطلبة ٦٦٦ طالباً تخرج منهم من الجامعة ٤٣
٥ ــ فى عام ٨٦/٨٥ المجموع الكلي للطلبة ٦٧٢ طالباً تخرج منهم من الجامعة ٤٦
٦ ــ فى عام ٨٧/٨٦ المجموع الكلي للطلبة ٧٦٤ طالباً تخرج منهم من الجامعة ٣٩
٧ ــ فى عام ٨٨/٨٧ المجموع الكلي للطلبة ٧٩٤ طالباً تخرج منهم من الجامعة ١٠٨

بيان اجمالي بعدد الطلبة فى كلية الشريعة فى الجامعة الاسلامية منذ عام ٨٢/٨١ حتى نهاية عام ٨٨/٨٧ وذلك وقت اجراء اختبار الدور الأول فى كل عام

العام الدراسي	الأولى شريعه	الثانية شريعه	الثالثة شريعه	الرابعة شريعه	المجموع	المتخرجون
٨٢/٨١	٨٥	٠٠	٠٠	٠٠	٨٥	٠٠
٨٣/٨٢	٨٩	٥٩	٠٠	٠٠	١٤٨	٠٠
٨٤/٨٣	٤٢	٦٠	٥١	٠٠	١٥٣	٠٠
٨٥/٨٤	١٣٥	٤٠	٥٦	٤٦	٢٧٧	٤٣
٨٦/٨٥	١٣٥	١٢٨	٣٦	٥١	٣٥٠	٤٦
٨٧/٨٦	١٠٤	١٢٥	١٢٣	٤١	٣٩٣	٣٩
٨٨/٨٧	٩٠	١١٣	١٠٧	١٢٣	٤٣٣	١٠٨

مجموع المتخرجين من كلية الشريعة فى أفواجها الاربعة الماضية . ٢٣٦

بيـــان اجمالي بعدد الطلاب فى كلية الـدعوة وأصول الدين فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فى عامهـا الأول وعامها الثـــاني وذلك وقت اجراء اختبـــار الـــدور الأول

العـام الدراسي	السنة الاولى	السنة الثانية	المجموع الكلي
٨٧/٨٦	٥٧	٠٠	٥٧
٨٨/٨٧	٦٢	٤٧	١٠٩

جدول يبين عدد طلاب المعهد الثانوي ومعهد الدراسة المتوسطة منذ عام ٨٢/٨١ حتى نهاية عـام ٨٨/٨٧

المعهـــد الثـــانوي

العام الدراسي	مجموع الطلاب فى المرحلة المتوسطة	أولى ثانوي	ثانيـة ثانوي	ثالثـة ثانوي	مجموع الطلاب فى الثانوي والمتوسط	المتخرجون من الثانوي
٨٢/٨١هـ	٠٠	٧١١	٠٠٠	٠٠٠	١٧١	٠٠٠
٨٣/٨٢هـ	١٩	١٤٣	١٢٤	٠٠٠	٢٨٦	٠٠٠
٨٤/٨٣هـ	٣٠	٩٦	١٢٦	١٢٤	٣٧٦	١١٠
٨٥/٨٤هـ	٤١	١٠٣	٩٧	١٤٨	٣٨٩	١٢٤
٨٦/٨٥هـ	٢٩	٧١	٩٩	١٢٣	٣٢٢	١٠٣
٨٧/٨٦هـ	٦٥	٧١	٥٨	١٢٠	٣١٤	١٠٢
٨٨/٨٧هـ	٩٠	٢٩	٥٩	٧٤	٢٥٢	٦٨
				المجموع		٥٠٧

بيـــان اجمالي بعدد الطلاب في كليتي الشريعة والدعوة في الجامعة والمعهدين التابعين لها موزعين على الأقطار التي ينتمون اليها وذلك في نهاية العـــام الدراسي ٨٧/٨٨ هـ

التسلسل	اسم القطر	عددالطلاب	التسلسل	اسم القطر	عددالطلاب	التسلسل	اسم القطر	عددالطلاب
١	المملكةالعربية السعودية	١٢٥	٢٥	ساحل العاج	٨	٤٩	ليبريا	٢
٢	اليمـن	٧٥	٢٦	المغـرب	٨	٥٠	محلديب	٢
٣	أندونيسيا	٥٠	٢٧	غـانـا	٧	٥١	غيـانا	٢
٤	الباكستان	٤٨	٢٨	سيراليون	٦	٥٢	موزمبيق	٢
٥	انحبشة	٤٣	٢٩	أوغنـدا	٦	٥٣	تركستان	٢
٦	ماليزيا	٣٢	٣٠	النيجر	٦	٥٤	عجمـان	٢
٧	الهنـد	٣١	٣١	العراق	٥	٥٥	الكنغوكنشاسا	٢
٨	الصومال	٢٦	٣٢	عمـان	٥	٥٦	كينيـا	٢
٩	الأردن	٢٣	٣٣	داهومي	٥	٠٧	مصـر	٢
١٠	سوريا	٢٢	٣٤	قطـر	٤	٥٨	البحرين	١
١١	تايلنـد	٢٢	٣٥	اليونان	٤	٥٩	الكويت	١
١٢	موريتانيا	٢١	٣٦	روديسيا	٤	٦٠	غامبيا	١
١٣	مـالي	٢١	٣٧	ايران	٤	٦١	رأس الخيمة	١
١٤	السودان	١٥	٣٨	بورما	٤	٦٢	اليابان	١
١٥	الفلبين	١٥	٣٩	افغانستان	٤	٦٣	بيحـــان	١
١٦	نيجيريا	١٤	٤٠	نيبـال	٤	٦٤	النمســا	١
١٧	السنغال	١٢	٤١	تركيا	٣	٦٥	زنجبار	١
١٨	الكمرون	١١	٤٢	أمريـكا	٣	٦٦	مدغشقر	١
١٩	حضرموت	١١	٤٣	تشـاد	٣	٦٧	سنغافورة	١
٢٠	فلسطين	١٠	٤٤	غنينـا	٣		**المجموع**	**٧٩٤**
٢١	ارتريا	١٠	٤٥	لبنـــان	٣			
٢٢	فلتا العليا	٨	٤٦	جنوب افريقيا	٢			
٢٣	الجزائر	٨	٤٧	بورندي	٢			
٢٤	الصين الوطنية	٨	٤٨	موريتوس	٢			

استــــدراك

وقعت بعض الاخطاء فى هذا العدد يرجى تصحيحها كمــا يــلي

ص	س	خطــأ	صوابه
٤	٤	الآت	الآيات
١٥	٢٣	سلقوهم	سلقوكم
٥٧	٣	من الشعر التمثيلي	من الأدب التمثيلي
٥٨	٢٢	مطالبــاً	مطالبنــــا
٥٨	يبادل بين السطرين التاسع والعاشر		
٦٢	٢٦	ولا تلقوا بأنفسكم	ولا تلقوا بأيديكم
٦٣	١٦	أشــد أيــام	أشأم أيام
١٠٤	٣ حاشية	سورة الرمز	سورة الزمر
١٠٥	٤ عامود ثاني	فوجدنا عبــداً	فوجدا عبداً
١٠٧	٣ عامود ثاني	تقــوم	تقوم على
١٠٨	١٤	(١)	(٢)
١٠٩	٢٢	حاجة الى تأييدها	الى تأييدها
١٠٩	١١ عامود ثاني	فى إثبابتهــا	فى اثباتها
١١٠	٣١ عامود ثاني	أثــاء	أثنــاء
١١٤	٥	النص وهي	مرحلة فهم النص وهي
١٢٦	٤	محمــد	محمــداً
١٢٦	٩	به خبراً	به اندين خبراً
١٢٧	١٠ عامود ثاني	تعليققه	تعليقه
١٢٧	١٦ عامود ثاني	تعليق أبورية	أبو عبيــه
١٢٨	٢٩ عامود ثاني	بن حمزة	بن جــزء

كما وقعت فى العددين السابقين بعض الأخطاء تصحح كما يلي :

١ ـ فى قصيدة (ملحمة قرآنية) من العدد الاول :

الخطأ	صوابه	الصفحة	السطر
أن هولاً ..	بأن هولاً	١٦	٨
يزوي سناها ..	يزري سناها ..	١٦	١٧
لكنه ما أن دنا ..	لكنه ما إن دنا ..	١٨	٦
هنا خـر ...	هناك خـرَّ ...	١٨	١٩
فلم يدع لراج	فلم يدع منهم لراج	١٩	١٤
.. وغاض الذهب	وغاض الذهب	٢٠	٢١

٢ ـ فى قصيدة (استعلاء الايمان) من العدد الثاني :

الخطأ	صوابه	الصفحة	السطر
وأنتم دعاةُ الحق ..	وأنتم دعاةَ الحق ..	٣٥	٧
.. وِيْشَرَع	.. وويُشَرِّع	٣٦	٥
هياكل ثلأوثان لا لله ..	هياكل للأوثان لا الله ..	٣٦	١٥
فراح بها يهوي ..	فراح بما يهوى ...	٣٧	٢
وتلحوننا ...	وتَلحوننا ...	٢٨	١٦
حتى تَبَحُّوا	حتى تَبَحُّوا ..	٣٩	٨
بأننا له ..	بأنا لـه ..	٣٩	١٦

المحتـــوى